مِنْ بُيُوتَاتِ العِلْمِ بِدِمَشْق

آلُ القَاسِمِيّ

وَنُبُوغُهُمْ فِي العِلْمِ وَالتَّحْصِيلِ

تأليف

محمد بن ناصر العجمي

دار البشائر الإسلامية



آل القاسمي

ونبوغهم في العلم والتحصيل

صورة الغلاف يظهر فيها جامع السنانية بدمشق
الذي أمّ فيه ثلة من آل القاسمي

الطّبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

تصميم الغلاف: الأستاذ محمد سالم زين العابدين

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٩٦١١/٧٠٤٩٦٣..
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

تَقدِيم بقلم

الأستاذ المفضال محمد سعيد القاسمي

حفيد العلامة جمال الدين القاسمي (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

---

(١) هو حضرة الأُستاذ المفضال الأديب ربيب بيت العلم والفضل محمد سعيد بن محمد ضياء الدِّين ابن علاَّمة الشَّام محمد جمال الدِّين القاسمي، وُلد حفظه المولى في ضحوة الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٤٥هـ وفق ٢٣/٥/١٩٢٧م، وانتهى من ثانوية مدرسة التجهيز ـ مكتب عنبر سابقًا ـ سنة ١٩٤٨م، وأخذ عن تلميذ جده الشيخ حامد التقي الفقه والتفسير حيث قرأ عليه تفسير جده «محاسن التأويل» كاملاً قبل أن يطبع، بالإضافة إلى حضوره التَّام للمجالس الأسبوعية التي كان يعقدها تلاميذ جده في منزل العائلة القاسميَّة كالشيخ محمد بهجة البيطار والشيخ محمد جميل الشطي وغيرهما، كما أنّه قبل هذا وذاك يعزو الفضل بعد الله عز وجل إلى عمه المحامي ظافر القاسمي، إذ كان مُوجهًا له إلى العلم، ومرشدًا إلى حفظ وقراءة ما يفيد من عيون الشعر والأدب. نسأل الله أن يحفظ الأستاذ الكريم محمد سعيد القاسمي وأن يجعله خير خلف لخير سلف.

وبعد، فقد زارني منذ سنتين تقريبًا، أُستاذ فاضل عليه سِمة الأدب، ويجلّيه تواضع العالم، ويحلّيه همَّة المحقق، ألا وهو الأُستاذ الكريم محمد بن ناصر العَجْمي يحفظه الله. وقد قدّم إليّ ــ مشكورًا ــ بعضًا من مؤلفاته، وبضعةً من تحقيقاته، ونَزرًا من منجزاته، التي ــ إن دلّت على شيء ــ فإنما تدلّ على همة عالية، ونظرةٍ ثاقبة.

وحدثني أنه من محبّي الجد محمد جمال الدِّين القاسمي ــ رحمه الله تعالى ــ ويودّ أن يكتب عنه، وأن ينشر له بعضًا من مؤلفاته التي لم تُنشر بعدُ، أو التي طُبعت ونَفِدت نُسخها.

فرحبت به، وأطلعتُه على بعض كتبه ورسائله، فانكبّ عليها بهمةٍ فائقة، وفهمٍ سريع. وحدثته عن نشأته وأسرته ومجتمعه، فإذا به يسرد عليَّ وقائعه وحوادثه المذكورة فيما بين دفّتَي كتاب ولده، أي: العم الظافر ــ رحمه المولى تعالى ــ فأُعجبت به وبذاكرته أيَّما إعجاب، كأنَّه ولدٌ من أولادِهِ، أو تلميذٌ من تلامذته! ومكث مدة ثُمَّ عاد إلى الجهراء بالكويت.

وبعد فترة هاتفني يُطمئنني عن كتابه «محمد جمال الدِّين القاسمي» وأنَّه يودّ زيارتي والمكتبة القاسميَّة ثانيةً، للاطلاع على سيرة بقية أفراد آل القاسمي، وليجمع عن نوابغهم كتابًا آخر. فرحبت به وبفكرته أيّما ترحيب، لأنها أول مشروع يقدَّم إليَّ منذ ما ينوف على نصف قرن!

لأن «المكتبة القاسمية» يرتادها سنويًا ثُلَّة من العلماء والمفكرين، وكثيرٌ من طلاّب العلم والمعرفة، من معظم أقطار المعمورة، عربيةً كانت أو إسلاميةً، أوروبيةً كانت أم أميريكيةً... بعضهم للاطلاع والمُراجعة، وآخرون للدراسة وتحضير رسائل علمية (دكتوراه أو ماجستير)، كلٌّ حسب اختصاصه الدراسي، عن «محمد جمال الدِّين القاسمي»: دعوته، آراؤه،

أفكاره، عقيدته، علومه، مؤلفاته. . . إلخ.

فلما شرفني الأُستاذ العَجْمي ـ سلّمه الله ـ وطلب إِلَيَّ دراسة عن آل القاسمي، فقدمت إليه كرائمَ السِّيَر، ودُررَ الأخبار، فجمع منها خيارَها، وصقَلَها فأحسَن صَقْلَها، ونظَمها فأجادَ نَظْمَها، فكانت عِقْدًا فريدًا، وهو هذا الكتاب الذي بين يديك. . .

ثُمَّ عهد إليَّ تقديمًا لهذا الكتاب، فشكرته على حُسْن ظنِّه بي، واعتذرت، وحسبه مقدمة سِبْط آل القاسمي، المستشار سميح الغبره، ابن عمتي في النَسَب، وأخي في التربية والنشأة والطَّلَب. فأكَّد أكثرَ من مَرَّة، مُشافهةً ومُهاتفةً، فاستحيَيْتُ من لطف دَأْبه، ورِقَّة أدبه، فأذعَنْتُ لِطَلَبه، على ضَعْفٍ منّي، وحسن ظنٍّ منه.

وإني إذْ أشكره على هذا الجهد الجهيد، فيما بذله من الجمع والبحث والتأليف والتنسيق والتنضيد، الذي لا يعرف مشقَّته إلاَّ مَن يُكابِدُه، مع أناقة الطباعة!

لِذا، لا يسعُني أخيرًا إلاَّ أن أشكره جزيل الشكر، مع صادق المودَّة، على اهتمامه بأعلام الشَّام عامَّةً، وآل القاسمي خاصَّةً، وعلى تأليف هذا الكتاب، فكان حقًّا قِلادةً نادرةً، وعِقْدًا فريدًا.

فجزى الله مؤلِّفه، العالم الباحث المحقِّق الأُستاذ العَجْمي عن آل القاسمي خيرَ الجزاء، ووفَّقه للمضيِّ في مسيرته النَّيِّرة، ومتابعته رسالته الخيِّرة. . . إنه على ما يشاء قديرٌ، وبالإجابة جدير. والحمد لله رب العالمين.

دمشق: ليلة الأحد لثمانٍ بَقَيْنَ من صفر الخير سنة ١٤٢٠ هجرية
وفق ٦/٦/١٩٩٩م

محمد سعيد القاسمي

تقديمٌ بقلم العالم النحوي عاصم محمد بهجة البيطار [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّ الرحمة وإمام

---

(١) هو العالم النحوي القدير الأُستاذ عاصم ابن العلامة محمد بهجة البيطار من بيت العلم الشهير بدمشق، وُلد سنة (١٩٢٧م)، ونال الإجازة في الآداب والدبلوم في التربية من جامعة دمشق سنة (١٩٥٢م)، ودرّس علوم اللغة العربية وآدابها في دمشق، ثُمَّ سافر إلى السعودية سنة ١٩٦٣م فدرَّس النحو والصرف خمس سنوات في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود (الكليات والمعاهد سابقًا)، ثُمَّ عاد إلى دمشق فدَرَّس في جامعتها من سنة (١٩٧٠ ــ ١٩٨٦م) حيث تقاعد، وطلبته جامعة الملك سعود بالرياض فدرّس فيها النحو والصرف لمدة خمس سنوات (١٩٨٩ ــ ١٩٩٤م)، ثُمَّ طلبه مركز الملك فيصل الخيري ليكون مُسْتشارًا لمجلتِهِ، ألف عددًا من الكتب منها: «النحو والصرف» وضعه لطلاب جامعة دمشق سنة (١٩٧٠م) وما يزال هو الكتاب المقرر فيها حتى الآن، كما حقق «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدِّين»، و «الفضل المبين في شرح الدر الثمين» لجمال الدِّين القاسمي، وله غير ذلك.

يقول عنه تلميذ والده الشيخ علي الطنطاوي في معرض كلام له: «الأستاذ عاصم من أعلم مدرسي النحو اليوم، وأحسنهم طريقه في التدريس». وقد تخرَّج على يديه جمع من الطلاب النُّبهاء والأساتذة الأجلاء، ولا يزال ذكره العاطر بينهم، حفظه الله ورعاه وأناله رضاه.

المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آل بيته وأصحابه الطيِّبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن فضيلة العلاَّمة المحقق المدقق الثبت[1] الأستاذ محمد بن ناصر العجمي يقوم بعمل جليل، يكشف فيه عن صفحات مطوية من حياة بعض الأعلام من علماء الإسلام في هذا القرن، ويتكبد في ذلك مشاقَّ الرحلة والسفر إلى مواطنهم، والاتصال بذويهم، والتنقيب عن وثائق ومخطوطات ما عرفها العاملون في هذا الحقل الخصيب إلى يومنا هذا.

لقد تكرم هذا الأستاذ الجليل بزيارتي أكثر من مرة، وكنت أولى بالسعي إليه لعلمه وفضله، وكانت تدور بيننا أحاديث كثيرة حول جوانب مما يهتمّ بتدوينه وتوثيقه، ويسألني عن أشياء هو أعلم بها مني، وكنت لا أذكر خبرًا إلاَّ وجدت عنده ما يزيدني علمًا به. أسأل الله تعالى أن يمده بعونه وتوفيقه، وأن يمتعه بدوام الصحة، ويكتب له أجر العاملين في سبيل الله، لا يرجون من عملهم إلاَّ وجه الله والدَّارَ الآخرة.

وقد أعلمني جزاه الله خيرًا أن يعمل على جمع مادة كتاب عن آل القاسمي في دمشق الشام، يدوّن به مآثرهم، ويعرّف طلابَ العلم آثارهم، وما تعرّض له بعض أعلامهم من أذى في سبيل نشر مذهب السلف، والعودة بالعقيدة إلى الينابيع الصافية في القرآن والسنَّة، وما كان عليه سلف هذه الأمة، من إقبال على الله، والرغبة فيه، والبعد عن البدع

---

(١) هذه الأوصاف التي ذكرها الأستاذ الجليل لم يكن لي بها ـ والله ـ اتصاف، وإنما أنا طُوَيلب علم مقصر، ومُحب لأهل العلم مُكثر، اللَّهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون، آمين.

والضلالات التي ملأ بها الحشويون عقول الناس، وعلى رأس علماء هذه الأسرة: علاَّمة الشَّام، وجمال الدُّنيا والدِّين، الشيخ جمال الدِّين القاسمي رحمه الله وأجزل ثوابه، فقد كان صورة لعلماء السلف في جهاده وصبره، واحتساب ذلك عند الله جل جلاله.

وقد كان العلاَّمة المؤلف حسن الظنِّ بي، إذ أرسل إليّ نسخة الكتاب في صورتها الأخيرة قبل أن تطبع، وطلب إليَّ أن أطّلع عليها، وأن أكتب مقدّمة قصيرة لها، لِمَا يعلم حفظه الله من صلة سيدي الجد الشيخ عبد الرزاق البيطار رحمه الله (ت ١٣٣٥هـ) بالعلامة الجمال القاسمي، وما كان من ملازمة سيدي الوالد الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله (ت ١٣٩٦هـ) له، وطلب العلم عليه إلى أن توفي رحمه الله عام (١٣٣٢هـ)، فدعوت الله أن أكون لذلك أهلاً، وبه جديرًا، وأقبلت على الكتاب أقرؤه بإمعان، وأطّلع فيه على صور مشرقة من تاريخ علماء الإسلام، والطرائق التي كانت مُتَّبعةً في التعلّم والتعليم، وما يصاحب ذلك من حرص الطلاب على التلقّي، وإخلاص العلماء في أن يزوّدوا طلابهم فيما أفنوا السنوات الطوال في تحصيله.

وفي هذا الكتاب ــ على صغر حجمه ــ فوائد كثيرة جدًا، فهو يُعنَى بترجمة المشهورين من علماء آل القاسمي منذ حلّ جدّهم الأعلى الشيخ قاسم بن صالح القاسمي (ت ١٢٨٤هـ) بلاد الشام، إلى وفاة أولاد علامة الشام الشيخ جمال الدين، وآخرهم الأستاذ النقيب ظافر القاسمي (ت ١٤٠٤هـ)، وهو سجلٌّ حافل بأسماء علماء هذه الحقبة في الشام ومصر والحجاز وغيرها، ممن كانوا كواكب العلم المشرقة في هذه الأمصار، والذين جمعوا بين العلم النافع، والعمل الصالح، والجمع بين

علوم السلف وما حفل به العصر من المستجدّات، وزيّنوا ذلك كله بالخلق الحميد، وما دعا إليه الإسلام من الإخلاص والتقوى، والتعاون على ما فيه خير الدنيا وحسن ثواب الآخرة، رحمهم الله تعالى، وأجزل ثوابهم، ونفعنا بسيرتهم ومنهجهم في العلم والحياة فإن في ذلك النجاح والفلاح.

لقد كان المؤلف حركة مباركة دائبةً لا تهدأ، يرتاد المكتبات العامة والخاصة، ويرحل في سبيل ذلك إلى شتى الأمصار، ويتّصل بكل من يتوخّى أن يجد لديه جديدًا يضيفه، أو خيرًا مفيدًا ينشره، وقد استطاع بأناته وصبره أن يستخرج وثائق نفيسة ما عرفها الناس إلاَّ عن طريقه، وقد كان أصحاب المكتبات أنفسهم في غفلةٍ عنها.

إن هذا الكتاب منهل ثرّ، يروي تاريخًا علميًّا مجيدًا لبيت من بيوتات العلم، لكنه من ناحية أخرى يعرّف الأجيال من أصحاب الثقافة العصرية بمنهج أسلافهم في التعلّم والتعليم، وأن الاختصاص الذي عُرف اليوم بالماجستير أو الدكتوراه، كان معروفًا فيما يُسمّى الإجازة التي كان العالم الكبير يشهد فيها لطالب العلم بالإتقان والإحاطة. ويجيز له أن يروي عنه مرويّاته جميعها أو بعضها، بعد أن يقدّم بين يدي ذلك سيرة طلبه للعلم، وكبار العلماء الذين تلقّى عنهم، وأسماء الكتب التي تلقّاها.

وإذا كان اختصاص زماننا هذا ينصرف إلى علم واحد، فإن علماء السلف كانوا يجمعون العلوم المختلفة، ويتنقلون بين حلقات الدرس من بعد صلاة الفجر إلى وقت متأخر من الليل، فترى الواحد منهم يجمع العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وغيرها، والعلوم العربية من نحوٍ وصرفٍ وبلاغة وشعر ونثر، ويلمّ بما لا بدّ منه من علوم العصر، وكان

حريصًا في ذلك كله على التوسع في الاطلاع، والتعمق في الفهم، والتزام التوثيق في كل ما يأخذ أو يدع، بعقلٍ متفتِّح، ونيّة صادقة، ورغبةٍ في ثواب الله ورضاه.

إن المؤلف أجزل الله ثوابه قد قدّم في كتابه هذا درسًا مفيدًا لهذا الجيل ومن يأتي بعده، حين رسم منهج أسلافهم في الطلب والتحصيل، وما كان يصاحب ذلك من تبجيل الشيوخ، والتجمّل بأدب الدرس، والشعور بقدسية التبعة بعد ذلك في التبليغ والتعليم، دون أن تكون الدنيا هي الغاية والمقصد.

لقد كانت صلة طلاب العلم بأساتذتهم صلةً روحية مبنيّة على المحبة وتوخّي المصلحة، مما يستقيم به أمر الدِّين والدنيا، ويضمن سعادة الدارين بإذن الله. وما زلت أذكر أن سيدي الوالد رحمه الله كانت تدمع عيناه إذا تحدث أحد عن الشيخ جمال الدين القاسمي، وما سمعته مرة يذكره باسمه إلاَّ مشفوعًا بقوله: شيخنا، وكان يعتزّ بحضور دروسه العامة والخاصة، ويعرّف من خلاله قيمة المحافظة على الوقت، والمواظبة على العمل، لتكون حياته نبراسًا يضيء للسالكين دروب المعرفة.

وقد اعتاد أهل دمشق ارتياد البساتين يجمعون تحت ظلالها بين الراحة والمتعة، وقد كان الشيخ جمال الدِّين يصحب طلابه إلى البساتين، ولكنه ما يلبث أن يخرج كتابًا يقرؤون منه فصلاً أو أكثر، ويقول لهم: من فضل الله علينا أننا لم نضع الوقت كله في شرب الشاي وتسريح النظر بين الأشجار والأزهار والأطيار، بل أضفنا إلى متعةِ الروح غذاءَ العقل...

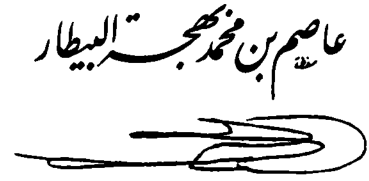
إنني أتمنّى حقًا أن يطّلع شبابنا من الجنسين على هذا الكتاب

وأمثاله، لِيدركوا أن طلب العلم كان مبنيًا على قواعد أخلاقية مشرّفة، وإخلاصٍ ورغبة في الازدياد، وحسن استغلال الوقت فيما يفيد، وهذا كله يفسّر لنا كيف كان أكثر العلماء شعراء وأدباء، قد ضربوا من كل فن بسهم وافر. فهذا الشيخ الرئيس ابن سينا الذي كانت مؤلفاته الطبية عمدة الدارسين في أوروبا وغيرها قرونًا، ما تزال ألسنة الزمان تردّد أشعاره. وهذا الجاحظ أديب العربية الكبير يضع كتبه لتكون مراجع غنية في كل علم، ولا أحبّ أن أمضي في تعداد الأسماء فالكتب مملوءة بها، والتاريخ يتغنّى ويشيد بذكرها.

إن الأستاذ العلامة المؤلف قد ضرب لنا مثلاً بكتابه هذا عن التأليف، وكيف ينبغي أن يُبنَى على تقصّي الحقائق، وتوثيق الأخبار، والسعي وراء إثبات ما يثبته بشهادة مَن لا تردّ شهادتهم، وتأييد ذلك بالإجازات والمراسلات بخط أصحابها، وكل ذلك ببيان واضح ولغة مشرقة.

جزى الله المؤلف العلاّمة خيرًا، وأمدّه بتوفيقه وعونه ليتم رسالته التي اختار لها الدرب الصعب، وأكرر شكري له على حسن ظنه بي، والحمد لله رب العالمين.

الرياض ٢٥/ ١/ ١٤٢٠هـ
١١/ ٥/ ١٩٩٩م



تقديم بقلم

القاضي النبيل الأديب سميح الغبره

سبط العلامة جمال الدين القاسمي (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبيّ بعده.

أمَّا بعد:

فقد دَفَع إليَّ البريد منذ شهر رسالة مرفقة بمسوّدة بحث عنوانها:

---

(١) هو حضرة الأستاذ الجليل، والقاضي النبيل سميح بن شفيق الغبره، ووالدته هي نظمية بنت العلاَّمة الشيخ جمال الدِّين القاسمي، البنت الثالثة له.

ولد حضرة الأُستاذ الأديب سنة ١٩٢٥م ودرس حسب النظام المتبع في ذلك الوقت حتى نال شهادة الثانوية ثُمَّ دخل كلية الحقوق بتوجيه من خاله ظافر القاسمي، وقد نال شهادتها سنة ١٩٤٨م، ثمَّ درس تاريخ الأدب العربي، وكان فرعاً جديداً في جامعة دمشق وحصل على شهادته وقد تولَّى القضاء وتدرج في رئاسته وتفتيشه إلى أن صار مستشاراً في محكمة النقض بدمشق حتى التقاعد، وبعد ذلك صار مستشاراً قانونياً في وزارة الدفاع.

وقد اعتنى ــ حفظه الله ــ من صغره بمطالعة الكتب وبتوجيه من خاله ظافر القاسمي حيث كان يحفظ الشعر وفرائد القصائد، وروائع النثر مما كان له الأثر في حصيلته الأدبية.

=

«آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل»، مُذَيَّلة بتوقيع: محمد بن ناصر العَجْمي، وهو أحد علماء الكويت وباحثيها، ورغب إليَّ فيها أن أَكتب مقدّمتها قبل طَبْعها. ولَمَّا كنتُ لست بصاحب قلم قادر، وبيان حاضر، ولم أَتعرَّض من قبل لمثل هذا التكليف؛ تردَّدتُ في الجواب على رسالته والاعتذار عن تكليفه إلى أن صَحَّ مني العزم أن أَكتب مُلبِّيًا رغبته، مُحَقِّقًا أُمنيته مهما كان قلمي عاجزًا، وبياني قاصرًا، وعُدَّتي من الكتابة مفقودة، بل منكُورة غير مذكورة، مجهولة غير معروفة ولا مألوفة.

عرفتُ الأستاذ العَجْمي منذ سنة ونيِّف يوم أتى دمشق لدراسة العائلة القاسميَّة من خلال كتبها ورسائلها، وبعض أبحاثها، وزار المكتبة

= كما كان مواظباً على حضور المجالس العلمية التي كانت تضم كبار تلاميذ جده من جهة والدته الشيخ جمال الدِّين القاسمي، وهم: محمد كردعلي، والشيخ محمد بهجة البيطار، ومفتي الحنابلة الشيخ محمد جميل الشطي والشيخ حسن الشطي، قاضي دمشق، وعز الدِّين التنوخي، والشيخ قاسم القاسمي، وقد كان حضوره لها من سنة ١٩٣٥ إلى سنة ١٩٤٩م، وحينما سألته عن هذه المجالس قال: «كان يحصل فيها مطارحات علمية ومساجلات أدبية ما زال أثرها يرن في أذني حتى الآن».

وللأستاذ المفضال بعض المؤلفات التي لم تطبع بعد، وهي:

١ ــ «الطريف والتليد» في نحو مجلد.

٢ ــ «ديوان شعر» مجلد أيضاً.

٣ ــ «المذكرات اليومية» في نحو أربعة مجلدات.

٤ ــ «السيرة الذاتية» له.

٥ ــ «السوانح» في مجلد لطيف.

حفظ الله الأستاذ سميح وأمده بالصحة والعافية.. آمين.

القاسمية المحفوظ فيها بعض المخطوطات والكتب، واجتمع بابن خالي الأستاذ محمد سعيد القاسمي القيِّم على ما بقي من المكتبة بعد توزيعها، واطلع على ما فيها من مؤلفات علمائها المطبوع منها والمخطوط. كما زارني في داري عدة مرات، ولكنني لم أستطع مدّ يد العون له بدراسته إلاَّ بالأقل من القليل يكاد لا يُذكر من رسائل مطبوعة، ومعلومات مجموعة، وحوادث مسموعة.

فاستخرتُ الله وتوكَّلْت عليه وكتبت ما أسعفني به القلم وما أنا بقادر عليه وعارف به، ثُمَّ لينتقد المنتقدون وليستنكر المستنكرون، فأنا أُقدِّم دراسة كُتِبَت عن آلي لأُمي، عن جدِّي علاَّمة الشَّام ووالده نادرة الزمان، وعن أخوالي النَّوابغ وأعمامهم النَّوادر وشيخ أُسرتهم القاسم.

كتبت وأنا أَجر ذيل التيه بأنهم أهلي، ولهم الفضل كل الفضل في دراستي الخاصَّة، وثقافتي العامَّة، ومعرفتي الشاملة، وتحرير عقلي، وإنارة دربي، وتنمية روح الاستقصاء والنقد.

أما مؤلف الكتاب الأستاذ العَجْمي فقد توشجت بيني وبينه أواصر المحبة والتقدير لاهتمامه ببيوتات العلم بدمشق، ولما لمستُ فيه من أدب جم، ولُطف معشر وأُنس مجلس، وقد تُوِّجتْ تلك السَّجايا بثقافة إسلامية صافية من الشوائب خالصة من نزعة العصبية.

تجشم الأُستاذ العجمي السفر من بلده الكويت إلى دمشق ومن دمشق إلى مكة المكرمة ليجتمع بأحد أعلام الأسرة المدرس النابه الفقيه المتمكن والحكيم الأديب الأُستاذ محمد بن عبد الغني القاسمي فزوده بما عنده من معلومات وما في ذاكرته من أقوال وأفعال ومناقب للعائلة.

هذا جهد الأُستاذ العَجْمي في دراسته للعائلة القاسميَّة، جهد لا يستطيعه بل لا يعرفه إلاَّ من عرف جهد المحقق وما يعاني، والجامع وما يُلاقي وقديماً قيل:

لا يعرف العشق إلاَّ من يكابده ... ولا الصَّبابة إلاَّ من يُعانيها

تراجم الرجال وسيرهم علم يحتاج إلى تأَنٍ ورويَّةٍ، علم محفوف بالمخاطر للمُخاطر، معروفٌ بالمكاره لمن أراد أن ينشد الحقيقة صافية وينشر الترجمة صادقة.

أخي الأستاذ العَجْمي أنت تعلم أن علم التراجم والسِّير كان وما زال محفوفاً بأغاليط مملوءاً بالخطل، تناقلته الكثرة الكاثرة من المؤلفين والباحثين والمحققين من أفراد الرواة سواء أكان ذلك عن طريق السماع أو التسامع، والندرة النَّادرة من عاصر من ترجم له أو كتبوا عنه، وهذا أمر ظاهر من مؤلفات المحققين والمتأخرين فقد صححوا ما كتب وحذفوا ما اختلق ونفوا ما أُشيع وأُذيع.

وإني لأَجزم وأنا فرح جزلان أن المؤلف الأُستاذ العَجْمي نجا من هذه الآفة، وأخلص النيَّة فيما كتب، واعتمد على مكتبة آل القاسمي وما كتبوه هم عن أجدادهم أو آبائهم أو أعمامهم، وشاطر المؤلف في صدق التَّرجمة والدراسة أصدقاء من كتبوا من علماء عصرهم وفقهاء زمانهم، ونوابغ أقرانهم وأترابهم، فجاء الكتاب في علم الترجمة والتحقيق فريداً من نوعه لا تناله شائبة، ولا يتطرق إليه شك، وقد أُخذت المعلومات من بيت آل القاسمي، ومن مكتبتهم العامرة ما نشر من محفوظها وحُفظ من مخطوطها.

أخي محمد بن ناصر:

أحببتَ دمشق وعشقتَ علماءها وتتبَّعتَ أخبار وسير من تود تدوين سيرهم وتعداد فضائلهم، ودراسة تُراثهم وما قدموا للمكتبة العربية الإسلامية، فبدأت بالقاسميين فأشعرتَ من قرأ كتابك وقرأ ما أنجزت ونشرت وحققت، بل انتزعت من صدور قارئيكَ ونفوسهم الإقرار بفضلك وإخلاصك والدِّقة في التحري والتحقيق والانتقاء، فأنت في كتابك الأول الذي أهديتني عن:

١ ــ **«حياة العلاَّمة أحمد تيمور باشا»**: قد قدمتَ للمثقفين القدامى والمُحْدَثين صورة عن هذا العالِم الجليل لم تكن واضحة عند الكثرة الكاثرة من المثقفين، رجل وهب حياته وعقله وماله لجمع التراث العربي من الكتب النادرة والمخطوطات المجهولة والمطبوع من كل علم وفن.

وأنت في تحقيقك للكتاب الثاني:

٢ ــ **«الألفية في الآداب الشرعية»** للإمام شمس الدِّين ابن عبد القوي الحنبلي: قد أسديتَ لطلاب العلم وللمستزيد من الثقافة والأدب وللموجِّه المرشد خير مرجع، وألطف مورد وأجمع كتاب. قدَّمت منظومة المؤلف الشعرية المتضمنة الآداب الشرعية والأحكام الفقهية للجيل المعاصر.

وأنت في نشرك بعد التحقيق وطباعتك بعد البحث والمقارنة والتدقيق لكتاب:

٣ ــ **«سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث»** للإمام ابن عبد الهادي: أغنيتَ المكتبة الشرعية بآراء وقع كثير من الفقهاء في دوامة البحث

والجدل في التحريم والتحليل والجواز وبطلانه فهو لا شك مرجع هام لرجال القضاء الشرعي، ولمن يتصدون لمعالجة هذه القضايا الشرعية والقانونية.

وأنت يا أخي في تحقيق كتاب:

٤ ــ **«بداية العابد وكفاية الزاهد»** في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: نشرت أسهل مرجع وأوضح طريق لمن أراد التعبد على مذهب الإمام حنبل دون الرجوع إلى الشروح والمطولات.

أما كتابك عن:

٥ ــ **«علاَّمة الشام الشيخ عبد القادر بن بدران حياته وآثاره»**: فقد كنتَ فيه العالِم الوفيّ والباحث المخلص والمحقق الموثوق، ويكفيك فضلاً أنكَ جمعت ما كَتب عنه علماء عصره فأنصفوه، وما ترجم له المؤرخون فخلدوه، وما أعطوه هو الجزء اليسير من حقِّه كمحدث كبير، وفقيه وشاعر، ومؤرخ وساعٍ عظيم في تجديد النهضة الدينية العلمية مع عفة يدٍ ولسان.

وليست الكتب التي ذكرتُها هي حصيلة جهد الأستاذ العَجْمي، ولكنني أتيت على جزء يسير منها، فللمؤلف أكثر من عشرين كتاباً قام في دراستها وتحقيقها ونشرها، فهي إن دلت على شيء فإنما تدل على جهد جاهد بذله المؤلف في دراسة التراث الإسلامي وإخراجه في ثوب جديد يدفع الدارس إلى الانتفاع به، بعد المقدمات الأولية والتعريفات الضرورية، في زمن يحتاج فيه الجيل المعاصر إلى من يشوِّقه بأسلوب يحمله على الالتفاف نحو تراثة الديني والتاريخي والحضاري.

أخي الأستاذ العَجْمي :

كنتُ أتمنى أن أكتبَ وأطيل الكلام عن جهدك الجهيد فيما كتب عن القاسميين وحبَّرت وتأنّيت فيما حققت، وإن كانت كتبك المطبوعة والمنشورة تشهد على إخلاصك ووفائك للعلم والعلماء فهي تعطي المثل الأمثل على جهد العلماء والمحققين في سبيل إلقاء الضوء على تراثنا وعلمائنا وروّادنا .

أنت في جهودك المبذولة لم تخدم العلم والعلماء بل تكرم العلماء العاملين في شتى العصور، وإنني على يقين تام والشواهد أكثر من أن تعدّ وتحصى أنهم لم يكرموا من معاصريهم، بل ذاقوا من مرارة المخالفين لآرائهم والمبغضين لتفجر عبقرياتهم وتفتح أذهانهم، فهنيئاً لك في منهجك العلمي وهنيئاً لكل من نشر العلم من موارده .

أخي العالم :

لن أوفيك حقكَ في التقريظ والإطراء مهما أجهدتُ نفسي، وهصرت قريحتي وحمَّلت قلمي جهداً لا يستطيعه وواجباً لا يحسنه ويتقنه .

والله يتولاك بعنايته ويبقيك سنداً وذخراً للعلم ومؤلفاً وناشراً للتراث ومجاهداً مخلصاً لأمته ودينه . . آمين .

دمشق : الخميس ١٢ صفر ١٤٢٠هـ

٢٧/٥/١٩٩٩م

سميح الغبرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رفع بالعلم أقوامًا، ووضع به آخرين؛ وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد المرسلين وخاتم النَّبيِّين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّـا بـعـد:

فإن في دمشق الشام بيوتات علمية عريقة شهيرة رفيعة، قد أنجبت جمعًا من العلماء الأجلاء، والأُدباء الفضلاء، وقد تسلسل في كثير من هذه البيوت أهل العلم والفضل، فمن تلك الأسر: آل الخطيب الذين توارث بعض علمائهم الخطابة في الجامع الأموي، وبنو الكُزبري الذين اشتهروا بعلم الحديث النبوي، وعلوِّ السَّنَدِ فيه، وتدريسهم له تحت قُبَّة النَّسْرِ بالجامع الأموي، وآل الأُسطواني الذين تولى غير واحد منهم القضاء بدمشق، وأسرةُ بني عابدين المعروفون بالفقه الحنفي، وآل الشطي الحنابلة المتميزون بمعرفة الفقه الحنبلي وعلم الفرائض، وبنو العطار المشهورون بالعلم، وبنو البيطار الذين خرج منهم أجلة من العلماء والشُّعراء، وآل الحلواني الذين كانوا مشايخ القُراء، وغيرهم من تلك

الأُسر العلمية العريقة بدمشق التي بقي بعض سلائلها الدَّالة على أسلافها.

وإن من تلك البيوت الأصيلة الجليلة في العلم السَّادة آل القاسمي؛ فهم بيت علم وأدب، ومقام علمي رفيع، مع ما حباهم الله به من شرف النَّسَبِ، فهم كما قال العلاَّمة الشيخ عبد الحفيظ الفاسي المغربي: «**بيت شرف وعلم، ومجد وفضل تعدد فيهم العُلماء والصُّلحاء والأُدباء**»[1].

ولم يكتفوا بهذا النسب الشريف؛ وإنما جمعوا إليه العلم والنبل.

وواسطة العقد في هذا البيت، وقلادة النَّحْرِ وبيتُ القصيد فيه هو الإمام العلاَّمة محمد جمال الدِّين القاسمي، الذي بَزَّ أقرانه، وفاق أبناء عصره وزمانه، أحد كبار حملة العلم والإصلاح في القرن الماضي.

ولم أر من جمع شيئًا حول هذه الأُسرة العلمية وترجم لعلمائها وفضلائها.

وقد أحببت في هذه العجالة اللطيفة أن أُشير إلى نُبْذَةٍ من ذلك مرتبًا لها على ما يلي:

١ ــ ذكر نسبهم وجدهم الأعلى.

٢ ــ ترجمة الشيخ قاسم الحلاَّق الذي يُنْسَبُ إليه آل القاسميّ.

٣ ــ ذكر أبناء الشيخ قاسم الحلاَّق.

٤ ــ الشيخ محمد سعيد القاسميّ والد الشيخ جمال الدِّين وذريته.

٥ ــ الشيخ عبد الرحمن القاسمي.

٦ ــ الشيخ محمد القاسمي وذريته.

---

(١) «معجم الشيوخ» له (١/ ١٧٨).

٧ ـــ الشيخ عبد الغني القاسمي وذريته.

ثم أتبعت هذه النُّبذة عن آل القاسمي برسالة لجمال الدِّين في ترجمة والده، وهي بعنوان: «بَيْتُ القَصيدِ في ترجمة الإمام الوالدِ السَّعيدِ» وأصل هذه التَّرجمة هو ديوان شعر لوالده وقد صدَّره بترجمة له[1]؛ واكتفيت منه بالترجمة دون إيراد الشعر؛ إذ لو أوردته لطال المقام، وهذا الديوان مع الترجمة يقع في ١٣٨ صفحة وهو بخط مصنفه، والترجمة فيه من أوله إلى صفحة ٢٣، وانتهى منه في سنة ١٣١٨هـ، ولكن يبدو أنه أعاد النظر فيه بعد هذا التاريخ كما هو واضح من الشطب ومن بعض الإضافات والهوامش.

وقد ذكرت بعد هذه الترجمة ثلاث تتمات:

الأولى: نماذج من خط الشيخ محمد سعيد القاسمي وعناوين بعض كتبه بخطه.

الثانية: في نسب الشيخ محمد سعيد القاسمي من جهة والدته.

الثالثة: نماذج من شعره.

هذا كله بعد كلمة: «أما بعد» وأما كلمة: «أما قبل» فالشكر الجزيل مقرونًا بالدعوات بالعمل الصالح الرشيد والعمر المديد لحضرة الأستاذ الكريم ربيب العلم العم الشريف محمد سعيد بن محمد ضياء الدِّين بن الشيخ جمال الدِّين القاسمي الدمشقي الذي فتح لي قلبه وبيته ومكتبته فجزاه الله عن أعماله السَّامية ببلوغ ما يتمناه في الدُّنيا والنشأة الثانية.

---

(١) انظر ما يأتي: (ص ١٩٥، ١٩٩).

كما لا يفوتني شكر حضرة الأستاذ القاضي النبيل/ سميح الغبره سبط الشيخ جمال الدِّين القاسمي؛ وذلك لما لقيته منه من كريم الخلق وما تفضل به من كتابة مقدمة لهذا الكتاب.

وصلَّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد لله ربِّ العالمين.

محمد بن ناصر العجمي

الكويت - الجهراء المحروسة

١٤/١١/١٤١٩هـ - ٢/٣/١٩٩٩م

ذِكْرُ نسبهم وجدهم الأعلى

يرجع نَسب السَّادة القاسمية إلى الشَّجرة النَّبوية الطَّاهرة المنتهية بالحسن بن علي وذلك من طريق الشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي.

وقد نزح جدهم السادس أبو بكر قاسم بن عمر الكيلاني من نحو ثلاثمائة سنة هو وأخ له اسمه محمد الكيلاني من بغداد، ولما وصلا إلى حدود الشَّام نَزَلَ أحدهما وهو جد آل القاسمي (قاسم أبو بكر) في دير عطية من جبال القلمون، فَأَحبَّها، وأقام بها، وصار له تلامذة كثيرون وأصدقاء، وانتشرت عائلته فيها، وهي في دير عطية تعرف بعائلة (بكر) إشارة إليه، ويبدو أنه كان عالمًا كبيرًا في المنطقة المذكورة؛ حيث كان له تلامذة كثيرون يعرفون بتلامذة الشيخ بكر، وهكذا سُمِّيت بعائلة بكر، وقد ذُكِرَ في شجرة نسب آل القاسمي أنَّه (دفين دير عطية).

وأما الأخ الثاني وهو الشيخ محمد فَنزل في قرية قريبة من أخيه اسمها: (حُلَى) من أعمال قضاء النبك، وأقام بها، ثُمَّ رحل من ذريَّته وذريَّة أخيه السابق ذكره فروع إلى دمشق وعدرا التابعة لقضاء دوما، وأقاموا أخيرًا كلهم في دمشق واتخذوها وطنًا، ولا يزالون حتى الآن، ومن ذرية الشيخ محمد الذي كان يسكن في (حُلَى) آل الخطيب؛ الذين تولوا الخطبة والتدريس في الجامع الأموي.

ومع مرور الزمن صار الذين يطلبون العلم عند جد آل القاسمي الشيخ قاسم يعرفون بالقاسمي نسبةً إلى شيخهم، وهكذا تغلَّب القاسمي على الكيلاني، كما تغلَّب على آل محمد الكيلاني كلمة الخطيب(١).

هذا هو نسب أُسرة آل القاسمي عمومًا، وأما بالنسبة للشيخ محمد سعيد ابن الشيخ قاسم ووالد الشيخ جمال الدِّين، فإن والده الشيخ قاسم كان قد تزوج أربعًا إحداهنَّ والدة الشيخ محمد سعيد وهي شريفة النسب إذ أنها حفيدة السيد الدسوقي الحسيني(٢)، فالشيخ محمد سعيد وأبناؤه قد حازوا شرف النسب من الطَّرفين.

* * *

---

(١) هذه المعلومات عن نسب آل القاسمي كتبها بخطه الشيخ المعمر العالم أحمد بن محمد القاسمي، المدير العام للأوقاف الإسلامية في سورية رحمه الله تعالى، المتوفى سنة (١٤١٤هـ)، وقد كتبها في ثلاث ورقات بخطه الأنيق، وذلك سنة (١٤٠٧هـ) إجابةً لمن سأله عن نسب آل القاسمي، وقد تكرَّم بتصويرها الدكتور محمد مطيع الحافظ، جزاه الله خيرًا.

(٢) «شرف الأسباط» لجمال الدِّين القاسمي (ص ٦٣).

ترجمة الشيخ قاسم
الذي يُنْسَب إِليه آل القاسمي

أَلَّف العلاَّمة الأديب الشيخ محمد سعيد القاسمي ابن الشيخ قاسم في ترجمة والده كتابًا بعنوان: «الثَّغْرُ الباسم بترجمة سَيِّدي الشَّيخ قاسم» وذلك بإِشارة ولده الشيخ جمال الدِّين حيث يقول بعد الديباجة: «. . . لذلك أردت أن أترجمه وأذكر ما له من محاسن الآثار، وإِن هي اشتهرت كاشتهار الشمس في رائعة النهار، ولكن بعدما حثني على ذلك ولدي لصلبي، وثمرة فؤادي القلبي محمد جمال الدِّين أبو الفرج، فتح الله عليه. . .».

ثُمَّ قال: «هو بَرَكَةُ الشَّامِ، العَالِمُ العَامِلُ والأستاذ الفقيه الكامل، الوَرِع الصَّالح، المُرْشد النَّاصح، الشيخ قاسم بن صالح بن إِسماعيل بن أبي بكر الشهير بالحلاَّق، الدِّمشقي.

كان رضي الله عنه عالمًا فقيهًا مُحدِّثًا، وَرِعًا صالحًا، عفيفًا زاهدًا، لطيف المُحاضرة، جميل المُذاكرة، غزير الحكايات العجيبة، والنَّوادر الغريبة، مع الصِّدْقِ والأمانة والاحتشام، والتمسك بالسنَّة المُطهرة بأوثق

زمام، حسن الخَلْق والخُلُق، لَيِّنَ الجانب، بارًّا بأهله وأرحامه، وكان شيوخه يثنون عليه خيرًا، ويُحبونه، ويصلونه بأنواع البِرِّ ويُواصلونه، وإذا تأخر لِعُذْرٍ تفقدوه، وإن أتاهم احتفلوا به وأجلوه.

وُلِدَ رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين وإحدى وعشرين (١٢٢١هـ)، ونشأ في حِجْر والده حتى شبَّ، وتعلَّم القرآن، وأخذه عن أهله بالتجويد والإتقان، وكان في صغره يصحب الشيوخ المسنين، والعلماء والصالحين.

أما والده الشيخ صالح فكان من الأتقياء الزَّاهدين الكرام، فولد له ابنه الشيخ قاسم المذكور، وكان رحمه الله غزير العبادة والصَّلاح، وديدنُه كثرة الدعاء له بالعلم والفلاح؛ فاستجاب المولى دعاءه، وحقَّق فيه رجاءه، حتَّى بلغ مع صغر سنِّهِ الغاية في الصلاح والتقوى والهداية.

وكان يكتسب رحمه الله تعالى في صنعة الحِلاقة إلى سنة أربعين، كما أخبر عن ذلك مرارًا بيقين، وفي تلك السَّنَة ترك تلك الصنعة ومضى، وبقيت العدة عنده يحلق لبعض شيوخه عند الاقتضاء، إلى أن استعدَّ لطلب العلم أيَّ استعداد، واجتهد لتحصيله أيّ اجتهاد؛ فحضر دروس كبار العلماء من الأساتذة المُعتبرين، والجَهَابِذَةِ المُحققين، فأول من لازم عليه، وانتفع بالقراءة بين يديه السيد العلاَّمة والأديب الفهَّامة، السَّيد الحسيب، والنَّجيب النَّسيب، فرع الشَّجرة الدّسوقية، وثمرة الأغصان النَّبوية، خال والدي الشيخ صالح بن الشيخ محمد الدَّسوقي؛ فإنه أخذ عنه الفروع والأصول، والمعقول والمنقول، وغير ذلك من العلوم، حتَّى

تمكن في المنطوق منها والمفهوم». ثُمَّ ذكر أنه أخذ أيضًا عن والده الشيخ محمد الدَّسوقي.

ثُمَّ قال: «وأخذ طرفًا من العلوم العقلية عن عُمدة علماء الدِّيار الشَّامية أبـي حنيفة زمانه، وسيبويه وقته وأوانه الأُستاذ الشيخ سعيد أفندي الحلبـي فقرأ عليه جُملاً من فن المعقول، وشيئًا من الآداب والأُصول، ولاحت عليه علامة النَّجابة والقبول، وكان محبوبًا عنده ومُقدَّمًا ومحترمًا لديه ومُكرَّمًا...

وأخـذ الحـديـث وغيـره عـن خـاتمـة المُحَـدِّثيـن، وبقيـة السَّلـفِ الصَّـالحيـن، علـم الأعـلام، وشيـخ الشيـوخ فـي الشَّـام العـلاَّمـة الأُستـاذ عبد الرحمن الكُزْبري، فإنه أخذ عنه «صحيح البخاري ومسلم» رواية ودرايةً، وبقية الكتب الستة رواية، وحضر عليه كثيرًا من كتب الفقه وغيرها من العلوم كالتوحيد، والتفسير، ولازمه ملازمة فطِنٍ نحرير، وأجازهُ بجميع ما تجوز له روايته وتصح عنه درايته، وكتب له بخطِّهِ إجازةً بديعةً حاويةً...».

ثُمَّ ذكر أنه رحل إلى الحَجِّ واجتمع ببعض علماء الحرمين، ومنهم: الشيخ يوسف المالكي الصَّاوي المدرس بالمسجد النَّبوي، وقد كتب له الإجازة بخطه وختمها بختمه.

ثُمَّ قال: «ورحل إلى مصر القاهرة مرَّات، واجتمع ببعض أعيان علمـائهـا الثِّقـات، مـن أجلّهـم: الشيـخ الإمـام ذو التـآليـف العـديـدة، والتصانيف المُفيدة، رئيس علماء الأزهر الأُستاذ الباجوري إبراهيم، فإنه اجتمع به وأثنى على فضله وأدبه، وكتب له عام (١٢٧٠هـ) إجازةً بها يتغالى. ومنهم: الفاضل النِّحرير، والعلاَّمة الكبير الشيخ مصطفى المُبلِّط؛

فإنه اجتمع به وأجازهُ إجازةً بخطه تحت إجازة الشيخ الباجوري. . . »[1].

وقد ذكر ابنه الشيخ محمد سعيد أنه أخذ الطريقة الرِّفاعية وغيرها من الطرق عن بعض شيوخها؛ متأثرًا في ذلك بعصره، وبعض شيوخه الذين اشتهرت عندهم تلك الطرق التي لم تكن على عهد العلماء الكبار من متقدمي هذه الأمة كأبـي حنيفة، ومالك، والشَّافعي، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى.

* * *

(١) «الثغر الباسم بترجمة الشيخ قاسم» (ص ٣ ــ ١٠ ــ نسخة المكتبة القاسمية)، وسيأتي ذكر الإجازات التي تلقاها عن شيوخه (ص ٣٥).

تدريسه والمساجد التي أَمَّ فيها

يقول ابنه الشيخ محمد سعيد القاسمي في كتابه «الثغر الباسم»: «ثُم أخذ رحمه الله تعالى في الاشتغال في التعليم والتأديب والإفادة والكتابة والتهذيب، ودرَّس أولاً في جامع سيباي[1] برهة من الزمان، ثُمَّ إمامًا وخطيبًا بجامع حسان[2]؛ وفيه كانت شهرته وداره، ووطنه ومسكنه

---

(١) قال الشيخ جمال الدِّين القاسمي في تاريخه المسمى بـ «تعطير المشام في مآثر دمشق الشام» (٢/ ١٨٩ ـ نسخة المكتبة القاسمية)، حينما ذكر مساجد دمشق: «جامع السيبائية خارج باب الجابية، أنشأه نائب السلطنة بالشام سيباي الذي كان أمير السلاح بمصر، وابتدأ بعمارته من سنة (٩١٥هـ) وأتمه في سنة (٩٢١هـ)، وضمَّ إليه مدرسة وزاوية وتُربة، وبناه بالحجر الأبلق والرُّخام، قال العلموي: ولم يدع بدمشق مسجدًا مهجورًا ولا مدفنًا معمورًا إلاَّ وأخذ منه من الأحجار والآلات والرُّخَام والعواميد ما أحبَّ وأراد وتقلَّد ذلك حتى سماه علماء دمشق: جمع الجوامع».

(٢) قال الشيخ جمال الدِّين القاسمي في «تعطير المشام» (٢/ ١٨٠، ١٨١): «جامع حسان، بناه الأمير الأجل الأسفهسلار المقر نجم الدِّين محمد أبو طالب بن علي سنة (٥٧٥هـ)، وذكره ابن عساكر عند ذكره مساجد دمشق، فقال: مسجد في قصر حجاج، كبير على باب قناة بناه الأمير علي كرد وجدَّده ابنه الأمير أبو طالب، له إمام ووقف. اهـ، ثُمَّ أُضيف هذا الجامع إلى الخطيب العدل عبد الله بن حسان ابن رافع خطيب المصلَّى لكونه كان قاطنًا فيه، توفي سنة =

وقراره، إلى أن توفي إمام الشَّافعية في جامع السِّنانية[1]، وهو الشيخ عبد الله ابن الشيخ مصطفى الكردي؛ وذلك سنة تسع وسبعين بعد المائتين والألف (١٢٧٩هـ)، فاجتمع جمٌّ غفير من أهل محلة وجيران جامع السِّنانية، وأتوا لصاحب الترجمة بتلك الجمعية الكلية، وأخذوه معهم من جامع حسان إلى جامع السِّنانية، وقالوا: لا نريد سواك إمامًا بجامعنا، ولا ينبغي إلَّا إيَّاك رئيسًا على محلتنا، فباشر فيه الصَّلوات الخمس مع التدريس بالتقرير اللطيف الفائِق النفيس؛ فبدأ بقراءة «رياض الصالحين» للإمام النَّووي مفيد الطَّالبين، وأنا الفقير كنت مُعيدًا عنده، إلى أن أتمه بعد مُدَّة، ثُمَّ بعدما أتمَّ «الرياض» شرع بقراءة «المواهب اللدنية»، وكان رحمه الله تعالى طلقَ اللِّسان، جيِّد التقرير، فصيح العبارةِ، حسن التَّعبيرِ، لا يخلو درسُه من نكتة لطيفة، تَسُرُّ الحاضرين، وموعظة حسنة تردع المُسرفين، فَعَمَّ نفعه أهل الشَّام، وحَسُنت سيرته لِحُسن سريرته عند الخاصِّ والعامِّ»[2].

= (٦٥٠هـ)، وسبق ذكره في فضلاء القرن السابع. وفي سنه (١٢٥٧هـ) تولَّى إمامته وخطبته سيدي الجد العلاَّمة الفقيه الورع الشيخ قاسم بن الشيخ صالح الحلاَّق، وأقرأ الدروس فيه وفي حجرته سنين عديدة، وفي سنة (١٢٧٥هـ) حصل في جدران الجامع وسقفه خلل فاحش أوجب نقضه، فبذل سيدي الجد قَدَّسَ الله سره وسعه لعمارته وتجديده، وعمل دفترًا لمساعدة أهل الخير، فنقض من أوله وجددت جدرانه، ولم يكن له إيوانان، في صحنه، بل كان له إيوان في جهته الشرقية، وكان حرمه واسعًا فلما جدد جُعِل له إيوانان مرتفعان على طراز غيره من الجوامع».

(١) سيأتي ذكر جامع السنانية والكلام عليه (ص ٤٧).

(٢) «الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم» (ص ١١ ــ ١٢).

وقال حفيده العلاَّمة الشيخ محمد جمال الدِّين القاسمي: «وكان يقرىء أولاً دروسه في جامع السيبائية ظاهر باب الجابية، ثُمَّ في سنة (١٢٥٧هـ) انتقل إلى جامع حسان، وباشر الخطابة فيه والإمامة وصار يقرىء فيه دروسه الليلية والنهارية. ثُمَّ في سنة (١٢٧٩هـ) طُلِبَ للإمامة في جامع السِّنانية، فأمَّ فيه إلى وفاته، وأقرأ الدروس فيه أيضًا بقية حياته، وكان درسه مجمع الفُضلاء، ومَحطَّ رِحال النُّبلاء، وكان غاية في التحقيق، حادَّ الفهم؛ حدثني بعض تلامذته أنَّه قرأ مرةً «الأربعين النووية» فلما وصل إلى حديث: «الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن. . .» بقي يتكلم عليه أسبوعًا، ويُبدىء في كُلِّ ليلة فوائد وأحكامًا لم يبدها قبل. ثُمَّ قال: ويكفي من الكلام على هذا الحديث هذا المقدار، وإلاَّ فما انطوى تحته من العلوم تَسَعُهُ الأسفار، ولقد أقسم سيدي الوالد الماجد بأنه لم ير على درس أحد من فضلاء العصر طلاوةً كالطَّلاوة التي كان يشاهدها من تقرير سيدي الجد، لما حوى من الرِّقَّة والانسجام، وحُسن التأدية»[1].

صفاته والثناء عليه وإجازاته عن شيوخه:

يقول حفيده الشيخ جمال الدِّين القاسمي: «وتصدَّرَ للإقراء والإفادة في حياة شيوخه، واشتهر تقدمه في حلبة الفضائل، وقوة رسوخه، وصار عين زمانه، وإنسان أوانه، وحببه المولى إلى جميع الأنام الخاصِّ والعامِّ.

وكان قُدِّس سره بارعًا مُحققًا وناقدًا مُدققًا، له المهارة الجيدة في فنون متعددة، صاحب ذهن مُتوقد في فهم المُشكلات، غوَّاصًا على المعاني الدقيقة، قوي الحافظة للنكت الرقيقة، أنبه أهل عصره في الفقه،

(١) «تعطير المشام» له (١/ ٤٦٢).

وإليه النهاية في الاطلاع على مسائِله وقواعده، مُتواضعًا مُتورِّعًا، مُتحليًا بالقناعة، مُتخليًا للطَّاعة، لذيذَ العشرة والمُذاكرة، لطيف الصُّحبة، شهي النُّكتة والنَّادرة، على جانبٍ نفيسٍ من نشر العلم والتدريس، فَرْدَ وقته في رقة الكلام وجزالته، وعذوبة اللَّفظ وسهولته، له مُحاضرة تأخذُ بمجامع القلوب، ومُذاكرة طيبة تسكر منها العقول، وللعيون في محاسن وجهه مرتع، وللأرواح بها مستمتع، سالكًا طريق من سلف، لين الجانب، مُعلِّمًا ناصحًا، كريم النَّفس، رقيق الطبع، مع فصاحة لسان، وطلاوة بيان، وبنانٍ نبيه الذكر، مجللاً عند عامَّة الناس وخاصَّتهم، صيتُ صلاحه طار بأجنحة الغناء في الأقطار، حسن الأخلاق، لطيف الذات والصفات، وافر الأدب، متمسكًا بآداب الشريعة، عظيم التَّحرِّي في أمور العبادة، كثير المداومة على عمل البِرِّ. وله شعر حسن الرَّوْنَق، بديع الأسلوب، عليه طلاوة رائقة، وبهجة فائقة، جيِّد السَّبْكِ، حسن المعنى، لم يصرفه لمدح كريم، ولا تغزَّل بمليح كريم.

وكان قُدِّس سره كثير الصَّمت، حسن السَّمْتِ، عليه جلالة العلم، وسكينة الفضل، مُكبًّا على الإفادة، لا يخالط الوزراء، ولا يتردد على الأُمراء، راغبًا في الآخرة، زاهدًا في الدنيا، قانعًا بالكفاف، وعاكفًا في حرم العفاف، لم تستفزَّهُ الأهواء الدنيوية، ولم يبع دينه بالدنيا الدنيئة، ولم يرحل لطلب وظائف ومُرتبات، منقطعًا عن النَّاس، غني النفس، مبارك الأنفاس، اجتمع به حسن التقرير، وتحبير التأليف والتحرير، وتَفَنَّنَ في العلوم العقلية والنقلية، والفرعية والأصلية؛ فأخذها عن أهلها، وأوصل الأمانة إلى مَحَلِّها، وكان الشيوخ يثنون عليه بما هو أهله من الفضل التَّام، ومزيد الجلالة والاحترام.

وبالجملة فكل من عاصره معترف له بالتفوق، ومقرٌّ له بالتقدم، وقد حصل له من حميد الذكر، وجميل النَّشر ما لا تزال الرواة تدرسه، والتواريخ تحرسه، تغمده الله بغفرانه، ومهَّدَ له في أعلى جنانه»[1].

وقال أيضًا: «ولزم مُحَدِّثَ عصره الشيخ عبد الرحمن الكُزبري، وكان من أخص تلامذته وأحبائه، وكان له أجلَّ سمير في كل رحلة ومسير، وكان ينوه بفضله وصلاحه، وينشر ألوية نبله ونجاحه، حتى إنه مرة قرأ في جامع السِّيبائية «رياض الصالحين» فقال له شيخه المذكور: أخبرني ليلة ختم الكتاب لأحضره مع بعض المحبين وليكن ختمك له في جامع السِّنانية لا في جامع السيبائية، ثُمَّ ذكر لشيخه ليلة الختام فدعا له رحمه الله سائر علماء الشَّام، وصار محفلاً لم تسمح بنظيره الأيام، وقال له: أردت التنويه بفضيلتك، وإعلاء مزيَّتك»[2].

* * *

وقال أيضًا: «كتب له شيخه المذكور ــ يعني الكُزْبري ــ إجازة سَنِيّةً بسائِر مروياته العَليّة مؤرخة في سنة ١٢٥٢هـ».

وهذا نص تلك الإجازة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الإجازة في العلم للطالب رأسَ مالٍ كبير، يربح به في مطالبه الرِّبح الغزير، ويستدرك ما فاته من سماع أو قراءةٍ ويستخرجُ الكثير، ويفوز بالاتصال بشيوخ الإسناد من كل إمامٍ شهير،

---

(١) «تعطير المشام» (١/ ٤٥٩، ٤٦٠).

(٢) «تعطير المشام» (١/ ٤٥٦).

والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد سَنَد العوالم البشير النذير، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى آثارهم واُغترف من فيضهم النَّمير.

أما بعد:

فإن الفاضل النَّبيه، والكامل الوجيه، العالمَ الصَّالحَ، العامل الفَالح، معدن التَّقوى والدِّيانة، ومنبع الخير مع رصانة ورزانة، وصدقٍ في تحمُّل الأمانة، الذي هو بما أُمِرَ به قائم: جناب الشيخ قاسم بن المرحوم الشيخ صالح الشَّافعي الدِّمشقي الشهير بالحلَّاق، حفظه الله تعالى وأدام توفيقه لما يرضاه، ورقَّاه منازل من يخشاه، ونفعه ونفع به، وجعله من أهل خاصَّته وحزبه، آمين، قد حضر بعض دروس العبد الفقير حضور فطن نحرير، وسَمِعَ من لفظي رسالة شيخ مشايخنا المُحَدِّث الشهير الشيخ إسماعيل العجلوني الجرَّاحي التي استخرجها من أربعين كتابًا من كتب الحديث وسمَّاها: «عقد الجوهر الثَّمين في أربعين حديثًا من أحاديث سيِّد المرسلين»، وأجزت له روايتها، ورواية كل كتاب استخرج منه حديث فيها.

وسَمِعَ مني «صحيح الإمام البُخاري» بطرفيه غير أفواتٍ يسيرةٍ، أجزت له روايتها كسائر الصحيح المذكور.

وسَمِعَ من لفظي أيضًا جميع هذا «الثَّبَتْ» وقابل نسخته هذه على أصلي.

وأجزتُ له رواية كل كتاب أو حديث أو فائدة حواه، ككل ما يجوز لي روايته مما أخذته عن سيِّدي وسندي الشيخ الإمام الوالد رحمه الله تعالىٰ، وعن سائر مشايخي من العلوم الحديثيَّة والتفسيريَّة والفقهيَّة وآلاتها المرضية، وبالأذكار والأوراد، وصِيَغِ الصَّلوات على سيِّدنا رسول الله ﷺ، وذلك بشرط التثبُّت في النقل والاحتياط، وعدم الاعتماد إلَّا على النُّسخ المُصحَّحة المقابلة على أصل معتمدٍ.

وإني أوصيه بما أوصاني به شيوخي الأكرمين قدَّس الله أسرارهم أجمعين، وهو تقوى الله ومراقبته في السِّرِّ والعلانية، ودوام الاشتغال بالعلم النافع تعلُّمًا أو تعليمًا، والعمل الرافع المسلك صراطًا مُستقيمًا، والإكثار من ذكر الله تعالى والصلاة على سيدنا رسول الله مع صلَّى الله عليه وسلَّم. وأرجوه أن يتذكرني ووالديّ وأولادي بصالح الدعوات في مظان الإجابات سيما بالعفو والعافية، والسِّتر في الدنيا والآخرة، وحُسْنِ الخاتمة بعافية، ولقاء الله تعالى على كلمة التَّوحيد. والله تعالى ذو الفضل والإنعام، وتبليغ المقاصد في المبدأ والختام، وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد مُمد[1] العالمين وعلى آله الطَّاهرين، وصحابته الأكرمين كل وقت وحين ما اتصلت لطالب سلسلة الإسناد، وفاز بالبغية والمراد، آمين.

قاله بفمه ورقَمَهُ بقلمه مُحِبُّ العلماء العاملين، ومحسوب السَّادة الفُقراء الكاملين، العبد الفقير إلى مولاه الغنيّ الكبير، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الشَّافعيّ الدِّمشقي، الشَّهير بالكُزْبري[2] المُنعم عليه بالجلوس في بقعة المُحَدِّثين تحت القبة بجامع بني أمية عفا الله عنه، وختم له بالحسنى، آمين.

في نهار الخميس الثاني عشر من شهر شوال سنة اثنين وخمسين

---

(١) هذه اللفظة ليس لها أصل في السنَّة المطهَّرة، فالأولى ترك مثل هذه الألفاظ، خصوصًا إذا عُلِمَ أنَّ المُجيز صاحب طريقة، والله أعلم.

(٢) توفي مُحدِّث الدِّيار الشَّامية في عصره الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الكزبري سنة (١٢٦٢هـ). انظر ترجمته في: «حلية البشر» للشيخ عبد الرزاق البيطار (٢/ ٨٣٣)، و «فهرس الفهارس» للكتاني (١/ ٤٨٥).

ومائتين وألف[1].

* * *

كما أنه لما سافر إلى الدِّيار المصرية سنة (١٢٧٠هـ) أخذ الإجازة عن الشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر، كما أجازه كذلك الشيخ مصطفى المبلِّط أحد علماء الأزهر.

وهذا نص إجازة الباجوري:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

حمدًا لمن فتح أبواب الخيرات لمن قصر نفسه على طاعته، ولاحظ بعيون العنايات كل من التجأ إليه في سكونه وحركته، وصلاةً وسلامًا على سيدنا محمد واسطة فضائل الدِّين والدُّنيا، وعلى آله وصحبه الكائنة بهم كلمة الدِّين في الرُّتبة العُليا.

أما بعد:

فلمَّا كان العِلم أقوى سبيل للسَّعادة، وأَنتَجَ سبب للفوز بحقيقة السِّيادة، وأنهجَ معراج في التحقيق للمراتب السَّميّة، وأوضح منهاج لدى التوفيق للنجاة السَّرمدية، كيف وهو المتكفل بنظام حال العباد، والمتميز بالدلالة على ما فيه صلاح المعاد، فهو النِّعمة التي لا يقام بواجب شكرها؛ والمنقبة التي رُقِمَ على غرَّة الدَّهْرِ سرمديُّ فَخْرِها، والفضل الذي لا تحصر فوائده، والطول الذي لا تنتهي عوائِده، والنور الذي أشرقت به

---

(١) ذكر نص هذه الإجازة الشيخ محمد سعيد القاسمي في «الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم» (ص ٧٥)، وحفيده الشيخ جمال الدِّين القاسمي في «مجموعة لطيفة في نصوص إجازات شريفة» (ص ٣٥، ٣٧ ــ نسخة المكتبة القاسمية).

البرية، والسِّر الذي قامت به المصالح الدينية والدنيوية، وكان الأزهر بمصرنا بحر علم تلاطمت بالتحقيق أمواجه، وكهف فضل علت على الأسرار الباهرة والفتوحات القريبة أبراجه، شُدَّت للمهاجرة إليه من الآفاق رواحل الهِمَم، واستقبلت كعبة نفعه من سائر الأقطار جماهير الأُمم. وكان ممن ارتحل إليه، ورام الورود على ذلك المحيط الزَّاخر، ورجا أن يشمل بنفحات ما لهذا المسجد الزاهي من السِّر الباهر، **العلاَّمة المكين، وجبل الفضل الراسخ المتين، أَوْحَدُ وقتِهِ في العِلْمِ والفضائل، وأَمْثَلُ العلماء في مكارِمِ الأخلاق والشَّمائل، الهُمام الشَّهير، والعَالِم العامل النِّحرير، حضرة عين الأكابر وصَدْرِهم، وتاجُ الأصفياءِ وفخرهم، الألمعي الأكمل الشيخ** قاسم الدِّمشقي ابن الشيخ صالح الشَّهير بالحلاَّق، ولمّا تمتع بمحاسِنِ رياض أزهرنا، واغتنم من فضائل مصرنا، رام منا الإجازة بكل ما تجوز لنا روايةً ودرايةً من المنقول والمعقول، والفروع والأصول، ولما رأيناه لهذا الشأن من أفضل المواضع وأوقعها، وفاز من فضائل هذا المطلب السامي بأرفعها، أجبناه، وبكل ذلك أجزناه إجازةً عامَّةً، نفع الله به المسلمين، ولطف بنا وبه وسائر المُحبين.

الفقيرُ إلى مُصْلِـح أموري عبدُهُ إبراهيم الباجوري[1]

خادم العلم والعلماء بالأزهر

عُفِي عَنه وعن والديه وسائر المسلمين

* * *

---

(١) هو شيخ جامع الأزهر، من فقهاء الشَّافعية، له حواشٍ كثيرة في العقائد والفقه وغيرهما، توفي سنة (١٢٧٧هـ). «الأعلام» للزركلي (١/ ٧١).

كما كتب تحت إجازة الشيخ الباجوري الشيخ مصطفى المُبلِّط أحد علماء الأزهر ما يلي:

الحمد لله وحده، والصلاة على من لا نبـي بعده.

أمـا بـعـد:

فقد أجزت **رَيْحانَةِ العُلماءِ الأَعْلامِ، وحديقَةُ الصُّلحاءِ الفِخام، مولانا الشيخ** قاسم الدِّمشقي ابن الشيخ صالح الشهير بالحلَّاق بما أجازه مولانا بركة الجميع شيخ الأزهر أطال الله بقاءهما ونفع بهما النفع العميم.

الفقير إلى ربه مُصطفى المُبَلِّط الشَّافعيّ[1]، خادم العلم بالأزهر غُفِرَ لَهُ في ذي الحجة سنة (١٢٧٠هـ).

* * *

ولمَّا ذهب إلى المدينة النبوية المنوَّرة سنة (١٢٦٦هـ)، أخذ عن العلاَّمة المُحقِّق والفهَّامة المدقِّق الشيخ يوسف الصَّاوي المالكي الأزهري ثُمَّ المدني، وهذا نص إجازته:

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

الحمـد لله الـذي شَـرَّفَ العلمـاء بـالإسنـاد، إلـى أشـرف داعٍ إلـى الله وهاد، وأجازهم طرق الغي، وأسلكهم سُبُل الرشاد، ورفعهم على منابر العِزِّ، وخَلَعَ عليهم خِلَع القبول والرضوان والوداد، وأسكن محبتهم قلوب

(١) قال عنه العلامة الكتاني: «هو العلامة النحرير الشيخ مصطفى المُبلِّط، أحد مشاهير المُتأَخِّرين... مات رحمه الله سنة (١٢٨٤هـ)». «فهرس الفهارس» للكتاني (٢/ ٩٣٣).

عباده، وَتَوَّجَهم بتيجان كرامته، فأحبهم كل حاضرٍ وباد، أحمدُه سبحانه وتعالى حمدًا يوافي نعمه ويكافىء مزيده إلى يوم التَّناد، وأشكره شكر أهل العناية والسَّداد، وأشهد أن لا إلـه إلَّا الله وحده لا شريك له شهادة أنال بها غاية النَّوال والإمداد، وأشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمدًا عبده ورسوله سند أهل اليقين والإسعاد، صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطَّاهرين الأمجاد.

وبعد:

فقد التمس منِّي **المُحِبُّ الصَّالح، والزند القادح، والأُستاذ الفاضل، والعالم العامل، الكامل الشيخ** قاسم المشهور بالحلَّاق أن أُجيزه إجازةً عامَّةً، فمن أجل حسن ظنه أجبته لذلك، وإن لم أكن أهلاً لما هنالك، فقلت: قد أجزت مولانا الشيخ قاسم المذكور بجميع ما صحت لي روايته، أو ثبَتت لي درايته، من منقول ومعقول، خصوصًا بما حواه ثبت أُستاذنا الجليل الكبير أستاذنا العلَّامة سيدي محمد بن محمد الأمير طاب ثراه، آمين، وأسكنه أعلى عليين، طالبًا أن لا ينساني من صالح دعواته، لا في خلواته ولا في جلواته، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد الرَّؤوف الرحيم، ذي الخلق العظيم، وعلى آله الطَّاهرين، وصحابته أجمعين، آمين.

٢٨ في ذي القعدة سنة (١٢٦٦هـ) الفقير إلى الله تعالى يوسف الصَّاوي المالكي خادم العلم بالحرم النَّبويّ عُفِيَ عنه.

* * *

تلاميذه والآخذون عنه

يقول حفيده العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي: «أخذ عنه الخلق الكثير، وانتفع به الجمُّ الغفير...»[1].

ويقول أيضًا: «وقد قرأ على سيدي الجد فضلاء مشاهير، اتصل سندهم به. منهم: عين الأعيان الشيخ أحمد مسلَّم ابن الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري، ومنهم: العلاَّمة الشيخ عمر حفيد الشِّهاب العطَّار، ومنهم: نُخبة الفضلاء المرشدين السيد مرتضى ابن السيد محمد السَّعيد الحَسَني الجزائري، حدَّثني في بيروت ـ وكان نزيلها ـ أنه أخذ عن سيدي الجد، ومنهم: صفينا العلاَّمة التقيّ الأثري السيد أحمد ابن السيد محيي الدِّين الحسني الجزائري ثُمَّ الدِّمشقي، ومنهم: أُستاذي خال والدي نُخبة الفضلاء الفقهاء الشيخ حسن بن أحمد جُبينة الشهير بالدسوقي، ومنهم: بهجة الأعيان الفقيه النَّبيه الشيخ صالح أفندي قطنا مفتي دمشق الآن، ومنهم: العالم العامل، والتَّقي الكامل الشيخ أمين البيطار، إمام الحنفية بجامع السَّنانية.

ومنهم: ريحانة الألباء، وزينة الأدباء، المولى النِّحرير التَّقي الشيخ

---

(١) «تعطير المشام» (١/ ٤٦٠).

محمد بن محمد المبارك الجزائري ثُمَّ الدِّمشقي، ومنهم العلاَّمة المُتَفَنِّن الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ عبد الرحمن الطيبي مُفتي حوران، ومنهم: أخوه الفقيه الفَرَضي الشيخ محمود الطيبي، ومنهم: الوجيه الفاضل رضا أفندي بن إسماعيل أفندي الغزي، ومنهم: الأديب الشيخ رشيد المعصراني، ومنهم: الفقيه الأديب الشيخ محمود أبو الشَّامات، ومنهم: الفقيه الفاضل الشيخ عبد القادر بن الشيخ محمد ابن الشيخ عبد القادر الكُزْبري، وغيرهم ممن ذاع أثرهم وخبرهم، أغدق الله عليهم سحائب الرضوان، وأحلَّنا وإيَّاهم في رياض الجنان، آمين[(١)].

مـؤلـفـاته:

يقول ابنه الشيخ محمد سعيد القاسمي: «له تآليف مفيدة، وأشعار حميدة»[(٢)].

ويقول حفيده الشيخ جمال الدِّين القاسمي: «وله مؤلفات كثيرة، منها:

* «إعانة النَّاسِكِ على أَداءِ المَناسك»[(٣)].

ومنها:

* «التَّوسلات الحُسنى بنظم أسماء الله الحُسنى»، مشتملة على

---

(١) «الطالع السعيد في مهمات الأسانيد» (ص ٣٠)، وورقة ملحقة بـ«الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم» (ص ١١) نقلاً عن «الطالع السعيد».

(٢) «الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم» (ص ١٦).

(٣) يقول عنها ابنه الشيخ محمد سعيد: «سهلة العبارة، واضحة الإشارة». «الثغر الباسم» (ص ١٦).

أوراد بهية وأدعية إلهامية، نَظَمَ فرائدها في ثلاثة عقود، وقد سافر مرة بعض تلامذة سيدي الجَدِّ إلى مصر، وكان معه نسخة منها، فوقعت بيد أحد علمائِها، وأعيان فضلائِها الشيخ أحمد الفيشي أبو مصلح؛ فأحبَّ شرحها، وشرع به حتى أكمله في نحو ثلاثين كراسة وسماه: «أنوار الكائِنات بما له تعالى من الأسماء والصفات».

ومن مؤلفاته:

* رسالة «فيمن حَجَّ البيت الحرام ومات، وعليه ذنوب صغائر وكبائر وتبعات»[1].

* ورسالة في «شرح آخر حديث من رياض الصالحين».

* ومولدٌ سماه: «مورد النَّاهل بمولد النَّبـيِّ الكامل».

* وتضمين البُرْاءة سماه: «الدُّرَّة الزاهرة بتضمين البُرْاءة الفاخرة»، وقد طبع في مطبعة سورية مع بعض قصائد نبوية سنة (١٢٨٤هـ).

* وله «تشطير لامية ابن الوردي».

* و «نظم الأجرومية»، بيد أنهما لم يتما.

وله غير ذلك من التحارير المُفيدة والفوائد الحميدة[2].

شـعـره:

يقـول حفيـده الشيـخ جمـال الـدِّيـن القـاسمـي: «ولـه مـن الأشعـار

---

(١) يقول عنها الشيخ محمد سعيد: «وهو تحرير مفيد لكل مُوفق ومستفيد» «الثغر الباسم» (ص ١٦)، وله نسخة بخط حفيده الشيخ جمال الدِّين، محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

(٢) «تعطير المشام» (١/ ٤٦٠).

الصَّالحة ما يترقرق فيه ماء الطَّبع، ويرتفع له حجاب القلب والسَّمع، فمنه هذه التوسُّلات السنيَّة المطرَّزة أطرافها بالحروف الهجائيَّة وهي:

أَشكو إلى اللَّـهِ ما ألقاهُ من لَمَمِ ... وما أُقاسيهِ من ضرِّي ومن ألمي

بالذل وافيتُ بابَ العِزِّ مُنْكسرًا ... مستغفرًا من ذنوبٍ أَوْجَبَتْ سَقَمي

تاللَّـهِ تاللَّـهِ هذا العبدُ في كُرَبٍ ... من ضَعْفِ هِمَّتِهِ تلْفيهِ كالعَدمِ

ثَوَيْتُ في ساحةِ الإحسانِ مُعْتكِفًا ... مُؤمِّلًا عادةَ السَّادات لِلْخَدَمِ

جَرَّدتُ عَزْمي وَيمَّمْتُ الحِمَى طَلَبًا ... للعَفْوِ والجودِ والإفضالِ والكرمِ

حَسَّنْتُ ظَنِّي بربِّ العالمينَ فلي ... بِحُسْنِ ظنِّي رجاءٌ غَيْرُ مُنْخَرِمِ

خَلَّصْتَ نُوحًا وأَيُّوبَ الصَّبورَ كما ... نَجَّيْت ذا النُّونِ إِذْ ناداك في الظُّلَمِ

إلى آخرها، فإنها طويلة[1]...

* * *

وقال ابنه الشيخ محمد سعيد القاسمي[2]: وله عفا الله عنه هذا التَّشطير النفيس لبيتي الإمام ابن إدريس:

ولَمّا انْقَضَى عُمْري وضاقَتْ مذاهبي ... سَأَلْتُ إلٰهي العفْوَ عَمَّا تَقَدَّما

ولَمّا عَلِمْتُ العفْوَ عن ذَنْبِ مَنْ جنى ... جَعَلتُ رجائي نَحْوَ عَفْوِكَ سُلَّما

تعاظَمَني ذَنْبي فلما قَرَنْتُهُ ... بإِحْسانِكَ الفَيّاضِ أَمَّلْتُ أنْعُما

تَذَكَّرْتُ تَقْصيري فلمّا شَفَعْتُهُ ... بِعفْوِك ربِّي كانَ عَفْوُكَ أَعْظَما

وله هذا التَّشطير الكامل لبيتي بعض الأفاضل:

ما بعْتُكُم مُهْجَتي إلَّا بِوَصْلِكُمُ ... بَيْعًا صحيحًا بِشَرْعِ الحُبِّ لم يَرِدِ

---

(١) «تعطير المشام» (١/ ٤٦٠).

(٢) «الثغر الباسم» (ص ٤١، ٤٢).

سليمـةً بِعْتُهـا لِلْـوَصْـلِ مُبْتغيَـا ولا أُسَلِّمُهـــا إلاَّ يـــدًا بِيَـــدِ
فـإن وفَّيْتُـمْ بمـا قُلْتُـمْ وفَيْـتُ أنـا ولَيْسَ لي حاجَةٌ في الرُّوح والجَسَدِ
وإنْ سَمَحْتُـمْ بِـوَصْـلٍ ذاكَ بُغْيَتُنَـا وإن غَدَرْتُم فإنَّ الرَّهْنَ تَحْتَ يَدي

وفـاتـه:

يقول ابنه الشيخ محمد سعيد القاسمي: «وكان انتقاله ليلة الثلاثاء سلخ شهر شعبان سنة ألف ومائتين وأربع وثمانين، وقد أَسِفَ لوفاته أهل الشَّام الخاصُّ والعامُّ، وخرجت جنازته بمشهدٍ حافلٍ كبير، وصُلِّي عليه في السِّنانية...»[1].

وقال حفيده الشيخ جمال الدِّين: «ولم يزل على طريقته الحسنة، وحالته المُستحسنة، مُشْرِقًا في مطالعه السَّنية، حتى ألَمَّ بسنا عمره سِرارُ المنية، وذلك ليلة الثلاثاء ٢٨ شعبان عام (١٢٨٤هـ)، وصُلِّي عليه في جامع السِّنانية، ودُفِنَ في مقبرة البَابِ الصغير رحمه الله»[2].

* * *

هذه هي سيرة الشيخ قاسم رحمه الله تعالى وهو أوَّل من نبغ في العلم من هذه العائلة العلميَّة العريقة.

* * *

(١) «الثغر الباسم» (ص ٩٦).
(٢) «تعطير المشام» (١/ ٤٦٧).

جامع السِّنانية الذي أَمَّ فيه الشيخ قاسم ونخبةٌ من ذريته[1]

قال الشيخ جمال الدِّين القاسمي: «جامع السِّنانية قد وصفه إمامه الماجد سيدي الشيخ الإمام الوالد رضي الله عنه وأرضاه، وجعل في عليين نزله ومأواه، بقوله: هو المسجد الجامع، ومن لبديع الصنع الجميل جامع، الحسن الموضع والبهيج الموقع، مُحكم الترتيب والبناء، متناسب الجهات والأرجاء، رفيع المنبر المنقَّى من صفائح الرُّخام، بديع المحراب في الإتقان والإحكام، وسدته المقابلة للمنبر، تُسامي أختيها في حسن المَنْظر، وقد وضعت على ستَّة أعمدَة تَسرُّ بلطفها النَّواظر والأفئدة، منها عمودان أسودان أمام الباب، يشهدان للوارد والصَّادر بنيل الثَّواب، وقبَّته القائمة على أربعة أركان، قد علت في السَّماء إلى العنان، ورواق صحنه قد راق وضعًا وضاء نورًا، ما دخله مكروب إلَّا وجد في نفسه أُنْسًا

(١) صلَّيت في هذا الجامع صلاة الظُّهر وذلك في يوم الأحد ٢٧ جمادى الآخرة سنة (١٤١٩هـ) في إحدى زياراتي لدمشق المحروسة؛ فوجدته كما وصفه الشيخ جمال الدِّين القاسمي، ورأيت السُّدة اليمنى منه التي أنهى تفسيره المشهور فيها وبعض مؤلفاته الأخرى. والله المستعان.

وسرورًا، وما أَحْسَنَ عمودَي إيوانه المبرومين، وما أَتْقَنَ قبابه من الجانبين، وأما منارته الزمرديَّة فهي كعروس تحلَّت بِحُلَّة خضراء سندسيَّة، ترتفع بها الأصوات، بأطيب النَّغمات:

مِنْ كُلِّ مَنْ إن قال في تأْذينِهِ ... اللَّهُ أكبرُ صَدَّع الأبْراجا
وتَرَى الأنامَ لِحُسْنِ طيب أذانِهِ ... دَخَلوا لطاعَةِ ربِّهِمْ أَفْواجا

لا تنقطع دروسه الليليَّة والنَّهاريَّة، ولا يخلو كُلّ وقت من عبادة دينية، وكم غصَّ بالنَّاس الجُمعة والعيدين، مع امتلاء سُدَّته وصحنه إلى البابين، وبالجملة فهذا الجامع المُنير، هو ثاني جامع بني أُميَّة بلا نكير.

لله ثاني جامع في جِلَّقٍ ... ما مثلُهُ في غالب البلدانِ

فجزى الله مُعَمِّرَه خير الجزاء، وأنَالَهُ المقام الأعلى يوم الجزاء، آمين، انتهى.

وقال أبو الضياء[1] في مدحه:

لِلسِّنانيَّةِ القلوبُ تَهاوَى ... لِسنانيَّةِ الوزيرِ سِنانِ
مَنْ فَشا خيرُهُ وعمَّ سداه ... وعلا صِيتُهُ بكلِّ مكانِ
عُمْدَةُ القادةِ العِظامِ المَوالي ... مُفْرَدٌ ما لـه بِمَسْراه ثاني
صالحٌ فالحٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ ... كامِلٌ عامِلٌ وحيدُ الزَّمانِ
فَضْلُهُ طَبَّقَ الأنامَ جميعًا ... كم له شاهدٌ بمَرْأى العيانِ
مِثْلُ ذا الجامِعِ الذي قد بناهُ ... يا له مسجدًا رفيعَ المباني
قد بدا جامعَ المحاسنِ وَضْعًا ... وسَما بَهْجَةً وفاقَ الأَماني

---

(١) هو الشيخ جمال الدِّين القاسمي.

بـالتُّقـى والهُـدى تـأسَّـسَ رَوْمًـا ... لـرضـا منــزل الهــدى والبيــانِ

حبَّــذا مَعْبَــدٌ لِنَجْـوى وتَقْـوَى ... كـم تَـرَى عــابـدًا بـه كـل آنِ

لا يُـرَى مثلُــهُ لِــدَفْــعِ هُمــومٍ ... إذْ غـدا رِفْعَـةً بـأعلـى التَّهـانـي

فَجَــزَى رَبُّنــا الــوزيــرَ سِنـانًــا ... غُــرَفًـا تـزْدَهـي بِحُـورٍ حسـانِ

مــا أقــامَ الصَّــلاةَ فيــه مُصَــلٍّ ... ودعـــا للفـــلاحِ أَهْـــلُ الأذانِ

ذكر في ذيل «مختصر الدارس» أنَّ هذا الجامع كان أولاً مسجدًا صغيرًا، فجدَّده وجعله جامعًا عظيمًا الوزير الأعظم سنان باشا لما تولَّى دمشق سنة (٩٩٤هـ) وكانت مدة ولايته لدمشق نحوًا من سبعة أشهر وتمت عمارته سنة (٩٩٩هـ). انتهى.

قال المُحبي في ترجمة سنان باشا: الوزير الأعظم صاحب الآثار العظيمة في البلاد، من جملتها: الجامع بدمشق خارج باب الجابية، والحمَّام والسُّوق المتفق على حسن وضعهم، ودقة صنعتهم، وله مثل ذلك في كل من القطيفة، وسعسع، وعيون التجَّار، وعكة مع خانات ينزلها المسافرون، وله ببولاق جامع عظيم، ومثله باليمن وقسطنطينية وغيرها من البلاد جوامع ومساجد ومدارس وخانات وحمامات تنوف على المائَة .

وبالجملة فهو أكثر وزراء آل عثمان آثارًا وأعظمهم نفعًا للنَّاس، وكان وزيرًا عالي القَدْرِ، رفيع الهِمَّةِ، ولي الحكومة بمصر في زمن سلطنة السُّلطان سليم بن سليمان، ثُمَّ عيَّنه السُّلطان إلى اليمن لإصلاح أُمور مُختلة.

وكان السُّلطان عَيَّنَ الوزير مصطفى لالا باشا وعزله، ثُمَّ بعد تمهيد

هذا الأمر عاد فدخل مكَّة المشرَّفة وحجَّ حجَّة الإسلام، وصادف الحج ولم يفته، وأنشأ بمكة آثارًا حسنة. ثُمَّ بعد أن قَدِمَ إلى تخت السَّلطنة، عيَّنه السُّلطان سليم إلى فتح حلق الوادي ببلاد تونس الغرب، وكان النَّصارى استولوا عليها، وكانت غزوة مشهورة من أعظم غزوات بني عثمان، وانتصر المسلمون على الكفار. ثُمَّ توجه سنان باشا إلى دار السَّلطنة فولي بعد مدَّة الوزارة العُظمى في شهر ربيع الأول سنة (٩٨٨هـ)، ثُمَّ عزل عنها وولي بعدها نيابة الشَّام، وشرع في عمارة الجامع المذكور، ثُمَّ ولي الوزارة العظمى بعد ذلك أربع مرات عزل من الثالثة في شهر ربيع الأول سنة (١٠٠٤هـ)، وصار مكانه لالا محمد باشا، فبعد ثلاثة أيام توفي محمد باشا فأُعيد إلى مكانه، ولم تطل مدته فتوفي في شعبان من السَّنَة المذكورة رحمه الله تعالى. انتهى مُلخَّصًا.

وقد عمَّر وراء حائط الجامع القبلي مَدْفنًا وأنشأ فيه مكتبًا، وكان للمدفن المذكور إيوان كبير وبحرة ماء لها فوَّارة، وله شُبَّاكان عظيمان نظير شبَّاكي التكيَّة الكبيرين المُطِلَّين على جنينتها من جانبي المدفن، واحد جانب جهة الحمام، والثَّاني جانب جهة الصَّباغين، وكان فيه قصر بديع موضوع على السُّبل الثَّلاثة التي على الطريق.

ولم يزل هذا المدفن على ذلك إلى زُهاء سنة ستِّين ومائتين وألف فيها حصل لرأس مأذنة الجامع صدع، فطولب متولي الجامع بإصلاحها فادَّعى الإفلاس، فجاءه بعض النَّاس بعد أن وسوس في صدره الخنَّاس، وقال له: مكنا أن نُخرج من المدفن دكاكين من الجانبين جانب الحمام، وجانب الصَّباغين ونعطيك خمسة عشر ألف قرش تصلح ببعضها رأس المنارة والباقي لك، ونجعل على كل دكانة في السنَّة قدرًا مرصدًا للجامع

فعوَّل رأيه على ذلك بعد استشارة مفتي دمشق حسين أفندي المُرادي، فهدم الحائطان من جانبي المدفن وعُمِّرت دكاكين من الصَّفين، وصارت أمام الشبَّاكين اللَّذين في آخر حائط حرم الجامع القبلي.

ثُمَّ بعد مدة رُفِعَ أمر هذه الدكاكين إلى أحد وزراء الشَّام فهمَّ بإزالتها لكونها محدثة فتدارك أصحاب الدَّكاكين ذلك، واستمرَّت على حالها إلى الآن.

ثُمَّ في سنة (١٢٩٣هـ) حصل في رواق الجامع القبلي وأقواسه وغالب قبابه انثلام أوجب نقضها، فنقضت وأُعيدت كما كانت، ورُمِّمَ الجامع من أطرافه، وجُعِلت الحجرة الغربية ميقاتًا، ووضِعت بها السَّاعات، وزُخرفت بعد لَمِّ شعثها، وطلب وقتئذٍ من سيدي الوالد قدَّس الله روحه عمل تاريخ لذلك مع الرمز إلى أن ذلك حصل في مدَّة الوزير حمدي باشا، فأنشأ تاريخًا بديعًا نُقِشَ على رُخامة، ووضِع على محراب الإيوان:

اللَّـهُ أكبـرُ هـذا جـامـعٌ جَمَعـا	نورَ الجمال وبالإخلاصِ قد رُفعا
لأن ذا البِـرِّ والخيـراتِ مَنْشَـؤُهُ	سِنانُ باشا الذي ما مثلُه سُمِعا
لقـد تجـدَّد فـي أيَّـامِ دولـةِ مَـنْ	حَمْدي له واجبٌ شكْرًا لما صَنَعا
ومَـنْ بـه عُمِّـرَتْ أوقـافُ بَلْـدَتِنـا	مُحَمَّـدُ اليـوسُفِـي لله فيـه سَعَـى
جزاهُمُ اللَّهُ عن ذا الصُّنعِ خَيْرَ جَزا	والنَّاظِرينَ ومَنْ للمُحْسنين دعا
لا زالَ يعمـرُ والتـاريـخُ جـاءَ بِـهِ	قد جَدَّدوا جامِعًا للْخَيْرِ كَمْ جَمَعا

ولما جدد سنة (١٣١١هـ) ماء حجرة السَّاعات والسبيل خارجها من أهل الخير والإحسان طُلِبَ من سيدي الوالد أيضًا رحمه الله تعالى عمل

تاريخ لذلك، فأنشأ تاريخًا لطيفًا نُقِشَ على رُخامة كبيرة في حائط السبيل[1] وهو:

سَلْسَبيــــلٌ أم سَبيــــلٌ وِرْدُهُ ... للــوَرَى أَنْعَـشُ مــن بَـرْدِ النَّسيـمْ
فــارْتَشِــفْ منــهُ زُلالاً ســائِغًــا ... واحْمَدِ المَوْلَى على هذا النَّعيمْ
واسْـقِ مـاءً لـو علـى المـاءِ فَمَـنْ ... يَسْـقِ ظَمْـآنًـا لـه الفَضْـلُ الجسيـمْ
فَهَنيئًــا للَّــذي أنشــأَهُ ... ولِمَــنْ جَـدَّدَ ذا الخَيْـرَ العميـمْ
فلنِعْـمَ السَّعْـيُ فـي تَجْـديـدِهِ ... أَرِّخــوه فَبِــهِ أَجْــرٌ عظيــمْ

* * *

(١) لا تزال موجودة إلى الآن وهي مكتوبة على لوح رُخَامي محفور في الجهة الشماليّة بجانب ماء السبيل؛ وقد رأيتها في الجامع المذكور، وهي مكتوبة بخط الخطاط مصطفى أفندي السباعي الدمشقي سنة ١٣١١هـ.

الثغر الباسم • بترجمة سيدي الشيخ قاسم • اعني به
والدي واستاذي • وعضدي وملاذي •
شافعي زمانه • وفريد عصره واوانه •
العالم العامل • والقدوة الكامل •
من طار صيته في الافاق • وعلا
بصلاحه على اقرانه وفاق •
والدي وعمدتي الاستاذ
الشيخ قاسم [illegible] الشهير
بالحلاق
[illegible]

صورة عنوان كتاب «الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم»
لابنه الشيخ محمد سعيد القاسمي، وهو بخطه.

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب . وقص
فيه احسن القصص ليذكر اولوا الألباب . والصلاة
والسلام على سيدنا محمد افضل من أوتي الحكمة وفصل
الخطاب . وعلى المقتفين لآثاره الشريفة من آله
الأنجاب . والمهتدين بهديه من سائر الأصحاب .
ومن سلك طريقهم من التابعين ومن بعدهم الى
يوم الحساب . ما سار اهل السير . لاقتناص شوارد
محاسن ذوي الأثر حتى أتوا منها بالعجب العجاب وبعد
فالحازم من دان نفسه وعمل لمآبه . وترك آثاراً حميدة
يذكر بها بعد ذهابه . كالعالم العامل . والملك العادل . او
العابد الزاهد . او الشجاع المجاهد . او السخي المكرم
المنعم المطعم . فعلى مثل هؤلاء الأخيار . يبكى بالدموع
الغزار . لا على درهم ولا على دينار . كما نظمهم بعض السادات

في تمني

صورة الورقة الأولى من كتاب «الثغر الباسم».

الدرة الزاهرة بتضمين
البردة الفاخرة لكاتبها
الفقير قاسم

صورة ورقة عنوان قصيدة الشيخ قاسم المسماة بـ : «الدرة الزاهرة»، وهي بخطه.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

أمن تذكر أو طاب على علم

أم من تفقد جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى كالقطر منهمرا

يجري على وجنة من مقلة بدم

أم هبت الريح من نحو العقيق ومن

تلقاء كاظمة مرت بحيهم

أو ومض البرق من تلك البطاح على

تلك المعاهد في الظلماء من إضم

فالعينيك إن قلت أصبرا أبتا

أو اكففا همتا سحا من الديم

وما لقلبك لا يبدو له طرب

ولا سلو وإن قلت استفق يهم

أيحسب الصب أن الوجد مستتر

والحب منكم والعين لم تنم

[illegible]

صورة الورقة الأولى من قصيدة «الدرة الزاهرة» للشيخ قاسم، وهي بخطه.

كتاب أنوار الكائنات بما له تعالى من الأسماء والصفات للعلامة الجليل

الشيخ أحمد الفيشي الأزهري على التوسلات

الشهير بأبي مصلح

الحسنى بنظم أسماء الله الحسنى

للعلامة الصوفي النحرير الشيخ

قاسم الشهير بالحلاق

الدمشقي عليهما

الرحمة

والرضوان

صورة عنوان شرح الشيخ أحمد الفيشي على «التوسلات الحسنى» للشيخ قاسم.

الزمن من يكون تام الروية في النظر والنجاح سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك
انت العليم الحكيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم
الدين

فرغ من نقل هذا الشرح حفيد الناظم الفقير صلاح الدين يوسف بن ابي
الخير الشيخ محمد سعيد بن ابي البركات الشيخ قاسم الشهير بالحلاق بعد العشاء
ليلة السبت لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر محرم الحرام عام ١٣٢١
بمنزلنا بدمشق ظاهر باب الجابية في زقاق العلامة المكتبي وقد وجدت
في الاصل المنقول عنه ما نصه تم تبييض هذه النسخة في يوم الخميس الموافق
ليومين خلت من شهر ذي القعدة الحرام
(سنة ١٢٦٥) على يد افقر عباد الرحمن واحوجهم
اليه محمد بن غنيم بن محمد بن سالم
ابن عبد الباقي الحسيني المناوي
بمصر غفر الله وجميع
المسلمين
آمين

صورة الورقة الأخيرة من شرح الشيخ أحمد الفيشي على التوسلات،
وهي بخط الدكتور صلاح الدِّين القاسمي حفيد الشيخ قاسم،
وشقيق العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي.

الإمام النبيه والعالم العامل النحرير حضرة عين الأكابر وصدرهم وتاج
الأصحاب وفخرهم الألمعي الأكمل الشيخ قاسم الدمشقي ابن الشيخ صالح الشهير
بالحلاق ولما تمتع بمحاسن رياض أزهرنا واغتنم من فضائل دروسنا
رام منا الإجازة بكل ما يجوز لنا روايته ودرايته من المنقول والمعقول والفروع
والأصول ولما رأيناه لهذا [illegible] من أنفع المواضع وأوقعها
وفاز من فضائل هذا المطلب السامي بأرفعها أجبناه وبكل ذلك أجزناه
إجازة عامة نفع الله به المسلمين ولطف بنا وبه وسائر المحبين

الفقير إليه سبحانه [illegible]
عبده إبراهيم الباجوري
خادم العلم والعلماء بالأزهر
عفي عنه وعن والديه وسائر
المسلمين



الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده
أما بعد فقد أجزت ربيب العلماء الأعلام وصديق الصلحاء الكرام مولانا
الشيخ قاسم الدمشقي ابن الشيخ صالح الشهير بالحلاق بما أجازني مولانا
بركة الحجج شيخ الأزهر أطال الله بقاءها ونفع بها النفع العميم [illegible]

مصطفى المبلط
خادم العلم
بالأزهر
عفي عنه

٢ ذي الحجة سنة ١٢٧٠

صورة إجازة الشيخ إبراهيم الباجوري للشيخ قاسم، ويرى في آخرها خطه وختمه، وكذلك خط إجازة الشيخ مصطفى المبلِّط.

بسم الله الرحمن الرحيم

دمشق: ١٢ شعبان ١٤٠٧ هـ ١٢ نيسان ١٩٨٧ م.

معالي الأخ الكريم الأستاذ محمد عمر توفيق حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: فأسأله عز شأنه أن يكلأكم برعايته أنتم وجميع أفراد الأسرة الكريمة متمتعين بموفور الصحة والسعادة. أخي الحبيب: كنت رجوتكم في رسالتي المؤرخة ٢٧ رجب الماضي بأن أجيب طلبكم بموضوع اللقب الذي اشتهر به جدكم المرحوم السيد عمر الصغير بأقرب وقت ممكن بمشيئة الله. فوفاءً بما وعدت أعرض ما يأتي.

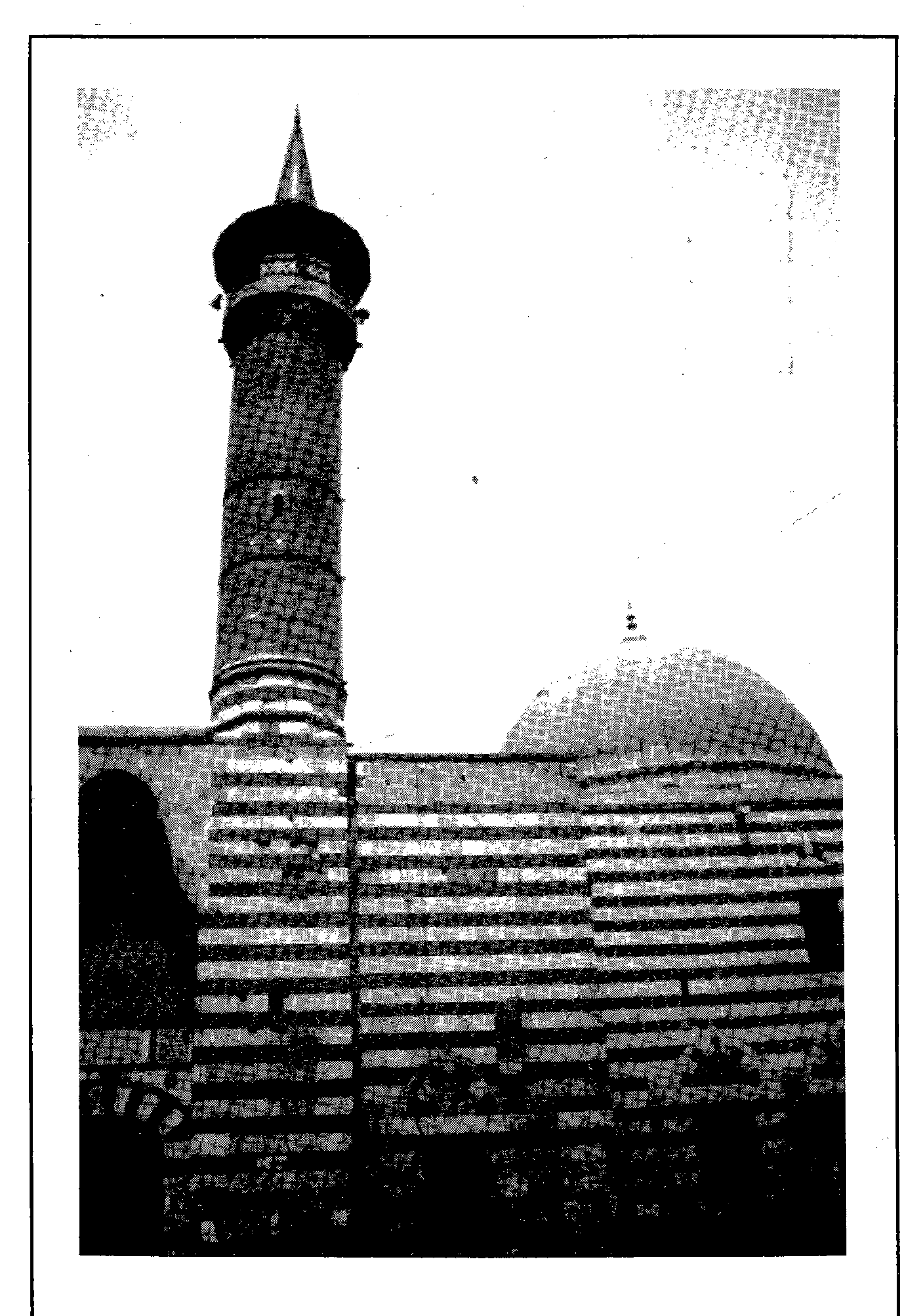
نحن بني القاسمي ننتسب بفضل من الله ونعمة إلى القطب الرباني الولي الصالح سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني من جهة أبيه والحسيني من جهة أمه والمولود في بلدة جيلان من أعمال بغداد في ١ رمضان سنة ٤٧٠ للهجرة. كما هو وارد في شجرة النسب المحفوظة لدي، والمعززة بشهادات عدد كبير من نقباء الأشراف ومشايخ الطرق في أكثر العواصم العربية والإسلامية. وإني قائم بتنظيمها حسب الأصول المتبعة في نسب السادة الأشراف. ومتى تم تنظيمها سأكون فرحاً بتقديم نسخة منها لسيادتكم بإذن الله تعالى

ومن معرفة ما اطلعت عليه [illegible] يتضح أنه:

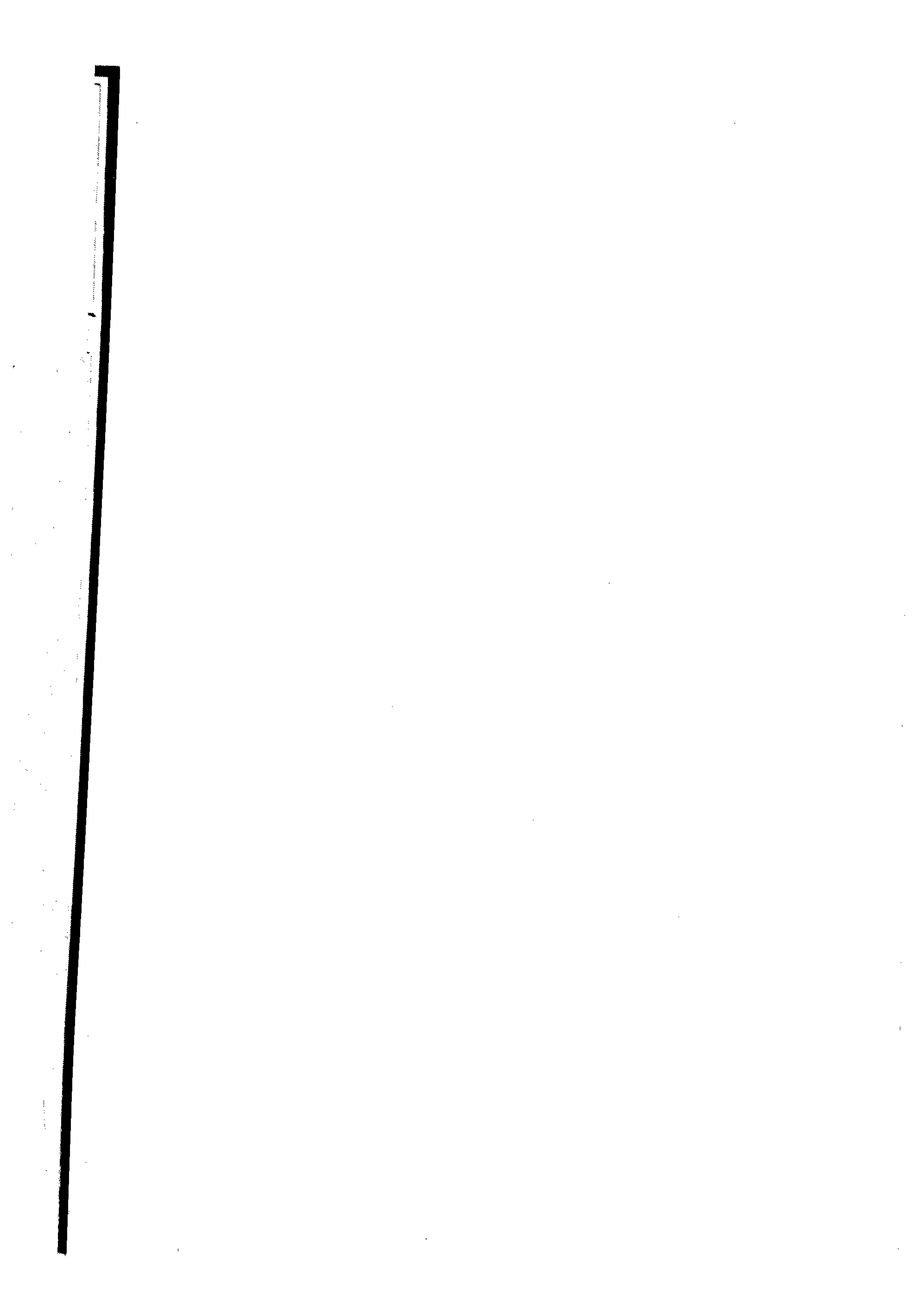
نسب جدنا لأبينا الشيخ قاسم هو: الشيخ قاسم الكيلاني ابن الشيخ صالح الكيلاني ابن الشيخ إسماعيل الكيلاني ابن الشيخ أبي بكر الكيلاني ابن الشيخ محمد أمير الكيلاني ابن الشيخ قاسم أبي بكر الكيلاني - دفين دير عطية - وهي قرية تابعة لقضاء النبك من أعمال دمشق - واتضح لي أيضاً من المعلومات التي حصلت عليها عندما زرت قرية دير عطية منذ نحو خمسة وأربعين عاماً برفقة العلامة الكبير الشيخ عبد القادر القصاب الذي كان زميلاً لوالدي الشيخ محمد القاسمي رحمهما الله بطلب العلم أن عائلتنا التي ننتسب إليها في دير عطية تعرف حتى الآن بعائلة (دبكر) إشارة إلى اسم جدنا هناك (أبو بكر) ويبدو أنه كان عالماً في المنطقة المذكورة ولا يزال كثيرون يعرفونه بلفظة الشيخ بكر. ولذلك اشتهرت الأسرة هناك بعائلة - بكر -

كما تبين لي من هذه الدراسات، ومما كان أسمعه من جدي المرحوم أستاذ العربية المشهور الشيخ جمال الدين القاسمي وكنت حينئذ أي في حدود سنة ١٩١١ تلميذاً في مدرسة التجهيز ومعرفة بكتب الشجرة: أن أصل العائلة من مدينة بغداد، ومن أسرة تعرف بآل الكيلاني ومنذ نحو مائتين وخمسين عاماً هاجر منها أناس وكانوا حينئذ ممن اشتهر بالفضل والصلاح والعلم - الجد الأعلى الشيخ قاسم أبو بكر الكيلاني - والمشار إليه بشجرة النسب بكلمة (دفين دير عطية) والثاني الشيخ محمد الكيلاني وهو الجد الأعلى لآل الخطيب بدمشق وهم الذين تولوا وظيفتي الخطابة والتدريس في جامع بني أمية الكبير بدمشق ولا تزال الخطابة بعهدة أحفادهم حتى الآن.

صورة من الورقات التي بخط الشيخ أحمد القاسمي، وقد ذكر فيها نبذة عن نسب آل القاسمي.



صورة جامع السنانية الذي أمَّ فيه الشيخ قاسم ونخبة من ذريته.



أبناء الشيخ قاسم

كان الشيخ قاسم قد تزوَّج أربعًا، واحدة منهن لم تعقب، والثلاث أعقبن منه، إحداهنَّ أعقبت أنثى واحدة، وثانيتهنَّ أعقبت ذكورًا وإناثًا، وثالثتهنَّ هي حفيدة السيِّد الدُّسوقيّ، ولم تعقب منه إلاَّ الشيخ محمد سعيد.

وأبناء الشيخ قاسم هم:

١ ــ الشيخ محمد سعيد.

٢ ــ الشيخ عبد الرحمن.

٣ ــ الشيخ محمد.

٤ ــ الشيخ عبد الغني.

وبناته ثلاث، وهنَّ:

١ ــ آسية.

٢ ــ وميمونة.

٣ ــ وعائشة.

* * *

الشيخ محمد سعيد القاسمي

(١٢٥٩ ـ ١٣١٧هـ)

هو أكبر أبناء الشيخ قاسم، وقد ترجم له جملة من المؤرِّخين في ضمن تراجمهم؛ وأحسن من ترجم له ابنه العلاَّمة الشيخ جمال الدِّين القاسمي، حيث أفرد شعره وترجمته بمصنف مستقل بعنوان: «بيت القصيد في ترجمة الإمام الوالد السعيد» كما ترجم له ترجمة وافية في كتابه «تعطير المشام».

ولم أود أن أكتب له ترجمة في هذا الموضع اكتفاءً بترجمته المستقلة التي ستأتي إن شاء الله (ص ١٩٥) مع نماذج من خطه وعنوان بعض مؤلفاته، وهذا ذكر أبنائه ثُمَّ أحفاده من جهة ابنه الشيخ جمال الدِّين القاسمي.

* * *

أبناء الشيخ محمد سعيد القاسمي:

الشيخ محمد جمال الدِّين القاسمي

(١٢٨٣ ــ ١٣٣٢هـ)

أكبر أبناء الشيخ محمد سعيد القاسمي، هو: الإمام العلَّامة الشيخ محمد جمال الدِّين، ثمَّ محمد عيد، ثُمَّ ابنته فاطمة، ثُمَّ محمد قاسم خير الدِّين، ثُمَّ صلاح الدِّين يوسف.

يقول الشيخ محمد سعيد القاسمي: «ولد لنا مولود مبارك سمَّيناه محمد جمال الدِّين أبو الفرج ضحوة نهار الإثنين اليوم الثامن من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٨٣هـ»[١]، وتوفي الشيخ محمد جمال الدِّين القاسمي سنة (١٣٣٢هـ).

وقد أفرده غير واحد بالترجمة، ولا أُريد أن أسهب في ترجمته فقد أفردته بكتاب خاص عنه بعنوان: «علامة الشَّام محمد جمال الدِّين القاسمي ترجمته لنفسه وشيوخه ومراسلاته وثناء العلماء عليه».

* * *

---

(١) كتب الشيخ محمد سعيد القاسمي ــ كعادة بعض العلماء ــ خلف غلاف الورقة الأخيرة من كتاب: «الدرة الزاهرة» لوالده الشيخ قاسم تواريخ ميلاد أبنائه ومن أدركه من أحفاده؛ وقد نقلت منها ميلاد كل واحد منهم.

الشيخ الوجيه محمد عيد القاسمي

(١٢٨٧ ـ ١٣٣٥هـ)

الشيخ محمد عيد ابن الشيخ محمد سعيد القاسمي، هو: ثاني أبناء الشيخ محمد سعيد القاسمي، يقول الشيخ محمد سعيد بعد أن ذكر ميلاد ابنه الشيخ جمال الدِّين: «ثُمَّ وُلد لنا مولود مبارك بعد غروب شمس الخميس الواقع نهار عيد الأضحى عاشر ذي الحجة سنة (١٢٨٧هـ)، وسميناه محمد عيد جعلهما الله من السُّعداء العلماء الأغنياء»[١].

ويقول شقيقه الشيخ جمال الدِّين: «ومحمد عيد أبو السرور، وُلد سنة (١٢٨٧هـ)».

طلب الشيخ محمد عيد القاسمي العلم عند والده، وعند جملة من شيوخ عصره كالشيخ عمر العطَّار، كما شارك شقيقه الشيخ جمال الدِّين في بعض شيوخه[٢]، وكان يعمل محاميًا.

وقد كان قوي الشخصية مقدامًا محبًا لأخيه الشيخ جمال الدِّين يدافع

(١) انظر: التعليق السابق.

(٢) سيأتي ذكر إجازة أحد العلماء للشيخ جمال الدِّين وإخوته الثلاثة وابنه ضياء الدِّين (ص ١٢٥).

عنه منتصرًا للحقِّ وأهله، فإنه لما وقعت لأخيه الشيخ جمال الدِّين الفتنة المسماة بحادثة المجتهدين كان من الحاضرين ومن المدافعين عنه، ووبَّخ المفتي الذي أقام الفتنة على أخيه الشيخ جمال الدِّين وقال: لِمَ لم تأمر بسراح أخي؟ أهكذا الرأي السَّديد[1]؟

ولما قامت العامة في دمشق سنة (١٣٢٦هـ) على الشيخ محمد رشيد رضا نال الشيخ جمال الدِّين من هذه الفتنة النصيب الأوفر فتسلَّح أخوه الشيخ محمد عيد بالمسدس محافظةً على نفسه وعلى أخيه الشيخ جمال الدِّين طوال تلك الفتنة خاصَّةً بعدما رمى أهل البلد محمد عيد بأنه سبب هياج الفتنة، كما ذكر ذلك الشيخ جمال الدِّين في «مذكراته»[2].

ولما توفِّي والده كان في استنبول وذلك في سنة (١٣١٧هـ)، يقول الشيخ جمال الدِّين: «وكتب إِليَّ أخي وشقيقي الشيخ محمد عيد أفندي من الآستانة جوابًا عن كتابي له ما نصّه: آه ليتني كنت فداه سيِّدي ومولاي الأخ المحترم بيدٍ ترجف تناولت كتابكم الكريم، وبلسانٍ يتلعثم قرأت تلك العبارة المتضمنة ذلك الخبر الرائع، وبذهن يضطرب تصورت الغياب الأبدي لذلك البدر التمام، فلا تسأل عن حالتي هناك من الأسف والجزع لهذه المصيبة الدَّهماء، إِنَّا لله وإِنَّا إِليه راجعون. كيف تكون حالة غريب عن الأهل والدِّيار أتاه نعي أعزّ عزيز عليه وأحب حبيب إِليه؟! بل أعظم سيِّد له ووليّ نعمٍ يلوذ به! إِنَّا لله وإِنَّا إِليه راجعون، سلَّمت أمري إِلى الله هذا يقين لا شكَّ فيه، هذا خبر لا يكتمه الواقع إذا كتمته الأفواه، ماذا

(١) «جمال الدِّين القاسمي وعصره» لابنه ظافر (ص ٥٩).

(٢) «جمال الدِّين القاسمي وعصره» (ص ٢١٠).

أكتب لكم بهذا الشأن وأنا شريك العزاء ورفيق العناء أمرنا جميعًا إلى الله، وأقتصر الآن على تعزية السنَّة فأقول: تغمَّده الله برحمته ورضوانه وألهمنا الصبر عليه والأجر الجزيل في مصابه. ١٤ ذي القعدة سنة (١٣١٧هـ) »[1].

توفي الشيخ محمد عيد القاسمي في يوم الثلاثاء في السادس من جمادى الأولى سنة (١٣٣٥هـ)، كما رأيت ذلك على لوحة قبره في مقبرة الباب الصغير بدمشق، وكما أخبرني حفيد أخيه الشيخ جمال الدِّين الأستاذ محمد سعيد القاسمي، ولما ترجم الشيخ محمد جميل الشطي لوالده ـ في «أعيان دمشق» (ص ٣٩٨) ـ ذكر أبناء الشيخ محمد سعيد القاسمي، ووصفه بالوجيه الشيخ محمد عيد، وذكر أنه توفي في هذه السنة.

* * *

(١) انظر: «بيت القصيد في ترجمة الإمام الوالد السعيد» (ص ٢١٩).

٥

حضرة اخي العزيز المحترم دام محفوظا وبعين العناية ملحوظا آمين

سلام الله عليكم ورحمة وبركاته وبعد فاني في شوق عظيم وقد طلتم

الغيبة عسى قرب اياتكم على احسن حال ثم اخي حضر من طرف محي الدين

بوطنا قرب الاحرف علي بن محمد الحي فانه من اهالي وسكان بعلبك وبيده

شرطية على قطعة ارض بينه وبين حبيب المطران وبين والد المذكور المطلع

عليها ومراد المذكور ان يذهب معه الى بعلبك لاجل اقامة دعوى على بيت

المطران ويحب اطلاعكم على الشرطية استخبر لنا من طرف احد معارفكم

من المامورين انه اذا حضرنا يحصل نتيجة ام لا فاذا كان يحصل نتيجة تاريخ المذكور

على حسب عادته ورينا حتى نحضر لطرفكم واذا كان ما في نتيجة عفونا

ايضا البارحة الطلعة يحيى افندي تلو على كتابكم ومراده يرسل لكم جواب

وانبسط اوصاه ان يكتب لكم لاجل الخادم الصغيرة التي كنتم عزمتم لاجلها

هذا ولا ضرورة من هذا الاطالة العايلة والاشقاء والاولاده كلهم يهدي

يهدوكم السلام والله تعالى يحفظكم اخي ١٩ شعبان ٢٢

محمد [illegible]

نموذج من خط الشيخ محمد عيد القاسمي.

الشيخ محمد قاسم خير الدِّين القاسمي

(١٢٩٩ ـ ١٣٥٨هـ)

الشيخ محمد قاسم خير الدِّين ابن الشيخ محمد سعيد القاسمي، ثالث أبناء الشيخ محمد سعيد القاسمي، يقول الشيخ محمد سعيد: «ثُمَّ جاءنا المولود السَّعيد المُبارك النَّجيب إن شاء الله ضحوة نهار الأحد السادس عشر من شهر شعبان المُعظم سنة (١٢٩٩هـ) وسمَّيناه على جدِّه والدي المرحوم الشيخ قاسم جعله الله من السُّعداء، والعلماء الأغنياء الصَّالحين، آمين آمين»[١].

درس الشيخ محمد قاسم على والده محمد سعيد القاسمي، وأخذ عن أخيه الكثير من العلوم؛ فإنه قرأ عليه الصرف والنحو والمعاني واللغة، والفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم فقد لازمه وانتفع به كما سيأتي ذكر ذلك لما قام بتدريس «رياض الصالحين».

ومن تقييدات الشيخ محمّد قاسم القاسمي على بعض الكتب التي قرأها على أخيه الشيخ جمال الدِّين ما كتبه على الغلاف الأخير من كتاب «الحواشي الأزهرية في حَلِّ ألفاظ المقدمة الجزرية»: «بدأنا بقراءتها على

---

(١) انظر ما مضى (ص ٦٥).

شيخنا العلاَّمة الشيخ محمد جمال الدِّين القاسمي ٢١ جمادى الآخرة سنة (١٣١٨هـ) ليلة الجمعة. وختمنا في ١٢ ربيع الثاني ليلة الثلاثاء بعد المغرب سنة (١٣١٩هـ) ». اهـ.

وقال على طُرَّة كتاب «حاشية الدمياطي على شرح الورقات » للمحلي: «بدأنا بقراءتها على العلاَّمة الوحيد، والمُحَدِّث الفريد الشيخ محمد جمال الدِّين أبي الفرج القاسمي الدِّمشقيّ؛ وذلك يوم الثلاثاء ٨ ربيع الأول سنة (١٣١٩هـ)، وكان ترتيب قراءتها كل ثلاثاء وجمعة، أتمها الله بخير، وختمناها يوم الثلاثاء ٢٧ جمادى الأولى سنة (١٣١٩هـ). الفقير محمد قاسم خير الدِّين القاسمي، شقيق الشيخ المذكور».

كما لازم الشيخ بكري العطار مدة ليست بالقليلة آخذًا عنه «شذور الذهب» من أوله إلى آخره، وحضر عليه معظم «سنن ابن ماجه» وأجازه إجازة عامَّة، وقد ذكر جملة من العلماء الذين أجازوه وانتفع بهم[1].

تولَّى الشيخ قاسم التدريس في بعلبك ردحًا من الزمن ثُمَّ عاد إلى دمشق فدرَّس فيها إلى آخر عمره.

أما محبته لأخيه الشيخ جمال الدِّين وثقة أخيه به وبعلمه فهو أمر معروف ومشهور عند أهله وصحبه، فقد كان يصحبه في حِلِّه وترحاله مُعيدًا لدروسه، يقول الشيخ جمال الدِّين: «أعاد الدرس أخي محمد قاسم خير الدِّين سلَّمه الله تعالى»[2]، وكان يكلفه نَسْخَ بعض الكتب والتراجم،

---

(١) انظر ما يأتي (ص ٧٢).

(٢) «جمال الدِّين القاسمي وعصره» (ص ٣٨، ٢١٦).

كما كان يلقي بعض الخطب نيابةً عنه[1].

ولما توفي الشيخ جمال الدِّين كفل الشيخ محمد قاسم أبناء أخيه وأحسن إليهم، وكان يقوم على خدمتهم وراحتهم والعناية التَّامة بتعليمهم وتربيتهم التَّربية الصَّالحة، حتَّى إنَّه في سبيل ذلك لم يتزوج[2].

يقول ظافر القاسمي: «كانت لنا ساعة في النحو نقرأ فيها كتاب «شذور الذهب» على عمِّي قاسم رحمه الله»[3].

لم يتجه الشيخ محمد قاسم القاسمي إلى التَّأليف والتَّصنيف، وإنَّما انشغل بالتدريس ورعاية أبناء أخيه الشيخ جمال الدِّين بعد وفاته، كما اعتنى بإصدار بعض مؤلفات شقيقه الشيخ جمال الدِّين، وقام بشرح «العوامل» للجرجاني، وجمع كُنّاشًا للفوائد الملتقطة من الكتب والمجلات وهو بعنوان: «الدر المكنون».

توفِّي الشيخ محمد قاسم خير الدِّين القاسميّ رحمه الله تعالى في ضحوة يوم الأربعاء ٢٦ ذي القعدة سنة (١٣٥٧هـ) وفق ٢٨/ ١٢/ ١٩٣٨م كما أخبرني بذلك حفيد أخيه الأستاذ محمد سعيد القاسمي.

وهذا ذكر نَصِّ الورقات التي بخط الشيخ محمد قاسم خير الدِّين القاسمي، والتي ذكر فيها تدريسه «رياض الصالحين» وسرد فيها أسماء الشيوخ الذين تلقَّى عنهم العلم[4] حيث قال: قد جرى عادة أَسْلافنا

---

(١) «جمال الدِّين القاسمي وعصره» (ص ٣٨، ٢١٦).

(٢) «مكتب عنبر» لظافر القاسمي (ص ٧).

(٣) المصدر السابق (ص ٩٢).

(٤) وقد كان تدريسه لهذا الكتاب بعد وفاة أخيه الشيخ جمال الدِّين القاسمي؛ وذلك =

وأشياخنا المُحقِّقين، قدَّس الله أرواحهم أجمعين، أن يذكروا في مثل هذا المجلس سندهم لمؤلف مقروئيهم، وأن يذكروا بعض مشايخهم والآخذين عنهم، والمُجازين منهم تجديدًا لذكرهم، وطلبًا للترضِّي عنهم، والتَّرحُّم عليهم، وإنِّي مع قصر باعي، وقلَّةِ بضاعتي، ووفور انكساري أتأسَّى بهديهم، وأقتدي بصنعهم تشبُّهًا بهم كما قيل:

إن لم تكونوا مِثْلَهم فَتَشَبَّهُوا ... إنَّ التشبُّه بالكِرامِ فَلاحُ

وكما قيل:

لولا التَّبَرُّكَ ما جَلَسْتُ بمجلس ... حلَّتْ به الفُضَلاءُ والكُبَرَاءُ
فَلَئِنْ أَصَبْتُ فَمِنْهُمو أو إنْ يَكُنْ ... خَطَأٌ وسَهْوٌ إنَّهم كُرمَاءُ

فأَقول مُتطفِّلاً على موائد عفوهم: إنَّ من أعظم أشياخي عندي وأمنَّهم عليَّ، وأكثرهم حقوقًا لديّ: سيِّدي وسَنَدي شقيقي المرحوم أغدق الله على روضته سحائب الرِّضوان، وأحلَّه في أعلى فراديس الجِنان، فقد قرأت عليه الصَّرف والنَّحو، والمعاني والبيان، واللُّغة، والفقه والحديث والتَّفسير، وعلم الكلام، وأُصول الفقه وأُصول التَّفسير، وأُصول الحديث.

وقد سمعت منه معظم مؤلفاته التي طبعت في حياته، وانتفعت بمجالسه، والتقطت درر كلمِهِ، وقد صحبته في كثير من رحله، واستفدت به بديع غُرره، الَّتي يستفيد منها الجليس، كان ذهابه ومُقامه ورِحله كله فوائد وغُرر، وقد أحسن في تربيتي غاية الإحسان، ولم يزل يُربيني في

= في جامع السنانية ليلة الأحد في السابع من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٣٢هـ، كما ذكر هذا ابن أخيه الشيخ ضياء الدِّين على طرة الورقات المذكورة.

حِجرِهِ ويغدق عليَّ بما تصل إليه يد الإمكان فجزاه الله أحسن الجزاء وأتمه، ولقَّاه من النَّعيم الأُخروي أعمّه.

ومن أكابر مشايخي: علاَّمَة الأعلام الشيخ بكري أفندي العطار، فقد لازمته مدَّة ليست بقليلة، قرأتُ عليه بها «شذور الذهب» من أوله لآخره، وحضرتُ عليه معظم «صحيح ابن ماجه»، وأجاز لي إجازةً عامَّةً لفظًا وخطًّا، جزاه الله خير الجزاء، وأعلى مقامه في دار البقاء.

وممن تفضَّل بالإجازة لي: شمس الفُضلاء، وكوكبُ العلماء، بركة العصر، من اشتهر ذكره في سائر الأقطار سيدي الشيخ عبد الرزاق أفندي البيطار، وقد أجاز لي إجازةً عامَّةً لفظًا وخطًا، ولم أزل أنتفع بآرائه العالية، وأفكاره السَّامية، بارك الله في أجله وأجل الحاضرين، ومتَّع بطول حياته المسلمين.

وممن أجاز لي إجازةً بديعةً وانتفعت بصحبته: العلاَّمة الجليل إمام المالكية بالشَّام المرحوم السيِّد أحمد أخو الأمير الشهير، السيِّد عبد القادر الحسني الجَزَائري وهو من أخصاء تلامذة الجد كما ذكر لي ذلك في إجازتِهِ.

ومن أجاز لي أيضًا: المُحَدِّث الشهير، والعلاَّمة الكبير بركةِ العصر الشيخ بدر الدِّين المغربـي متَّع الله المسلمين بطول بقائِهِ، وحباه من لطف نعمائه.

وممن أجاز لي أيضًا: العلاَّمة المُحَقِّق، والصوفي المدقِّق، سيِّدي السيِّد محمد أبو طالب الحَسَني الجزائري، نزيل بيروت بارك المولى في أجله.

وممن أجاز لي أيضًا: من فاق الأقران علاَّمة قزان الشيخ عالم جان البارودي حاجًّا لما قدم هذه الدِّيار حاجًّا، وذكر في إجازته أنَّه أخذ عن الإمام الكبير، العلاَّمة الشهير السيِّد صدِّيق حسن خان.

وممن تكرَّم بالإجازة لي: الفقيه النِّحرير، العالم الشهير المرحوم سيدي الشيخ عبد الحكيم الأفغاني، فإنَّه أجاز لي إجازةً عامَّةً لفظًا وخَطًّا جزاه الله خير جزاءٍ، ورحِمَه ورضي عنه أعلى رضاء.

وممن تفضل بالإجازة لي: علاَّمة المغرب السيِّد محمد جعفر الكتاني نزيل المدينة المنوَّرة الآن، وقد أسمعني الحديث المسلسل بالأولية، وأجاز لي إجازةً عامَّة مطوَّلة.

وممن أجاز لي إجازة عامَّةً: مُرشد السَّالكين الأُستاذ المعمر الشيخ عبد القادر المجذوب، فقد ذكر لي في إجازته لي أنه أَخذ عن مُحَدِّث الدِّيار الشَّاميَّة المرحوم الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري.

ولنقتصر على هؤلاء الأَساتذة الأخيار، وإلاَّ فاستقصاء من شملتني بركته وإجازته لا يسعه هذا المجلس[١].

وأمَّا أعلى سند للفقير إلى سيِّدنا النَّووي قدَّس الله سرّه مؤلف هذا الكتاب فهو روايتي لهذا وسائر مصنَّفاته عن سيِّدي شقيقي المرحوم، عن سيِّدي المرحوم بهجة العلماء، وريحانة الأُدباء الوالد الماجد عن سيدي وجدِّي بركة عصره العلاَّمة الشيخ قاسم.

---

(١) ومن أجازه كذلك العلامة عبد الحي الكتاني كما سترى ذلك بخطه إن شاء الله (ص ٩٠)، والشيخ محمد بن حسين الحبشي، وعمه الشيخ محمد القاسمي كما سيأتي (ص ١٧٦).

ولسيِّدي الجد أسانيد عديدة فإنَّه قُدِّسَ سِرُّه أخذ عن مُسْند الشَّام الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري وهو أجلّ أساتذته، ومن مشايخه أيضًا العلاَّمة الشيخ سعيد الحلبي، ومنهم الإمام الجليل السيِّد الشيخ محمد الدّسوقي، ومنهم العلاَّمة الشيخ إبراهيم الباجوري فإنَّه عام رحلته إلى مصر سنة (١٢٧٠هـ) استجاز منه فكتب له إجازةً فخيمةً هي عندنا.

ومن مشايخه العلاَّمة الشيخ يوسف الصَّاوي المدني استجاز منه في إحدى حجاته سنة (١٢٦٦هـ). وله أشياخ أُخر.

وأعلى إسنادٍ له في هذا الكتاب وسائر مصنفات الإمام النَّووي عن أُستاذه جد جدتي السيد محمد الدسوقي المنوَّه به، وهو يرويه عن أُستاذه العلاَّمة الشيخ علي السُّليمي الصَّالحي المُترجم في «تاريخ المرادي»، وهو يرويه عن شيخه العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي، وهو يرويه عن الإمام نجم الدِّين الغزي، عن والده بدر الدِّين الغزي، عن القاضي زكريا الأنصاري، عن حافظ عصره أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، عن الحافظ زين الدِّين عبد الرحيم العراقي، عن علاء الدِّين العطار، عن شيخه الإمام النَّووي رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الفردوس مأواه.

ومعلومٌ أن الإمام النَّووي رضي الله عنه أحد الأفراد الأعلام المنعوتين بشيوخ الإسلام، مشى على قدم السلف الأعيان، وسار سيرة لم يختلف في كمالها اثنان، وقد ترجمه التَّاج السُّبكي في «طبقاته» والإسنوي أيضًا، وابن شاكر في ذيله على تاريخ ابن خلكان وغيرهم.

وُلد رضي الله عنه سنة ثلاثين وستمائة بقرية نوى وقدم به أبوه إلى

دمشق وتوطنها للتعلم والتعليم، ثُمَّ سار إلى بلده وتوطنها في آخر أمره لبعض البواعث، وتوفي بها سنة ست وسبعين وستمائة عن ستة وأربعين عامًا.

قال السبكي في «طبقاته»: وأنا إذا أردت أن أُجمل تفاصيل فضله، وأدل الخلق على شرف مقداره لم أزد على بيتين سمعتهما من الشيخ الوالد يعني والده التقيّ السُّبكي لما سكن في قاعة دار الحديث الأشرفيّة سنة (٧٤٢هـ) وكان يخرج في الليل إلى إيوانها فيتهجد تجاه الأثر الشريف ويُمرغ وجهه على البساط الذي كان الإمام النَّوَوي يجلس عليه وقت التدريس ويُنْشِدُ[1]:

وفي دارِ الحَديثِ لَطيفُ مَعْنًى ... على بُسُطٍ بها أَصْبو وآوِي

عسى أَنِّي أَمَسُّ بِحُرِّ وَجْهي ... مَكَانًا مَسَّهُ قَدَمُ النَّواوي

نفعنا المولى بعلومه، ووفقنا للمشي على منهج الاستقامة بفضله وكرمه آمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

وإليك نص إجازة الشيخ بكري العطار، وإجازة الشيخ محمد بدر الدِّين الحَسَني:

---

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي (٨/ ٣٩٦).

الإجازة الأُولى للشيخ العلاَّمة بكري العطّار المتوفى سنة (١٣٢٠هـ)[١].

بسم اللّه الرحمن الرحيم

حمدًا لمن زيَّن سماء الشَّريعة ببزوغ القرآن والحديث، وأيد بحصنها المنيع عماد الدِّين في القديم والحديث. فسبحانه من إلـه رفع منار العلماء وأشاده، وعلَّم الإنسان ما لم يعلم مما أغناه وأفاده، وخصَّ هذه الأمة المحمدية بعلم الرِّواية والإسناد، الحاسم عن هذه الشريعة المطهرة كذب أهل التدليس والإلحاد، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله الكبير العليم الوهاب، المُتفضل على من تخلى من درن الجهل وتحلَّى بفرائد العلم بالأجر والثواب، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد السادات، ومنبع العلم والحلم والتقى والكمالات، فهو قطب فلك الوجود، وسيد كافة الخلق من بيض وسود، فأنعم به من رسول أظهر بسنته ما خفي من نظم الكتاب، وأكرم به من نبـي فسّر بمعرفته ما أجمل على أُولي الألباب، صلَّى الله عليه وعلى آله السَّادة الكرام، وأصحابه مشكاة الأنوار ومصابيح الظلام، والتابعين لهم المطهرين عن وصمة الطعن بلا ارتياب، وبقية العلماء العالمين، أُولي

(١) ترجم له تلميذه الشيخ محمد سعيد الباني ترجمة ضافية في كتابه «الكوكب الدري المنير في أحكام الذهب والفضة والحرير» (ص ١٦٣ ـ ١٧٦).

التحديث والترجيح والاستحسان والاستصحاب، صلاةً وسلامًا دائمين ما روى مُحَدِّث ودرس، وأفتى فقيه وعلى مُحكم الأدلة أسّس.

أما بعد:

فإن العلوم شتى وغورها بعيد، والسعيد كل السعيد، من طاب له موردها العذب الفريد، إذْ هي أُم القرب، وذريعة لأعلى الرُّتب، وحسبك ما قال الله تعالى في كتابه المكنون: ﴿يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا﴾، ومن أجلها علم علوم الشريعة المصونة عن التغيير، كالحديث والفقه والتفسير، وكذا علم الكلام المسمى بالأُصول، ومقدماتها من المعقول والمنقول، ولما توقف على الإسناد كل من السُّنة والكتاب، حذرًا من تلاعب أهل الضلال والارتياب، حتى رُوي عن صاحب الدر النفيس، عالم قريش إمامنا الشَّافعي محمد بن إدريس، أن الذي يطلب الحديث بلا سند، كحاطب ليل يحمل الحطب وفيه أفعى وهو لا يدرك، ومثله ما قاله عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدِّين ولولاه لقال من شاء ما شاء كما نقله عنه مسلم بن الحجاج، في أول «صحيحه» الثجاج، وهو موقوف على الإجازة من الآباء في الدِّين، وهم المشايخ الذين هم واسطة بين العبد ورب العالمين، حتى قال حافظ الغرب ابن عبد البر الشهير: إن الإجازة رأس مال كبير؛ فلذلك طلب مني الشَّاب النَّجيب، والمهذب الأريب، الشيخ قاسم ابن العالم الفاضل، والأديب الكامل، المرحوم المبرور الشيخ محمد سعيد أفندي ابن العلاَّمة المشتهر في الآفاق، الشيخ قاسم أفندي الشهير لقبه بالحلاَّق، أن أُجيزه بما تجوز لي روايته، وتنسب لي عن مشايخي درايته، فاعتذرت بأني لست أهلاً لذلك، ولا ممن سلك هاتيك المسالك، فلما لم ينفعني ذلك بادرت إلى مطلوبه، وأسعفته بإنجاز

مرغوبه، رجاء أن يُلحق بالأفاضل الكرام، وأن يعد فيما يأول من الفخام، وهو قد حضر عندي طرفًا من النحو والحديث، فأجزته بالشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر كما أخذت ذلك عن مشايخ متعددين، وأساتذة معتبرين، فمن أجلهم سيدي وسندي وعمدتي ذو الفضل المدرار، والدي العلاَّمة الشيخ حامد العطَّار، وهو يروي عن الشهاب أحمد العطَّار، وأسانيده مذكورة في «ثبته».

هذا وأوصي المُجاز بتقوى الله في السِّر والعلن، وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن لا ينساني من صالح دعواته وأصولي وفروعي، ولا سيما الدعاء بالعفو والعافية وحسن الختام، آمين.

جرى تحريره في إحدى وعشرين من شهر شوال يوم الأحد سنة ألف وثلاثمائة وثمانية عشر.

قاله فقير رحمة ربه الغفَّار

بكري بن حامد

العطَّار الشَّافعي القادري

❋ ❋ ❋

الإجازة الثانية للشيخ محمد بدر الدِّين الحسني الدِّمشقي المتوفى سنة (١٣٥٤هـ)[١].

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللَّهُمَّ على مُسلسل نعمائك، ونشكرك على متواتر آلائك، ونسألك متصل الصَّلوات والتسليمات على المرفوع من بين المخلوقات، وعلى آله المشهورة أخبارهم، وأصحابه المستفيضة آثارهم.

أما بعد: فإن الإسناد من الدِّين، والمتمسك به آخذٌ بالحبل المتين، فمن ثَمَّ عَكَف أهل العلم عليه، وتوجهت مطايا هممهم إليه.

ولمَّا كان منهم ولدنا الشيخ قاسم القاسمي الدمشقي حقَّقنا الله تعالى وإيَّاه بمكارم الأخلاق؛ طلب مني الإجازة، التي هي أمان عند اقتحام المفازة، وأنَّى لمثلي أن يُستجاز، وهل يقال بهذا الجواز، إلاَّ أنه حسَّن فيَّ ظنه، أثابه الله تعالى على قصده الجنة.

فأجزته بالمعقول والمنقول من فروع وأصول، كما أجازني بذلك فضلاء العصر، وجهابذة مصر، منهم:

---

(١) ترجم له أكثر من واحد من تلاميذه منهم الشيخ صالح الفرفور في كتاب بعنوان: «المحدث الأكبر وإمام العصر».

بحر الفضلاء، ومفترق الفحول والنبلاء، أفضل من عنه يُتلقى، العلاَّمة الشيخ إبراهيم السقَّا؛ عن الإمام المهذِّب العلاَّمة الشيخ ثعيلب، عن الإمام الملَّوي ذي النور في الديجور، عن الإمام عبد الله بن سالم صاحب الثبت المشهور، وعن شيخه العلاَّمة الشيخ محمد الأمير، عن والده الشيخ الكبير، وقد حوى ثبته الأسانيد مفصَّلة لا تحتاج إلى مزيد.

والمرجو من الشيخ المذكور ضاعف الله تعالى لي وله وللمسلمين الأجور، أن لا ينساني من دعوة صالحة، جعل الله تجارة الجميع رابحة، وختم لنا بالحسنى وأمدنا بالمدد الأسنى.

العبد الفقير والعاجز الحقير

محمد بدر الدِّين

عُفِيَ عنه، آمين

* * *

وهذه رسالة من العلاَّمة محمد بهجة البيطار معزِّيًا له بأخيه الشيخ محمد عيد القاسمي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

إلى حضرة الأديب المفضال، والأُستاذ الأَجلّ الشيخ قاسم أفندي القاسمي أدام المولى فضله.

سلام عليكم ورحمة الله.

أما بعد:

فإني أهديك عاطر سلامي، وفائق شوقي، وزائد احترامي، ثُمَّ أُقدِّم لك واجب العزاء بهذا المصاب الذي كلنا فيه شَرَع سواء بوفاة المرحوم ثالث الشقيقين الذي كان بهجة الخاطر وقرَّة العين، ولقد أحزنني هذا المصاب وجدد لي ذكر من لا أنساهم ممن فقدناهم على مر الأيام والأحقاب، والأمر لله ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.

والله تعالى أسأل، وبأسمائه الحسنى أتوسل، أن يتغمد هذا الفقيد العزيز برحمته، ويدخله فسيح جنته، ويلهمنا وإيَّاكم الصَّبر الجميل،

ويثيبنا وإيَّاكم الثواب الجزيل، ويجعل هذا الرزء خاتمة الأرزاء، إنَّه تعالى سميع الدُّعاء، آمين.

١٠ ج ١[١] سنة ٣٥

الأسيف

محمد بهجة البيطار

(١) أي في العاشر من جمادى الأولى.

كنت نبيا وآدم بين الماء والطين

اي كتبت نبيا وآدم الخ اهـ ٢٩ ذي الحجة ختام ١٢٩٩

بدأنا بقراءتها على شيخنا شيخ القراء
في دمشق الشام العلامة العالم
والفهامة الفاضل الشيخ
احمد افندي الحلواني
حفظه الله
٥ رجب يوم
الخميس سنة ١٣٠٠

وختمنا ٢٥ محرم الحرام يوم الثلاثا سنة ١٣٠١

بدأنا بقراءتها على شيخنا المذكور
العلامة الشيخ محمد
جمال الدين
القاسمي
١ جمادى الآخر سنة ١٣١٨
ليلة الجمعة قاسم محمد
الذاكر

ختمنا ١٢ ربيع الثاني ليلة الثلاثا بعد المغرب سنة ١٣١٩ وكان الترتيب هكذا

قاسم
خير الذاكر
القاسمي

صورة الورقة الأخيرة من كتاب «الحواشي الأزهرية» وعليها خط الشيخ قاسم القاسمي ذاكرًا لقراءته لهذا الكتاب على أخيه العلاَّمة جمال الدِّين، والشيخ جمال الدِّين قرأه على شيخه شيخ قراء الشام الشيخ أحمد الحلواني.

بدأنا بقراءتها على العلامة الوحيد والمحدث الفريد
الشيخ محمد جمال الدين أبي الفرج القاسمي الدمشقي
وذلك يوم الثلاثا ٨ ربيع الاول سنة ١٣١٩
وكان ترتيب قراءتنا كل ثلاثا وجمعة انتهاءا بحجر
وختمناها يوم الثلاثا ٢٧ جمادى
الاول سنة ١٣١٩ اللهم اني
اسألك العافية سبحانك
اللهم وبحمدك اشهد ان
لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك سبحان
ربك رب العزة
عما يصفون وسلام
على المرسلين
والحمد لله رب
العالمين

الفقير محمد قاسم
خير الدين
القاسمي
شقيق الشيخ المذكور

حاشية العالم العلامه والحبر الفهامه وحيد
عصره وفريد دهره الشيخ أحمد بن
محمد الدمياطي على شرح الورقات
في أصول الفقه للامام
جلال الدين المحلى
رحمه الله
آمين

صورة طرة كتاب «حاشية الورقات» وعليها خط الشيخ قاسم القاسمي
بقراءته على أخيه الشيخ جمال الدِّين.

كتاب

شرح العوامل

جمع الفقير قاسم خير الدين

القاسمي عفا عنه

صورة طرة «شرح العوامل» للشيخ قاسم القاسمي بخطه.

الجزء الثاني من المجلد الاول
من الدر المكنون
لجامعه الفقير محمد
قاسم خير الدين
القاسمي
١٣٢١

صورة غلاف الكناش الذي كان يجمع فيه الفوائد الشيخ قاسم وأسماه بـ «الدر المكنون».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اما بعد فقد استجازني الاخ الفاضل والعالم العامل الشيخ قاسم ابن الشيخ سعيد ابن الشيخ قاسم الدمشقي استجازة اوجبتني الاقدام والزمتني الالتزام فاجبته لمطلوبه واسعفته في مرغوبه فاجزته بما يجوز لي روايته ويسوغ لي درايته من كتب الحديث والتفسير والاصول وغيرها من المنقول والمعقول على سنة اهل الحديث وذوي الاثر وهو الذي يعول عليه المعتبر كما اجازني به علامة بلاد قزان وبلغار الشيخ هارون شهاب الدين ابن الشيخ بهاء الدين المرجاني الحنفي الاثري والعلامة الاثري الشيخ السيد صديق حسن خان القنوجي البهوبالي والعلامة المحدث السيد علي ظاهر الوتري المدني وغيرهم رحمهم الله تعالى واوصيه بما روينا عن عبد الله عن ابيه احمد بن حنبل عن سفيان بن عيينة انه قال ليس العالم من يعرف الخير عن الشر انما العالم من يعرف الخير فيعمله ويعرف الشر فيجتنبه وان يذكرني ومشايخي في دعواته الصالحة بارك الله في علمه ووسعه في فهمه وفكره هذا والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

قاله بفمه ورقمه بقلمه العبد الفقير الى عون ربه القدير عالم جان بن محمد جان بن بنيامين بن علي البارودي القزاني الحنفي الاثري وذلك قبيل الغروب يوم الخميس تاسع يوم من رمضان

سنة ١٣٢٧

عالم جان

صورة إجازة الشيخ عالم جان القزاني للشيخ قاسم القاسمي.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على أكمل خلق الله وعلى آله وصحابته وسلم

يقول الفقير محمد عبد الحي بن الشيخ عبد الكبير الكتاني الفاسي عفا الله تعالى عنه لما جئناه دار فيحاء أجزت الأخ الأحب الأجل الفاضل النبيه الشيخ قاسم خير الدين بن محمد سعيد القاسمي الدمشقي بكل ما لي من رواية عن المغاربة والمشارقة من فاسيين ومراكشيين وزرهونيين وشنجيطيين وتونسيين ومكيين ومدنيين ومصريين وشاميين ويمانيين وهنديين وعراقيين وغيرهم ومن أعلى رواياتي ما أجازني به المعمر أحمد الشويكي البغدادي عن السيد مرتضى الزبيدي بأسانيده وأجازني الشيخ أحمد رضا علي خان الهندي الفاضل البرلوي عن المعمر الأشبولي عن الشيخ عبد العزيز الدهلوي عن أبيه الشاه ولي الله مؤلف حجة الله البالغة عن ابن عقيلة وعمر بن عقيل وأبي طاهر الكوراني وجماعات بأسانيدهم لغيرهم والله تعالى ينفعه وينفع به آمين قاله وكتبه المحرر أعلاه في سادس ربيع الأول عام 1324 بدمشق أقامه الله تعالى على البر

صورة إجازة الشيخ عبد الحي الكتاني المغربي بخطه للشيخ قاسم القاسمي.

الدكتور صلاح الدِّين يوسف القاسمي

(١٣٠٥ ــ ١٣٣٤هـ)

الدكتور صلاح الدِّين يوسف ابن الشيخ محمد سعيد القاسمي، رابع أبناء الشيخ محمد سعيد القاسمي، يقول الشيخ محمد سعيد: «ثُمَّ جاءنا مولود مبارك إن شاء الله تعالى، أذان الظهر يوم السبت الواقع في ٢٠ من شهر صفر الخير سنة (١٣٠٥هـ)، وسمَّيناه: صلاح الدِّين، جعل الله فيه صلاح الدِّين والدّنيا، وجعله من سُعداء الدنيا والآخرة، آمين يا ربَّ العالمين»[١].

يقول ابن أخيه الأستاذ المحامي الأديب ظافر القاسمي:

«مات أبوه عام (١٣١٧هـ) وهو في الثانية عشرة من عمره، ثُمَّ كفله أخوه علاَّمة الشَّام الإمام جمال الدِّين القاسمي، وكان قد عرف في الفتى نبوغه المبكر، فأحاطه بكثير من عنايته ورعايته، وصرف همه إلى تعليمه ما فاته هو نفسه من علوم الزمان، وسلكه في مدارس الدولة، يتعلم التركية والفارسية والفرنسية ومبادىء العلوم الكونية، إلى جانب ما يتلقى في بيته من الدِّين وعلوم العربية، فلما أتمَّ دراسته الثانوية أدخله كلية الطب،

---

(١) انظر ما تقدَّم (ص ٦٥).

وكانت تسمى «المدرسة الطبية» إلى أن نال شهادتها عام (١٣٣٢هـ ــ ١٩١٤م).

نشَّأه أخوه على مبادئه القوية، ودفعه في طريق مناهجه السليمة، ولقَّنه أسس الدِّين الصحيح، الخالي عن شوائب الخرافات والأباطيل».

* * *

ثُمَّ يقول:

«لقد لقَّنه أخوه ما فاته من مدارس الدولة، بشكل لطيف رقيق، بعيد عن تعقيد المشايخ، فدرس على يديه أمهات الكتب بأسهل أسلوب، ثُمَّ دفعه لاستغلال مواهبه النَّامية بشكل مبكر، فشجعه على الكتابة والنظم، وروَّض قلمه منذ صباه المبكر على الشعر والنثر، فأنشأ مجلة «نقطة الأدب»، وهو طالب في الثانوية، وله من العمر خمسة عشر عامًا أو أقل، وهي إن دلَّت على شيء فإنما تدلّ على القريحة المتفتحة المبكرة. . .

ثُمَّ أخذ يكتب دون انقطاع، وفي جميع المواضيع التي كانت تشغل المجتمع الإسلامي والعربي في ذلك الحين من الدهر. . .

والتقى مع إخوان له، ثَقِفُوا ثقافته، واعتنقوا مبادئه، واتَّفق معهم بالقناعة والآراء والأفكار، أرادوا لهذا الشعب أن يهب من منيته، ولهذه الأمة أن تستيقظ من رقدة العدم، فألّفوا قبل الدستور عام (١٣٢٤هـ) (جمعية النهضة العربية)، يعملون لرفعة العرب ومجدهم، ولنشر اللُّغة العربية بكل الوسائل، ويجمعون الأموال من بعضهم ليفتحوا غرفًا للقراءة، ويعيِّنون لها أمينًا، يدفعون راتبه من جيوبهم، ويهدفون ــ قبل كل شيء ــ إلى تعريف العرب بأنفسهم، وبتاريخهم، وبقوميتهم، ويعملون لهذه

الأغراض السامية بمختلف الوسائل والسبل، السرية والعلنية، وكان صلاح الدِّين أصغر الأعضاء سنًّا، لم يجاوز التاسعة عشرة من عمره، وقد كان أول كاتم سر لهذه الجمعية. . . »[1].

* * *

ثم ذكر مقالاته التي كان يدبجها ويرسلها إلى كبريات المجلات والصحف في عصره، ثُمَّ قال:

«ويذهب للحجاز طبيبًا فيبعث برسائله منها، وإذا دراسات اجتماعية تاريخية وسياسية، لم يظفر الحجاز بغيرها ـ فيما أعلم ـ عن تلك الحقبة.

وخلال هذا كله يكتب مقالات علمية للعلم وحده. ولعلَّ من أهم ما كتب في هذا المجال، دراسته ونقده لكتاب «النظرات»، للمنفلوطي رحمه الله. فلقد كان لهذا الكتاب يوم ظهوره أثر ظاهر في الحياة الأدبية والفكرية والاجتماعية، لأنه طلع على الناس في عصر لم يكن للنَّاس فيه كبير اهتمام بالأدب والأدباء، وكان في أسلوبه ابتكار، وفي لغته أناقة، وفي مواضيعه طرافة، فأقبل الناس عليه، بين مادح له ولمؤلفه دون حساب، وأكثر هؤلاء من شباب الجيل، وبين غاضٍّ منه معرض عنه، منفِّر منه، وأكثر أولئك من مشايخ الطريقة القديمة في اللُّغة والأدب. وقد تناوله صلاح الدِّين بالبحث والتَّحليل في دراسة طويلة سماها: «نظرة في النظرات» استغرقت ثلاثين صفحة من هذا الكتاب، تناول فيها ـ بعد

(١) «مقدّمة مقالات صفحات من تاريخ النّهضة العربيّة» (ص: ط و ي).

التمهيد ـ أسلوب المنفلوطي، وموضوعه وآراءه، ولغته، ووصفه، وروحه. وفي ظني أن هذه الدراسة هي في مقدمة الدراسات الأدبية الحديثة التي وضعت في مطلع القرن العشرين على الطريقة الموضوعية المحضة، والتي هدف فيها كاتبها إلى النقد الصحيح، مع التبويب والترتيب. وإذا عرفت قلة الوسائل، وندرة المصادر، وفقدان الأسوة، وعدم وجود القدوة، عرفت عبقرية صلاح الدِّين المبكرة التي وفقت إلى هذا البحث العلمي الرائع، دون مرشد أو دليل.

ويُتَّهم أخوه وأستاذه جمال الدِّين القاسمي بالوهابية، من الحشوية والجامدين، فيكتب مقالاً للمقتطف عرَّف الناس فيه بكثير من الجرأة والشجاعة عن «الحشوية والوهابية».

ويلتزم أخوه وأستاذه داره منقطعًا عن إمامة الناس، وعن دروسه العامَّة في المسجد الجامع؛ لأن الحشويين قد هيَّجوا عليه العامَّة، فيكتب مقالين بحث فيهما «ضراء العلماء» يضرب فيه الأمثال لما أصاب العلماء والمصلحين من الاضطهاد، ويبشر بانتصار نور هداهم على ظلام ضلال خصومهم.

أما شعره، فهو كما ترى، على قلته، عنوان على الشاعر المطبوع. نظم الشعر في صباه المبكر، ثُمَّ انقطع عنه، ولم يقله بعدها إلَّا في مناسبتين كبيرتين، إحداهما رثاؤه لشقيقه جمال الدِّين القاسمي، وسمى قصيدته: «الدمعة اليتيمة» وثانيتهما لما تمخضت الثورة العربية الكبرى، وكان طريح الفراش، فنظم قصيدة للشَّريف حسين سمَّاها «تهنئة وشكوى» وهو على فراش المرض.

أما ما ترى من شعر الصبا، فهو على خفته ورونقه، صحيح اللُّغة سليم الأداء جميل الصور».

* * *

ثُمَّ قال:

«حدَّثني الدكتور سليم العجة رحمه الله، وكان طبيبًا في الحجاز عام (١٣٣٤هـ ـ ١٩١٦م): أنَّ صلاح الدِّين القاسمي قد أصيب بخراج بارد في الكبد، وأنه قد أجري له عملية جراحية لاستئصال الخراج لم تنجح، وتوفِّي على أثرها، بعيدًا عن أهله وأصدقائه، غريبًا عن مسقط رأسه!

لم أعرف اليوم الذي توفِّي فيه على التَّحقيق[١]، ولكنه بين شهري رمضان وشوال (١٣٣٤هـ)، وعمره تسعة وعشرون عامًا وبضعة أشهر»[٢].

* * *

(١) يقول الأستاذ محمد سعيد القاسمي حفظه الله تعالى:
«مما يؤكد لي أن وفاة العم صلاح الدِّين القاسمي رحمه الله تعالى كانت في شهر ربيع الأوَّل سنة (١٣٣٤هـ) (وفق أوائل عام ١٩١٦م) أمران:
أولهما: نظمه قصيدة «تهنئة وشكوى» وهو على فراش الموت، أرسلها إلى الشريف حسين، قبل إعلان الثورة ببضعة شهور، وقد كان إعلان الثورة العربية في التاسع من شهر شعبان سنة (١٣٣٤هـ) (وفق ١٠/٦/١٩١٦م).
ثانيهما: مرثية صديقه الشيخ محمد جميل الشطي، مفتي الحنابلة بدمشق وتلميذ شقيقه الأكبر محمد جمال الدِّين القاسمي، المؤرَّخة في شهر ربيع الأوَّل سنة (١٣٣٤هـ)، وقد سمَّاها: «حسرة الأديب على فراق الحبيب الدكتور صلاح الدِّين القاسمي».

(٢) «مقدمة المقالات» (ص: ج).

أما صديقه محبُّ الدِّين الخطيب فيقول في تقدمته لمقالات وآثار صلاح الدِّين القاسمي:

«عاش صلاح الدِّين عبقريًّا سابقًا لسنِّه، منذ أمسكت أنامله القلم ليعبر به عما في نفسه، إلى أن لقي الله في البلاد الحجازية سنة (١٣٣٤هـ)، قُبيل قيام الدعوة فيها إلى تأسيس دولة عربية. إن مجيئه إلى الحجاز كان حَدْسًا بما تتمخَّض به الأيَّام من أحداث منتظرة، أراد صلاح الدِّين أن يكون من شهودها كما دلَّت عليهِ آخر قصيدة نظمها، وهي في آخر هذا الكتاب ـ يعني مقالاته ـ، فأدركته المنية قبل أن نلتقي للمرَّة الأخيرة في هذه الدنيا.

إن العبقرية هبة من الرحمن. يقوم صاحبها بواجب الشكر عليها إذا أحسن استعمالها في إقامة الحق وإشاعة الخير على ما يرضي الله.

وهذا الكتاب يشهد للدكتور صلاح الدِّين القاسمي بأنه قام لله سبحانه بواجب الشكر على ما وهبه من نعمة النبوغ، وعلى ما ألهمه من السعي والكفاح لاستعمال عبقريته في بعث العروبة والإسلام وتجديد شبابهما، يوم لم يكن في الميدان بشير بهذه المعاني ولا نذير.

وكانت الحرب العالمية الأولى قد قطعت أواصر الاتِّصال بيني وبين أخي صلاح الدِّين، بانقطاع المواصلات بين مصر والبلاد العثمانية، حتى إذا دُعِيتُ للحجاز عند إعلان الحسين بن علي الثورة على الترك علمت وأنا في مكة بوفاة هذا العبقري المجاهد، وأنه قد دفن في فِناء مسجد حبر الأمة عبد الله بن عباس في الطائف، فلمَّا ذهبت إلى الطائف في شهر جمادى الآخرة سنة (١٣٣٥هـ) أخذت أبحث عن قبر هذا الصديق

الحبيب، إلى أن أُرشِدتُ إليه، ولم يكن لقبره شاهد يدل على صاحبه، فعملت له شاهدًا كتبت عليه بخطي ما يأتي:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ ۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾

بــارقٌ لاحَ فــي غُيــومِ الحيــاةِ فَــــرآهــــا كثيفــــةً فتَــــوارَى
صَقَلَتْــهُ يــدُ الحقيقــة حِينًــا فَتَجَلَّــتْ لــه فَمَــلَّ الإســـارا
آثَــرَ النُّــورَ والخلــودَ بعيــدًا عــن ربــوع رأى بِهِــنَّ ازْوِرارا
هــام فــي حــبِّ هــاشــمٍ وبنيــه فَغَـدا اليـومَ لابـن عبَّـاسَ جـارا

ذلك هو الطبيب الأديب

صلاح الدِّين القاسمي

الـدِّمشـقي

توفَّاه الله عن عشرين عامًا ونيِّف، في فجر النهضة العربية، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف...»[1].

* * *

ويقول أيضًا في مقال له في «جريدة القبلة» التي كانت تصدر في مكَّة المكرَّمة ذاكرًا لوفاته وصلته به:

«هذا الفتى العربي الذي استأثرت به المنيَّة في الطائف قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، بل قبل أن تقر عينه بتحقيق أمنيته الكبرى في

---

(١) «مقدمة المقالات» (ص: هـ و).

حياته، هو الدكتور صلاح الدِّين القاسمي ربيب بيت العلم والفضل. وإني أكتب عنه هذه السطور بقطرات الدمع السخين، وأمامي صورته مجسمة فيها معاني الحياة والذكاء، وقد كتب عليها بخطه من ضاحية بيقوز في القسطنطينية يوم ١١ رجب عام (١٣٢٧هـ) كلمات هي أدلّ شيء على رقيق حسِّه، ودقيق شعوره، حيث يقول: «كما أن الزهرة في صباح الربيع تبتسم لقبلات أشعة الشمس، فإن هذه الروح أيضًا ليبثها في هذا الخيال ما يتأرج من ذكراك أخاك من نفاحات الأمل...».

أجل عرفت صلاح الدِّين منذ كنا صبيين بين جدران مدرسة دمشق الإعدادية نعيش بنفحات الأمل: أمل حياة الأمة العربية، أمل الاعتزاز بارتقاء الشرق، أمل الاستقلال، فكان ــ بنفحات الأمل ــ شاعرًا وكاتبًا من أيام صباه، ثُمَّ شبَّ وشبَّت معه آماله الجميلة حتى بلغ حجر أمنا المحبوبة وهي بلاد الحجاز».

* * *

هذه نبذة من حياة هذا الطَّبيب الأديب بقلم ابن أخيه ظافر القاسمي، وصديقه محبِّ الدِّين الخطيب.

وهو كما ترى نابغة من النوابغ سبق سنّه كما قال صاحبه محبُّ الدِّين الخطيب، وقد كان يحسن من اللُّغات: التركية والفارسية والفرنسية، ولا غرابة في هذا الذكاء والنبوغ فهو من هذا البيت العلمي الجليل.

وقد كان ينسخ بعض المخطوطات بخطِّه الجميل، كما أنه ألَّف رسالة وهو في الخامسة عشرة من عمره وهي بعنوان: «عقود جيد الوجود فيما يتعلق بالبخل والشح والكرم والجود». وجمع ابن أخيه الدكتور

مسلَّم بن الشيخ جمال الدِّين مقالاته وهي بعنوان: «صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين»، قدَّم لها الكاتب الكبير محبُّ الدِّين الخطيب؛ وطبعت في مطبعته: المطبعة السلفية بالقاهرة سنة (١٣٧٩هـ).

ولما توفِّي شقيقه العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي أرسل له صديقه محبُّ الدِّين الخطيب رسالة مطوَّلة يقول فيها:

القاهرة في ١١ جمادى الثانية سنة (١٣٣٢هـ).

أخي الحبيب صلاح الدِّين،

الآن وقد كادت تسكن زفرات النَّاس في الشَّام ومصر والعراق، وفي كل بلد قام فيه للإصلاح الإسلامي جند ولواء، فتعال معي نتبادل زفراتنا ونمزج عبراتنا ذاكرَيْن بلذةٍ وحسرةٍ تلك اللَّيالي الجميلة التي جمعتني وإيَّاك ـ لأول مرة ـ بجامعة الصَّداقةِ والإخاء بين جدران جامع السَّنانيَّة[1]، وفي حلقة الدرس الذي كان فقيد دولة الإصلاح المرحوم المبرور جمال الدِّين الثَّاني[2] يخترق فيه بحكمته سجف أرواحنا وحجب أفئدتنا، فيبني هناك ما هدَّمه جهل مُعلِّمينا الآخرين من سعادة الإيمان وطمأنينة اليقين.

أجل لعلَّك يا صلاح لا تزال تذكر نعيمنا يومئذٍ بإدراك المقاصد الحقيقية التي رمى إليها الإسلام، واغتباطنا بفهم الحكم العالية التي شاد رجاله بناءها، فكنَّا نسكن إليها موطنين النَّفس بأن الصورة التي كان يتصور

---

(١) هو الجامع الذي كان يؤم فيه الشيخ جمال الدِّين شقيق الدكتور صلاح الدِّين.

(٢) يعني الشيخ جمال الدِّين القاسمي.

الإسلام كُنَّا بها في دروس المشايخ الجاهلين، والأفندية الملحدين، إنما هي صورة كاذبة لم تنقل عن جوهر الإسلام الحقيقي.

جزاه الله عن الإسلام بأحسن ما يجزي الله به أولياءه، فقد كان يخدمه بإزالة ما علق به من غبار الجهل حتى تتمثَّل صورته جميلة وضَّاحة نقيَّة لكُلِّ من ينظر إليها من أصدقاء وأعداء، وكان يخدمه بإحياء محاسن رجاله ومآثرهم حَتَّى يعتزّ بهم أبناؤهم وأحفادهم، وكان مع هذا وذاك يخدمه خدمة عمليَّة بتلك الأخلاق السَّامية، والسَّجايا التي خلقت من الوداعة والحلم والجنوح إلى الإحسان.

تعال يا صلاح نتبادل زفراتنا ونمزج عبراتنا بعد أن خرج النَّاس كربات نفوسهم، بتصعيد زفراتهم، فها قد سكن الجو ووجد كِلَانا ملجأً من الهدوء تلجأ إليه نفسه، فتعالَ نجارِ السكينة بدموع ساكنة أيضًا نبكي بها ذكرى مضت، وآمالاً تكسَّرت، ولولا أن جهاد شقيقك الإمام كان الفتح حليفه، والنصر أليفه، وجنوده في ازدياد، وبنوده خفَّاقة في البلاد لما ذكرتك بالصبر ولا طلبت لي ولك سلوان مصابنا العظيم.

نعم يا أخي، إن قائِد فرقتنا قد انفصل عن جنوده، ولكن لتطمئن نفسك بتدبيره ووفائه، فهو لم يفارقنا إلَّا بعد أن أيقن بكثرة سوادنا واتِّساع منطقتنا وتعدُّد ألويتنا.

إنه قام يا صلاح بأكثر ممَّا يجب عليه، وجاء دورنا، فلننتبه إلى حقيقة موقفنا، ولنعمل بشجاعة وإخلاص، التفت حولك ودُر بعينك، تجد أن المنازل التي كانت تُصارحنا بالشَّرِّ قد نبت لنا فيها نبتٌ صالح عرف إخلاص قائدنا، وأنَّه كان يعيش للعصور المستقبلة للبقاء، للخلود،

للفكرة السَّامية، التي تمخَّضت بها جزيرة العرب قبل ثلاثة عشر قرنًا، فجاءنا هذا النشء الجديد متطوِّعًا لمساعدتنا في إكمال المهمَّة التي عاناها أخوك وزملاؤه المُصلحون.

كفانا انخداعًا يا صلاح، حسْبُنَا تهاونًا في واجباتنا.

أرجع بصرك إلى الثَّلاثة عشر قرنًا، انظر إلى طليعتها وهي في جزيرة العرب كيف تتبلج أنوارها وتتفجَّر أضواؤها، ألا ترى كيف يسري النُّور إلى الآفاق الأخرى؟: إلى حوران، إلى دمشق، إلى السَّواحل، إلى فلسطين، إلى العراق، إلى ما بين النَّهرين، إلى فارس، إلى مصر، إلى تونس الخضراء، فساحل بحر الظُّلمات، إلى أوروبا... يريد أن ينير الدُّنيا... جاء الظَّلام من منطقة يأجوج ومأجوج، تَقَمَّصَ غير ثوبه، استعجم، صار للعلم رُتَبٌ رسمية، استفحل الخطب، أظلمت العصورُ المتوسطة، انفجر الذكاء السُّوري، خرج من رُكامه نور علم ابن تيمية، وابن القيم، وابن دقيق العيد، وابن الصَّلاح، والذَّهبي، سارت فكرة الإصلاح، قاومها العلماء الرسميون، طورد أهلها، انطفأت، استيقظت جزيرة العرب ولكن من شرقها هذه المرة، سار النُّور إلى الحجاز، إلى عسير، اضطرب الباطل وتولاه الجزع، حاربوا الإسلام في شخص أنصاره، ولو كان صاحبه مكان هؤلاء الأنصار لحاربوه أيضًا، نجحوا في حصر النور في المنطقة التي خرج منها.

وبعد...

ظلام، ظلام...

ضاق صدر الحقيقة الإسلامية، تهيأت النفوس لظهور الحق،

تحقَّق، ألاَّ ترى جمال الدِّين الأول[1]؟ ألا ترى الدكتور أحمد خان؟ أليس هذا الشيخ محمد عبده؟ أعد إلى ذاكرتك صداقة إخوان الصفا، الشيخ طاهر، جمال الدِّين الثَّاني، البيطار[2]، البخاري[3]... الاضطهاد... الوشايات... الثبات... الخدمة... الإصلاح... الإسلام النَّقي... ثوبه العربـي المبين...

يا لها من ذكريات لذيذة محزنة أليسوا أبطالاً يا صلاح؟ إنهم عملوا في غير هذه الأيام، هم أسَّسوا لنا، لولاهم لما كنا، ربَّما كان يكون أولادنا بدلاً منا وأما نحن فلا... ها كنا نكون نحن أيضًا، ولكن بتحمل الاضطهاد الذي تحمله أولئك الأبطال... لولاهم لكنا نحن الآن في سنة (١٣٠٢هـ) لا في سنة (١٣٣٢هـ).

أجل لقد فقدنا قائدًا عظيمًا، ولكنَّه ذهب وقد أدَّى أكثر من واجبه، وجاء دورنا، فلننتبه إلى حقيقة موقعنا، ولنعمل بشجاعة وإخلاص...

كفانا انخداعًا...

إذا كنا لا ننظر إلى الثلاثة عشر قرنًا فهي تنظر إلينا...

هيَّا إلى إكمال الواجب...

---

(١) يعني جمال الدِّين الأفغاني؛ وليس هو كما يُظن من دعاة الإصلاح بل من دعاة الماسونية كما حرَّر ذلك غير واحد في دراسة علمية عنه.

(٢) يعني الشيخ عبد الرزَّاق البيطار.

(٣) يعني الشيخ سليم بن إسماعيل البخاري أحد علماء النهضة الإصلاحيَّة في دمشق، توفِّي سنة (١٣٤٧هـ)، انظر ترجمته في: «منتخبات التواريخ» للحصني (٢/ ٨٤٤)، و «أعلام الأدب والفن» للجندي (٢/ ١١٨).

أين الحزم؟ أين الصبر؟

لنا في بطلنا وقائدنا الرَّاحل قدوةً حسنة، عظيم هذه القافلة أيضًا ــ وهو النَّبيّ الأميّ العربيّ ﷺ ــ ذهب أيضًا، وأما واجباتنا فباقية. . .

آمنت بالله، أذعنت بواجباتي نحو العصور الماضية والآتية، ولتقدَّس روح إمامنا الفقيد العظيم الذي كان مشكاة منيرة في ملتقى الماضي والآتي.

أخوك

محبُّ الدِّين الخطيب

* * *

هذه نتف من أخبار الدكتور صلاح الدِّين القاسمي، الذي توفِّي في الطائف سنة (١٣٣٤هـ) عن عمر لم يتجاوز الثلاثين.

* * *

وقد رثاه الشيخ محمد جميل الشطِّي الحنبليّ صديقه وصديق العائلة القاسميَّة وتلميذ شقيقه الشيخ جمال الدِّين القاسمي، حيث قال:

حسرة الأديب على فِراق الحبيب

الدكتور صلاح الدِّين القاسمي

سلوا لي صلاحَ الدِّين ما هو طالبُهْ ... عدوٌّ يُدانيهِ وخلٌّ يُجانِبُهْ

يُخَلِّي دمشقًا وهي أهلٌ ورِفْقَةٌ ... أما شاقَهُ إخوانُهُ وحبائبُهْ

ويمسي خَلِيَّ البالِ في بطنِ مكةٍ ... وإن كانَ فيها ما تعزُّ مراتبُهْ

أرى أنــهُ يبغــي مقــامًــا مفضَّــلاً بعلــمٍ يُعــانيــهِ وطــبٍّ ينــاسبُــهْ

يــودُّ رُقيًّــا فــي السمــاءِ وربَّمــا يَصِـحُّ أما في الأرضِ قلَّ مُقارِبُهْ

طبيـبٌ ولكـن منهُ يُشفى مـريضُـه بلطْـفٍ يــراهُ لا عــلاجٍ يــراقبــهْ

وكم من صديقٍ قد أتاهُ وعادمٍ فعاد بريئًا لم يجدْ من يحاسبُهْ

أديـبٌ فَسَـلْ عنهُ صحـائِفَ جِلَّـقٍ ومِصْـرَ فكم سارتْ إليهـا كتـائِبُهْ

لهُ شَهِدتْ بالغيبِ علمًا وحكمةً مـواهبُـهُ طـورًا وطـورًا مكـاسِبُـهْ

إذا خَطَبَتْـهُ أَلْسُـنٌ وهْـوَ سـاكـتٌ فَــأَعْيُنُــهُ مِنْطيقَــةٌ وحــواجِبُــهْ

وإن يَرْوِ لفظًا فَهْوَ أجملُ من رَوَى وإن يكتَتِــبْ معنــى فللَّــهِ كــاتبُــهْ

وشِعْـرٍ تَـرِقُّ الـرُّوحُ مـن رقَّـةٍ بِـهِ يُســائِــلُ فيــهِ روحَــهُ فتُجــاوِبُــهْ

لــذيــذٌ لقــومٍ يسمعــون حــديثَــهُ عــزيــزٌ لقــومٍ يبصــرون جــوانبُــهْ

تَــرِقُّ سجــايــاهُ وتحلــو صفــاتُــهُ وتسمـو مـزايـاهُ وتَصْفـو مشـاربُـهْ

فللَّــــــهِ معنــــــاهُ ولله شكلُــــــهُ ولله أهْلــــوهُ ولله صــــاحبُــــهْ

سقـى الله أيـامًـا قضيتُ جمـالَهـا على قُرْبِهِ والأُنْسُ قامت مواكبُهْ

وبــادلَنــي كــأسَ المحبَّــة صــافيًــا فيا ليتَهُ قد غصَّ بالكأس شاربُهْ

هَوَى وهو في سَبْعٍ وعشرين نَجْمُهُ ولو ظلَّ في نورٍ لما ضلَّ صاحبُهْ

صغيــرٌ إذا أبصــرتَــهُ غيــر أنَّــهُ كبيــرٌ إذا تُتْلَــى عليــك منــاقبُــهْ

فيا نضرَةَ الغُصْنِ الرَّطيب الذي ذَوَى ويا ضيعةَ العلمِ الذي انْهَدَّ جانبُهْ

ولكن وإن غابتْ عن العين عيْنُهُ ستــؤنِسُنــا آثــارُهُ وعجــائبُــهْ

يقـولـون فيـه رِقَّـةٌ قلت: أي نعم طبـائعُـهُ يـا حمقكـم لا مـذاهبُـهْ

إذا كان حُسْن النقل والعقل دينُه فـذلـك ديـنٌ جـاهـلٌ مـن يُجـانِبُـهْ

علــى دينــهِ ربِّــي أَمِتْنــي وحُبِّــهِ وقبْلي أَمِتْ في الدِّين من هُمْ عقارِبُهْ

فذاكَ (جمال الدِّين) غارَتْ بُحورهُ وهذا (صلاح الدِّين) سارَتْ مراكبُهْ

جمالٌ صلاحٌ غابَ عَنَّا سناهُما ... فلا عَجَبٌ أن يندبَ الدِّينَ نادِبُهْ
ولكن هما الشيخان عيدٌ وقاسمٌ ... يرى فيهما الوَلْهانُ ما هو راغبهْ
وتلك فروعُ الجَدِّ والأب كُلُّهم ... يجاذبنا عهدًا مضى ونجاذبهْ
بنو القاسمي في الشَّام يا فَضْلَ جَدِّهم ... وفضلَ أبيهم من تجلَّتْ كواكبُهْ
سلامٌ لهم ما الكون ضاءَ بنورِهِمْ ... مشارقُهُ يومًا ويومًا مغارِبُهْ

دمشق في ربيع الأول سنة (١٣٣٤هـ) **جميل الشَّطي**

* * *

وهذا نموذج من مقالاته التي كان يدبجها بقلمه السيال وهي بعنوان: «ضَراءُ العُلماء»[١].

وذلك لما هيَّجت العامة بعض الرعاع والجهَّال ممن يدَّعي المشيخة على أخيه الشيخ جمال الدِّين ومن معه من علماء الإصلاح، وقد أتبعتها بمقدِّمة رسالته في الجود، ونموذج من خطِّه رحمه الله تعالى:

ضَراءُ العُلماء

— ١ —

يولد الإصلاح بادىء ذي بدء غريبًا لا يأنس به إلاَّ ذوو الاستعداد الفطري للمبادىء العالية، وأبناء العلم والتَّهذيب من رجال الأمَّة. والبقيَّة الباقية منهم يناهضونه إمَّا بدافع جهلهم وتعصُّبهم، أو لعدم انطباقه على ما ينزعون إليه من التقاليد التي وجدوا عليها آباءهم. ولهذا تعترضه قبل أن

---

(١) وقد كتبها في حلقتين واكتفيت بالأولى منها. انظر: «مقالات الدكتور صلاح الدِّين القاسمي» (ص ٢٥٨) وما بعدها.

يدرج من عشه قوَّتان متناقضتان: الواحدة تسعى لإنمائه، والأخرى تعمل على تلاشيه. ويساعد الثَّانية في الغالب مال وخَوَل، في ملك ضخم البنيان، وجاه منبسط الظِّلال. . .

بين هاتين القوَّتين تشهر حرب شعواء يضطَّرب لها فلك الإصلاح، ولا بدَّ أن تنجلي وقد أزهق الحق الباطل، لأن القوَّة الحقيقيَّة بجانبه، ولقوَّة الحقّ حركة كبرى في ميدان تنازع البقاء.

ألا وإن أنصار الباطل كانوا وما زالوا في كل عصر ومصر يوقظون الفتنة ويضرمون جذوة الثَّورة، فيقومون بدعوى الغيرة على الدِّين مرة، وخدمة النَّفع العام تارةً أخرى، وما يريدون بذلك كما يشهد الحقّ إلاَّ منافعهم الشخصيَّة، فهي قبلة آمالهم التي يولُّون شطرها، وكعبة ميولهم التي يسوقون إليها مطايا هممهم وهممهم.

وليس أضرّ على العلم والدِّين من هؤلاء، فبمثلهم كسدت سوق العلم، وراجت بضاعة الجهل المزجاة، وهم بما يخلقونه من الأوهام مثلوا الدِّين بأقبح صورة مشوَّهة يفرّ منها النَّاظر فرار السَّليم من الأجرب، وفتحوا للدِّين مجالاً واسعًا أمام الأغيار فأخذوا يسلقونه بألسنة حداد، وينزلونه في غير المنزلة التي عرفها له السلف الصَّالح أيام كانوا على بيضاء نقيَّة لا يضرُّهم من خالفهم إذا كانوا هم المهتدين.

منيت الأمم الإسلامية جمعاء بمثل هؤلاء منذ ألف سنة أو تزيد، بيد أنه مع وجود هذه الطغمة بين ظهرانيهم وارتفاع جلبتهم وضوضائهم، وعملهم على إطفاء شعاع الأماني الذهبيَّة في مهبِّ تلك العواصف، لم تعدم الأمَّة طوائف توفَّرت على الأخذ بناصر الحقّ، وسلبت قرارها الرَّغبة

في شدِّ أزره ممن تمحَّضوا للعلم الخالص، واغترفوا من معينه وشلا، فكانت القوَّة بجانبهم ينافحون بها أعداء الظُّلم الألدَّاء ويكافحونهم، والغلبة لهم وإن تألَّبت عليهم الجموع الكثيفة، وتحلَّقت أمامهم الصفوف كالبنيان المرصوص ممن تجمعهم جامعة الجهل تحت لواء الحسد الذَّميم.

* * *

شهد شيخنا[1] التَّاريخ منذ نشأ الفكر البشري هذه الأعمال البربريَّة ولم تزل صفحاته نديَّة بعد، فلم يجف ما أريق من الدِّماء في سبيل نصرة الحقِّ، ولم يتبخَّر ما أذرف من الدُّموع الصَّافية المصدر والمورد على تلك العقول الرَّصينة، الَّتي بَيْنا هي ترصد فضاء السَّماء الفسيح إذا بها تفحص أعماق هذه الأرض، وتجتهد في استكناه أسرار الحياة المطويَّة طيّ تلك الطَّبقات الصمَّاء. وها هو قد حشد في صدره سيرة ألوف مؤلَّفة ممَّن ذهبوا ضحيَّة الجهل والحسد، ممَّا لو جمع وأفرد بمؤلّفات خاصَّة لأخرجت للنَّاس مجلَّدات ضخمة في «محكمة التفتيش الإسلاميَّة الكبرى».

وليس بالنَّزر القليل ما نال الأئمة المصلحين من النَّكبات التي يسودُّ لها وجه الإنسانيَّة، فكم رُمِيَ بالكفر من هو أشدّ النَّاس تمسُّكًا بدين الله، ومن هو أعظم اعتصامًا بحبله المتين، وحكم بالزندقة على من كان يحارب الدَّهريين، واضطَّهد من كان يعمل فكرته للاجتهاد والعمل بكتاب الله وسنَّة رسوله.

وأمامي الآن كثير من أمثال تلك الحوادث في بطون التَّواريخ التي

---

(١) يعني شقيقه الشيخ جمال الدِّين.

تضمُّ تراجم مشاهير المشارقة والمغاربة، آتي على شيء منها مقتصرًا على رجال الفريق الأول ممَّن ذاقوا الأُرَّم، ولقوا من معاصريهم الألاقي، لقاء بثّ فكرة إصلاحية، أو القيام بمشروع جديد، ليعلم أنَّ التاريخ هو المحشر الذي ينسلّ إليه النَّاس من كلِّ حدب، وأنه لا يُفْلِت أحدًا دون أن يناقشه الحساب:

هذا مالك بن أنس[1] سُعي به إلى جعفر بن عليّ ابن عم أبـي جعفر المنصور؛ فدعا به وجرَّده وضربه سبعين سوطًا ومدَّت يداه حتى انخلع كتفاه، وذلك جزاء قوله الحق حين سئل عن مبايعة محمد بن عبد الله بن حسن وقولهم له: «إنَّ في أعناقنا مبايعة أبـي جعفر»، فقال: «إنَّما بايعتم مكرهين وليس على مكرهٍ يمين» فأسرع الناس إلى محمد، فسعي به وضرب لذلك.

قال صاحب الفلاكة: ثُمَّ لم يزل مالك بعد في علوٍّ ورفعةٍ كأنَّما كانت تلك السِّياط حليًّا تحلَّى بها.

وهذا أبو حنيفة النُّعمان الفقيه الكوفي ضربه يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ـ وكان أمير العراقيِّين ـ مائة سوط وعشرة أسواط، وكل يوم عشرة أسواط أيضًا، وذلك لما أراده لِقضاء الكوفة فأبـى وبقي على الامتناع، وسجنه فتوفي في السِّجن في أحد القولين. وقيل: إن سبب سجنه الأبديّ ما ذكره الزمخشريّ ـ وهو من كبار الحنفيَّة ـ في تفسير آية ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾: أنَّ أبا حنيفة رحمه الله كان يفتي سرًّا بوجوب نصرة زيد بن عليّ رضوان الله عليهما، وحمْل المال إليه والخروج

(١) اعتمدنا في هذه النقول على كتاب «الفلاكة والمفلوكون».

معه على المتغلب المسمى بالإمام والخليفة، كالدوانيقي وأشباهه، وقالت له امرأة: أشرتَ على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل، فقال: «ليتني مكان ابنك»، وكان يقول في المنصور وأشياعه: «لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عدِّ آجره لما فعلت». اهـ. وحينئذٍ يعلم الباحث المدقِّق أن سبب سجنه أمر سياسيّ.

ومثله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني المرُّوذي ثُمَّ البغدادي، أمر المعتصم بضربه، فأُخذ وجيء بالعقابين والسِّياط، وضربه ضربًا مبرحًا حتى أغمي عليه وغاب عقله فنقل، ثم أمر بإطلاقه إلى أهله وهو لا يشعر، وذلك لأنه أبـى أن يقول خلاف ما يعلم أو يعتقد حين أجلسه المعتصم ودعاه إلى القول بخلق القرآن فامتنع وقال للمعتصم: ما قال ذلك ابن عمك رسول الله ﷺ، فقد دعا إلى شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله وأنا أشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وأنَّ القرآن علم الله ومن علم أنَّ علم الله مخلوق فقد كفر.

فناظره أحمد بن أبـي دؤاد وغيره وأنكروا عليه الآثار التي أوردها وقالوا للمعتصم: هذا كفَّرك وكفَّرنا، وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد: يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلِّي سبيله ويغلب خليفتين فعند ذلك حمي واشتدَّ الغضب وكان ما كان.

وكذلك يوسف بن يحيـى البويطي صاحب الإمام الشافعي، كان الشافعي يُسأل عن الشيء فيحيل عليه، فإذا أجاب قال: هو كما أجاب، وقال عنه الشافعي: هو لساني، حمل إلى بغداد في أيام الواثق بالله من مصر وفي عنقه غلّ وفي رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوق وزنه أربعون رطلاً، وأرادوه على القول بخلق القرآن فامتنع ومات بالسجن في قيوده.

وضمَّ إلى هؤلاء الأئمة من أساطين العلم والعمل من لم يرفعوا لأعمال المفسدين رأسًا، ولم يقيموا لها وزنًا، وليس ما أصابهم من المصائب بأقل ممَّا نال هؤلاء، كابن تيمية والغزالي والنسائي وابن رشد وابن حزم، فقد حمل حسد الجهلة الأغمار من معاصري الأخير أن تألبوا عليه وكادوه واستظهروا عليه بالأمراء فأحرقوا كتبه الثمينة ومصنفاته، وفي ذلك قال:

فإن تحرقوا القِرْطاسَ لا تحرقوا الذي ... تضمَّنَهُ القرطاسُ بل هو في صَدْري
يسير معي حيث استقلَّتْ ركائِبـي ... وينزلُ إن أنزِلْ ويُدْفَنُ في قَبْري

. . . إلـخ.

وإنك لترى العجب العجاب حينما تأتي على تراجم المشاهير وما تجد في غضونها من المحن والإحن التي قصد من إيقاعها بهم غمط فضلهم، والحط من كرامتهم ووضعهم أمام سيل شهرتهم الجارف سورًا من الجمود أركانه التعصب الأعمى ودعائمه الجهل المطبق.

ولقد أفْضَتْ ضراء العلماء والوقيعة بهم إلى الطعن بالمذاهب، وقيام طائفة على أخرى كلما لاح لها من الفرصة بارق، ومن ذلك قيام الأكابر على محمد بن هبة الله بن محمد بن الحسين[1] الملقَّب بلقب أبيه جمال الإسلام وحسدهم له، فإنهم خاصموه واستظهروا بالسُّلطان عليه وعلى أصحابه، وصارت الأشعريَّة مقصودين بالإهانة والمنع عن الوعظ والتَّدريس، وعُزلوا من خطابة المجامع، ونبغ من الحنفيَّة طائفة أشربوا في قلوبهم الاعتزال والتشيُّع فخيَّلوا إلى ولي الأمر الإزراء بمذهب الشَّافعي

(١) «طبقات الشافعية» (٣/ ٨٦).

عمومًا وبالأشعريَّة خصوصًا، قال السبكيّ: وهذه هي الفتنة التي طار شررها، وطال ضررها، وعَظُمَ خطبها، وقام في أهل السنَّة خطيبها، فإن هذا الأمر أدَّى إلى التصريح بلعن أهل السنَّة في الجُمَع وتوظيف سبِّهم على المنابر، وصار لأبي الحسن الأشعريّ بها أسوة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستعلى أولئك في المجامع فقام أبو سهل في نصر السنَّة قيامًا مؤزَّرًا. . .» إلخ.

وممن يجدر ذكره في هذا الباب من المتأخِّرين الشيخ عبد الغني النابلسيّ، فإن أهل الشام تألَّبوا عليه ووصموه بوصمات لم تكن من الشيخ رحمه الله في شيء. وما دعا أولئك الرعاع إلى ذلك إلَّا حسدهم لمنزلة الشيخ حتى اضطرُّوه إلى مغادرة دمشق والسكنى بالصَّالحية حيث دفن ثمة، وفي ذلك يقول من قصيدة مطلعها:

يا من تكلم فينا بالذي فيه ... وقعت في كف ضرغام وفي فيه

إلى أن قال:

فقد جحدتَ الغيورَ الحق ملَّتُه ... هيهاتَ أنَّكَ تنجو من أياديهِ
وإن جَهِلْتَ فما بالكفرِ يُعْذَرُ ذو ... جهلٍ لذي الشَّرْع والشيطانُ يُطْغيهِ
دُمْ في ظنونِكَ مفتونًا فسوف تَرَى ... من الذي منه قُبْحُ الفِعْلِ يُرْديهِ
ولا تقلْ: أيُّ جاه للضَّعيف يُرى ... فإن للبيت ربًّا سوفَ يحميهِ
يا مُسْتَبيحينَ أعراضًا مُحْرَّمَةً ... بسوءِ ظنٍّ وتلبيسٍ وتَمْويهِ
أهكذا ملَّةُ الإسلام تأمرُكُمْ؟ ... أم قد سلكتم عن الإسلام في تيهِ؟
تبًّا لكم ولِمَنْ قد عاد يتبعُكُم ... والعبدُ مولاه في الأعداءِ يكفيهِ

وبعد فإن التَّاريخ يعيد نفسه، والحوادث لا تفتأ تتعاقب على ممرِّ

الأَيَّام، وإنَّ الحال صورة من الماضي، وإن طرأ عليه من مؤثرات التجديد ما أدخله في طور جديد. ولا يخلو كل عصر من شرذمة نفاق واختلاف حتى في هذا العصر يعترضون كل عمل نافع يقوم به المصلحون في مصر وسورية والعراق، ويعينهم فيما يطلبون أولئك الرعاع الذين هم أتباع كل ناعق.

ألا فليعلم أولئك الأغرار أن موت المصلحين في سبيل نصرة الحقّ بعثٌ ونشور، وأن رمي الآخرين بالكفر والزَّندقة هو حياة لهم وذكرى. ولقد كانت لأولئكم الجهلة الأغمار حياة مادِّيَّة، ولكن كانوا يتجرعون منها الحنظل ويموتون في كل يوم مرارًا، وكانت لهؤلاء العلماء المصلحين شعلة حياة مادِّية أطفأها الحسدة فحلت محلَّها حياة أدبيَّة مملوءة ضياءً ونورًا!..

* * *

مقدمة رسالة الدكتور صلاح الدِّين القاسمي في «الجود»

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله الواهب من فيض فضله المواهب، الذَّاهب بمن شاء من خلقه بتحسين خُلُقه أعلى المذاهب، الجواد الذي جوده لا ينقطع أبدًا، والمُنْعم الذي نِعَم وجوده لا تُحصى عددًا، والصَّلاة على ذي الأفضال والفضل، المتعوِّذ من الشُّح والبُخل، النَّبِـي الكريم، والرَّسول الرَّؤوف الرَّحيم، من كان كنز الدُّنيا والدِّين، وملجأً للملهوف ومُسْعِفًا للمدين، وعلى آله أهل العطاء الوافي الوافر، وأصحابه أولي السَّخاء الباهي الباهر،

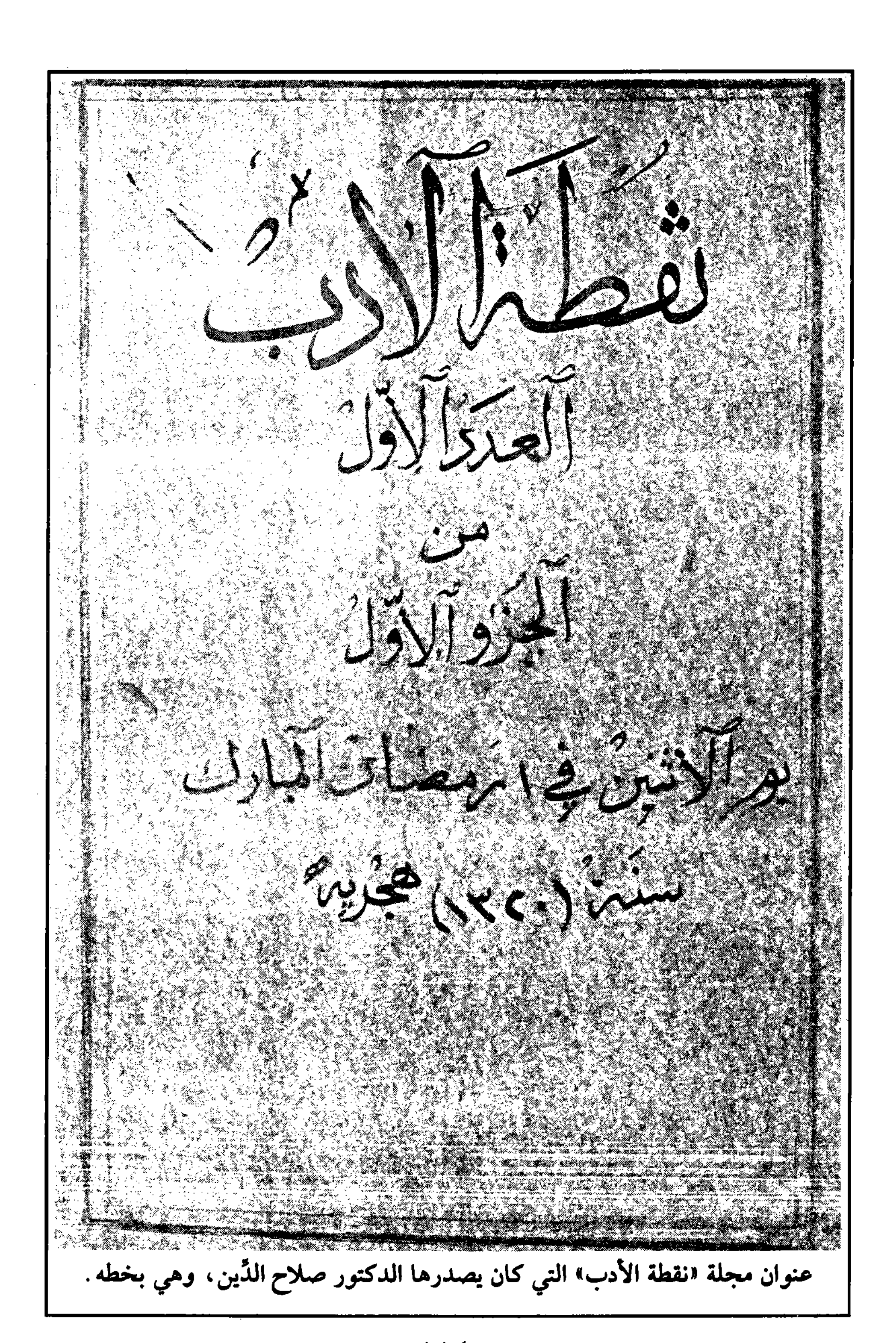
ورضي الله عن الذين ﴿يطعمون الطَّعام على حبِّه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا﴾، وأفاض رحمته على الذين يؤثرون على أَنفسهم ولو كان بهم خصاصة فيضًا غزيرًا.

أما بعد:

فلما كان البخل من سفاسف الأخلاق، ومنبع الخبائث على الإطلاق، يجلب الرذائل، ويطرح الفضائل، لا يتصف به إلاَّ كُلّ منَّاع للخير متعدٍّ أثيم، ولا يقود زمامه إلاَّ من غمس في بحر العمى والشقاء العميم، والكرم من أجل القُربات، وأعظم الخيرات والمبرَّات، يجذب بمغناطيس كماله البركة للأموال، ويدفع عنه السوء ليكون متوال، وجب على كل إنسان، ذي لبٍّ وجنان، أن يتمسَّك به ليكون لنفسه أتقى، فالمتمسِّك به هو المتمسِّك بالعروة الوثقى، فيجني من جنانه العوارف، والفوائد واللطائف، ويكرع من حياضه بكأس المحاسن، ماء غير آسن، فهنالك يسعد السعادة الأبدية، وينال المرتبة العليَّة.

هذا ولمَّا كان السَّبب الشَّريف، لذلك التَّعظيم والتَّشريف، الجود والسَّخاء، والكرم والعطاء، رأيت أن أجمعَ في رسالة صغيرة الحجم كبيرة العلم، فيما قيل في ذلك وسمَّيتها: «عقود جيد الوجود فيما يتعلق بالبخل والشحّ والكرم والجود»، ليتدبَّر ذلك من أهوتهم شِرَّةُ الغنى، وكذَّب بما آتاه الله من فضله واستغنى، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

* * *


نقطة الأدب

العدد الأول

من

الجزء الأول

يوم الاثنين في ١ رمضان المبارك

سنة (١٣٢٠) هجرية

عنوان مجلة «نقطة الأدب» التي كان يصدرها الدكتور صلاح الدِّين، وهي بخطه.

(٧)

وماذا عسانا أن نقول بعد هذه المقدمة أكثر مما قرّرنا
أو نشرح الطول مما شرحنا أو نصف فوق ما وصفنا
وحتى م نحن في موقف التلميح مترددون عن التصريح
بجوهر هذا الشحيح اللئيم القبيح فمجال القول ذو سعة
وتسديد قلم الفضيحة وراءه خدمة لأبناء الوطن
ناجعة وكفى أن ندلهم على الآفة فيحذروها وننذرهم
من طغمة الخسة والدناءة فيعرفوها ويأنفوها
ونمزق حجب الستر والخفاء عن أنعام تدب
كسابحات الوحش في باحة المدنية والعمران
تصيب غذاءها من لحوم بني الإنسان ونبتدئ
في ذلك معتمدين في جميع الأحوال على ملك
الممالك فنقول :

(العقد الأول في ذم البخل وفيه ثلاث درر)

« الدرة الأولى فيما ورد في الآيات والأحاديث في ذمه »

اعلم أن من جعلت قرة أعينهم في المال والتجارة

نموذج من خطِّ الدكتور صلاح الدِّين القاسمي، وذلك من رسالته في «الجود».

حسين دانش

نواى صرير

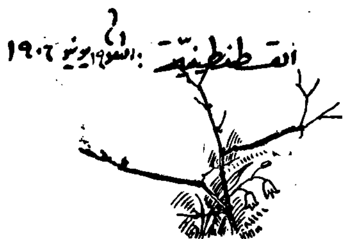
مقالات ادبيه وعلميه‌دن متشكل مجموعه‌در .

إلى أخي صلاح الدين القاسمي :

أرسل إليك بهذا المصنّف [illegible] وذكرى للعهد الأخضر من أيام البعد
وكنت أحب لو أكتب إليك الآن برسالة مسهبة جواباً لكتابك الأخير
ولكن كثرة ما بقي عليّ من درس العقود الحقوقية ([illegible]) [illegible] في
صباح الغد فاعذرني أخي .

أخوك
محب الدين الخطيب

القسطنطينية : ١٩ يونيو ١٩٠٦



معارف نظارت جليله‌سنك ١٢٧ نومرولى ١ ذى الحجه سنه ٣١٤ تاريخلى رخصتنامه‌سيله
طبع اولنمشدر .

استانبول - عالم مطبعه‌سى - احمد احسان وشركاسى
١٣١٥

رسالة أدبية تركية مهداة من محبّ الدِّين الخطيب بخطِّه إلى الدكتور صلاح الدِّين .

أحفاد الشيخ محمد سعيد القاسمي

أبناء الشيخ جمال الدِّين القاسمي

رُزق العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي بثلاثة من الذكور، وهم:

محمد ضياء الدِّين

(١٣١٥ ــ ١٣٤٧هـ)

يقول الشيخ محمد سعيد القاسمي والد جمال الدِّين: «ثُمَّ وُلِدَ لابني محمد جمال مولود مبارك إن شاء الله بعد عصر نهار الأربعاء ٢٨ رجب سنة (١٣١٥هـ)، وسميناه ضياء الدِّين، وليلتها كنا مدعوين عند الشيخ عبد الرزاق البيطار»[١].

وقال الشيخ محمد سعيد القاسمي بمناسبة ولادته:

ضيـاءُ جمـال الـدِّيـن هَـلَّ هِـلاَلـهُ　　　يُبَشِّرُنا بالخير في حُسْنِ مَمْشَاهُ
فـإِنَّ ضيـاءَ الـدِّيـن آدم[٢] قـد أتَـى　　　ونورُ جمالِ الدِّين أرَّختُ يَغْشَاهُ

نشأ الشيخ محمد ضياء الدِّين في كنف والده العلاَّمة جمال الدِّين

---

(١) انظر ما تقدَّم (ص ٦٥).

(٢) يقصد بقوله: «ضياء الدين آدم» لأنّه سُمِّي أولاً «ضياء الدِّين آدم» ثُمَّ تحوّل إلى: «محمد ضياء الدِّين» أفاد بذلك ابنه الأستاذ محمد سعيد حفظه الله تعالى.

فربَّاه تربية حسنة وحبَّب إليه العلم، يقول الشيخ جمال الدِّين: «لما صرفت ابني ضياء الدِّين لطلب العلم، أخذتُ أُفكِّر في طريقة تسهل عليه فن النحو وكتبه التي تمتحن بها الطلبة، فشرعت أُرتِّب بعض الكتب الشهيرة لأجله، على طريقة السؤال والجواب، مع عناية بلطائف المسائل ونكتها، لا كقرطمة بعض المطبوعات التي أراها أشبه بمسخ للفنِّ»[1].

وقد كان ذا عناية به حتى إنه علَّمه قاعدة الخط الفارسي الجميل، ولا يزال ابن الشيخ ضياء وهو الأستاذ محمد سعيد يحتفظ بنماذج من الأوراق التي كان الشيخ جمال الدِّين يعلمها لابنه. وبالجملة فقد اعتنى به ليكون خليفة له في العلم، ولكن قدر الله حال دون ذلك، وقد كفله عمّه الشيخ قاسم القاسمي واهتمَّ به؛ كما أنَّ عمَّه الآخر الدكتور صلاح الدِّين كان محبًا له ومُشجعًا له على المضي في سبيل العلم والخير، يقول الشيخ جمال الدِّين القاسمي في إحدى مفكراته:

«وقع نظري البارحة على ورقة بخط ابنتي ثريا وبجانبها خط ضياء الدِّين ابني، فرأيت أخي صلاح الدِّين كتب في الورقة هذين البيتين من نظمه، أسعده الله:

ضياءُ الدِّين ذو خَطٍّ منيفٍ ... به بارَى الثُّرَيَا في الكمالِ
فلا عجبٌ إذا أبْدَى إلينا ... جَمالاً، فالضياء ابْنُ الجَمالِ

وتاريخه ليلة السبت ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٢٣هـ»[2].

---

(١) «جمال الدِّين القاسمي وعصره» لابنه ظافر (ص ٦٢٥).

(٢) «مقالات صلاح الدين القاسمي» (ص ٣٠٧)، ويلاحظ في هذا الشعر أنه كان في زمن صبا الدكتور صلاح الدِّين فقد قاله وعمره ١٨ سنة.

ولمَّا كان الدكتور صلاح الدِّين في الحجاز كتب له ابن أخيه الشيخ ضياء الدِّين هذه الرسالة، وقد كان في السابعة عشرة من عمره: «إلى عمِّي الدكتور السيِّد صلاح الدِّين أفندي لما كان طبيبًا في الصحَّة بالمدينة المنوَّرة حالاً، حضرة سيِّدي الأجلّ المحترم، أدامه المولى لنا مُربيًا ومرشدًا، آمين.

بعد تقبيل الأيادي الكريمة، وطلب الدعوات الصالحة في تلك البقاع المباركة الفخيمة، أعرض أنني تناولت كتابكم الكريم، وتلوت ما حواه من الإرشادات الجليلة، والنَّصائح البليغة الجميلة، التي كم بشرتني وأنذرتني، وبوصايا عظيمة أمرتني، وبأمور كثيرة ذكرتني، مما بثَّ روح النَّشاط، وأعلى همَّتي بدوام الجدّ والاجتهاد، فشكرت فضلكم، ودعوت المولى أن يبقيكم لنا مرشدين وناصحين، ولا ريب أنَّ هذه النَّصائح ستبقى عندي إلى أبد الدهر، وأنا أتلوها وأعمل لها في كل آنٍ وحين.

أمرتم أن أخبركم عن اشتغالي بالدُّروس والمُطالعة فإنِّي بحمد الله أحضر الدُّروس التي تُقرأ في الجامع والمدرسة معًا ولا أترك درسًا إلاَّ لعذرٍ، وحتى في غيبة سيِّدي العمّ الشيخ قاسم أفندي في بعلبك لم أتركها، بل كان يُقرئني الشيخ حامد أفندي، هذا وإني واضع وصيَّتكم إن شاء الله موضع العمل، وأعوذ بالله أن أجعلها ظهريًّا، أو نسيًا منسيًّا.

وإني أرجو أن لا تقطعوني من إرشاداتكم العالية، ونصائحكم السَّامية، كما وعدتموني وعوَّدتموني وأدامكم المولى لنا ذخرًا مدى الدُّهور سيّدي.

الإثنين في ٧ ذي الحجة سنة (١٣٣٢هـ)ضياء الدِّين القاسمي»

* * *

درس ضياء الدِّين في المدرسة الرشديَّة، كما أخذ عن تلاميذ والده الشيخ حامد التقيّ، والشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ توفيق البزرة، وبعد وفاة والده قدَّم درسًا تحت نظر المحكمة الشرعيَّة ثُمَّ عيَّنته مكان والده في الإمامة والتَّدريس في جامع السنانيَّة الذي كان يؤم فيه والده الشيخ جمال الدِّين[1]، يقول الأستاذ ظافر القاسمي عن أخيه ضياء الدِّين في معرض كلام له حول عمِّه الشيخ قاسم وأخيه ضياء الدِّين: «أما أخونا ضياء الدِّين فقد سبقنا جميعًا إلى الملأ الأعلى، وهو دون الثلاثين، فكان حقًّا من الكادحين في سبيل الحفاظ على كرامة بيت العلم وإقامة أود أفراده. . . »[2].

كما أنه هيَّأ بعض مؤلّفات والده للطَّبع كرسالة: «إقامة الحجَّة على المصلِّي جماعة قبل الإمام»، وأراد أن يهيِّىء تفسير والده ولكن لم يُقدَّر له.

وأجازه بعض تلاميذ والده[3] ومنهم الشيخ محمد زاهد شيخ الأرض، وهذا نصّ إجازته:

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) لقاء مع ابنه محمد سعيد القاسمي حفظه الله في دمشق جمادى الأخرة (١٤١٨هـ).

(٢) صدر كتاب «مكتب عنبر» للأستاذ ظافر القاسمي.

(٣) ستأتي إن شاء الله الإجازة التي فيها إجازة للشيخ جمال الدِّين وإخوته وابنه (ص ١٢٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

أمَّـا بـعـد:

فلمَّا كانت الإجازات ممَّا يستند إليها طلاَّب العلم الشريف فقد طَلَبَ منَّا الشاب الأديب، والزكي النجيب الشيخ محمد ضياء الدِّين أفندي ابن المرحوم العلاَّمة الشيخ محمد جمال الدِّين أفندي ابن المرحوم الشيخ محمد سعيد أفندي القاسمي الدِّمشقي إجازةَ ما قرأه علينا؛ حيث حضر عندنا وقرأ شيئًا من العلوم النقليَّة والعقليَّة منها: كتاب «السراجية» في الفرائض و «المجلة الشريفة»، وكتاب «القدوري» في الفقه الحنفي، ومن العقلية بعض كتب في النَّحو والصَّرف، والمعاني والبيان، والمنطق وغيرها من الفنون، وقد أجزته بأن يُقرىء ذلك إلى طلاَّب العلم الشَّريف، وفي جميع مروياتي كما أجازني به مشايخي الكرام منهم: العلاَّمة الشَّهير الشيخ محمد أفندي الخاني، ومنهم: العالم الفاضل الشيخ محمد صالح أفندي قطنا مفتي دمشق، ومنهم: التَّقي الورع الزَّاهد الشيخ عبد الحكيم أفندي الأفغانيّ، ومنهم: شيخ الشَّام في عصره الشيخ بكري أفندي العطَّار، ومنهم الأُستاذ العالم النِّحرير الشيخ عمر أفندي العطَّار، ومنهم: أبو المجاز العلاَّمة الفاضل الشيخ محمد جمال الدِّين أفندي المذكور، وأوصيته بتقوى الله تعالى بالسرِّ والعلن.

وحُرِّر في اليوم الثالث من شهر رجب الفرد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف.

خادم العلم الشريف

محمد زاهد شيخ الأرض

* * *

ولمَّا توفي والده الشيخ جمال الدِّين أرسل له أحد علماء بغداد رسالة لطيفة يعزيه فيها حيث يقول:

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

من السيِّد عبد الكريم ابن السيِّد عبَّاس الشيخلي إلى خلاصة أرباب الفضائل والمجد ومعدنِ أهل الحَلِّ والعقد، الأديب الأريب، والفاضل اللَّوذعي اللَّبيب الأكرم، مولانا ضياء الدِّين أفندي المكرَّم أدام الله معاليه، وحقَّقَ أمانيه، ونَضَّرَ أيامه، وحقَّق مرامه، وأَقَرَّ به الأعين، وأنطق مُبْتَكَره الألسنَ، وجعله الخليفة عن والده، وشاربًا عذب مَوارده، آمين.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام قد أعان الله على هذه الرزيَّة بَحُسْن البقيَّة، ما مات من خلَّفَكَ ولا غاب من استخلفك؛ فإن يك بالأمس من العيون عيونه عند حدوث الحادث فقد قرَّت اليوم الأعين عند انتصابك أيها الموارث، وعن قريب تُكَمِّل من المؤلفات ما كان ناقصًا، وتردّ العدو على عقبيه خاسئًا ناكصًا، وحضرتكم أولى من يتلقَّى أمر الباري بالتَّسليم، ويلقى الخطوب الصَّادقة بقلب سليم، وجنابكم أدرى بأن هذه الدَّار ليست بدار قرار، ومفقودكم نَزَلَ في جوار الكريم، وشتَّان بين ذاك الجوار وهذا الجوار، ولولا أنَّ التَّعزية سنَّة مشروعة وطريقة في السلف متبوعة لما أوردنا على جنابه هذه المقالة ولا ابتدأنا له بهذه الحالة، فالله سبحانه وتعالى لا يسمع المولى بعدها إلَّا التهاني وبلوغ الأماني، ويعظِّم أجره ويجبر مصابه، ويلهمه الصَّبر على ما أصابه، ويحييه بعدها من طروق المحن، وخطوب الزمن، ولله در القائل:

ليس اليتيمُ الذي قد ماتَ والدُهُ إِنَّ اليتيــم يتيــمُ العلــمِ والأدبِ

فعليك بمنهج والدك الكريم فإنَّه يوصلك إلى رضى الربِّ الرَّحيم.

هذا والمرجو من جنابك أن لا تقطع عنَّا المراسلة لأنَّها نصف المواصلة، ولا تترك ما عوَّدنا عليه والدك من المكاتبة والمصاحبة، وحضر من عندنا حضرة شيخنا العلاَّمة السيِّد محمود شكري[1] أفندي يخصُّكم بالسلام، والسلام عليكم وعلى إخوانكم الكرام، ومن ينتمي إليكم من الفخام ورحمة الله وبركاته.

٢٥ رجب سنة (١٣٣٢هـ)

الداعي صاحب الصاعقة،
وإمام مسجد السيف،
السيد عبد الكـريم[2]

* * *

كما أنَّ الشيخ ضياء الدِّين القاسمي لما توفِّي العلاَّمة محمود شكري الآلوسي أرسل إلى تلميذه العلاَّمة محمد بهجة الأثري رسالة: يقول فيها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) يعني به العلاَّمة الآلوسي.

(٢) هو الشيخ المحدِّث السيِّد عبد الكريم بن السيِّد عباس الأزجي الشيخليّ الحسينيّ البغداديّ الملقَّب بأبـي الصَّاعقة لجريدة أصدرها ببغداد في العهد العثماني اسمها الصاعقة، وُلد سنة (١٢٨٥هـ)، وأخذ عن آل الألوسي وعلى رأسهم العلاَّمة محمود شكري الآلوسي، له بعض المؤلَّفات، توفِّي سنة (١٣٧٩هـ). انظر ترجمته في: «تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر» ليونس السَّامرَّائي (ص ٤٣٧ ــ ٤٤٠).

مـولانـا الأُستـاذ السَّلفـيّ المفضـال السيِّـد محمـد بهجـة الأثـريّ حفظه الله تعالى وبارك لنا في حياته ونفع الأمة بعلومه، آمين.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أمـا بـعـد: فإنَّ الشَّوْق إليكم عظيم، أيها الأخ الأثريُّ الكريم، ويعلم الله أني أتوق من قديم إلى مُراسلتكم، وكثيرًا ما يشنِّف سميكم[1] سمعنا بمزاياكم، وكرم أخلاقكم، ولكن الزَّمان له عوائق وموانع إلَّا أنَّها لا تحول بين القلوب، وإن كانت تمنع اتِّصال الحبيب بالمحبوب.

لقد استأثر الله بأستاذنا وصديق والدنا علاَّمة العراق، ورُحْلة أهل الآفاق، الإمام المرحوم المبرور السيِّد محمود شكري الألوسي رحمه الله تعالى وعوَّضه الجنَّة، وجزاه عنَّا خير ما جزى عالمًا عن أمته، فصبرًا أيُّها الصَّديق على ما قدَّر الله وقضاه، فلو يُفتدى بالمُهَج والأرواح لفديناه، فأسفًا أي أسف، على فَقْدِ خيار السلف، ولكن يعجِّل الله بالخيار، وهذه الأمة مبتلاة بقحط الرِّجال، ولما نُعِي إلى الفقير مكثت مدَّة متألِّمًا، ولم أكن أشعر أنِّي في الدُّنيا، وقد صلَّيت عليه في ذاك اليوم صلاة الغائب بجماعة كبرى في جامع السِّنانيَّة المشهور في دمشق الشَّام عقب صلاة العصر، وقد كنت فعلت مثل ذلك لما توفِّي ابن عمِّه الأُستاذ الأديب السيِّد علاء الدِّين الألوسيّ قاضي بغداد رحمه الله وقد عزَّ على جميع الإخوان، ذلك المصاب العام.

ومـا كـان قيسٌ رُزْؤُه رزْءَ واحـدٍ   ولكنَّـه بنيـانُ قـومٍ تهـدَّمـا

فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، ونحمد الله أن جعل له خلفًا مثلكم يسلك

(١) يعني به الشيخ محمد بهجة البيطار وقد كان صديقًا حميمًا لمحمد بهجة الأثري رحمهما الله تعالى.

السَّبيل الذي كان عليها في حياته، وأقرَّ عين السَّلفيين به بعد مماته، ويُنشر على قدر الإمكان، المختار من آثاره ومصنَّفاته، لتنتفع الأمَّة بها كما نفعها رحمه الله في حياته...»[1].

* * *

لم يعقب الشيخ ضياء الدِّين إلاَّ ابنًا واحدًا هو حضرة الأُستاذ المفضال محمد سعيد حفظه الله وأمتع به بخير وعافية.

توفِّي الشيخ محمد ضياء الدِّين القاسمي كما أخبرني ابنه في ٣٠ ذي القعدة سنة (١٣٤٧هـ) وفق ١٠/ ٥/ ١٩٢٩م، رحمه الله رحمةً واسعة.

* * *

الإجازة التي جمعت
الشيخ جمال الدِّين القاسمي وإخوته وابنه

يقول الشيخ جمال الدِّين القاسمي:

صورة إجازة العالم الفاضل سلالة
الأعيان الأفاضل حسين أفندي الغزِّي[2] الدِّمشقي، للفقير،
ولإخوتي ولابني ضياء الدِّين وفَّقهم الله أجمعين

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل شرف هذه الأمَّة المحمَّديَّة بِصِحَّةِ الرِّواية وعُلوِّ

---

(١) هذا جزء من رسالته، فالذي وقفت عليه كان مسودة وقد حصل بها المقصود.

(٢) توفِّي الشيخ حسين بن إسماعيل الغزِّي سنة (١٣٢٢هـ). انظر ترجمته في: «أعيان دمشق» للشطي (ص ٤٢٦).

الإسناد، وَرَفَعَ لها بذلك عظيم القدر، وشيَّد دعائم الاعتماد، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد الواسطة العظمى في نيل كُلِّ خير وإسعاد، وعلى آله وأصحابه ومن بشرف اتباعه ساد، صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الحشرِ والتناد.

وبعـد:

فقد أجزت كلاًّ من إخواننا الفُضلاء المحترمين الكرام، وهم: الشيخ محمد جمال الدِّين أفندي، وأشقائه: محمد عيد أفندي، والشيخ قاسم أفندي، والشيخ صلاح الدِّين أفندي أولاد المرحوم العلاَّمة الشيخ محمد سعيد أفندي ابن المرحوم العلاَّمة الشيخ قاسم أفندي القاسمي، والشيخ ضياء الدِّين نجل الشيخ محمد جمال الدِّين أفندي المومى إليه، منحهم الله تعالى كُلَّ خيرٍ وإحسان إلى منتهى الدوران، ونفعهم بالعلم النافع، والعمل الرافع، ما تعاقب المَلَوَان، بجميع ما أرويه عن شيوخي الأئمة الفضلاء الأعلام، المشتهرين بالفضائل عند الخاصِّ والعامِّ، فعليهم من الله سبحانه سحائب الرَّحمة مدى السِّنين والأيام.

فمن أجلهم وأعظمهم العالم العلاَّمة سيِّدي العم المرحوم السيِّد محمد عمر نور الدِّين أفندي الغزِّي العامري، مفتي السَّادة الشَّافعية بدمشق، ومن أجلِّهم العالم العلاَّمة المُحَدِّث الكبير المرحوم الشيخ عبد الرَّحمن أفندي الكُزْبريّ الشَّافعيّ، ومن أجلِّهم أيضًا العالم العلاَّمة المرحوم الشيخ سعيد أفندي الحلبـي الحنفي، ومن أجلِّهم أيضًا العلاَّمة الشيخ عبد الرَّحمن أفندي الطِّيبـيّ الشَّافعيّ.

وذلك ممَّا ثبت لهم وكان لهم به إلمام بالشروط المقرَّرة لدى أولي

العلم وذوي الأفهام التي منها التأهل وكمال التثبُّت والتحقُّق لكلٍّ ما ينقلونه ويروونه، وعدم الاعتماد إلاَّ على النسخ الصحيحة المقابلة الرجيحة. وأوصيهم بما أوصاني به شيوخي الكرام، وهو: تقوى الله تعالى ومراقبته مع الخاصِّ والعامِّ، والاعتناء بالاشتغال بالعلم النافع، والعمل الرافع والمواظبة عليه، وأُوصيهم أيضًا أن يتذكَّروني ووالدي وأولادي بصالح الدَّعوات سيَّما بأوقات الإجابات، وخصوصًا عقب الصَّلوات بالعفو والعافية، وحُسن الخاتمة.

والحمدُ لله في المبدأ والختام والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه مدى الدُّهور والأيَّام.

وأنا المجيزُ مُحب العلماء العاملين ومحسوب السَّادة الفقراء الكاملين السيِّد حسين بن المرحوم السيِّد إسماعيل الغزِّي العامريّ، الدِّمشقيّ، الشَّافعيّ، الأشعريّ، النَّقشبنديّ، القادريّ عفا الله عنه، وختم له بالحسنى آمين في ٢٧ ذي الحجة سنة (١٣١٨هـ) ثماني عشرة وثلاثمائة وألف[١].

* * *

(١) «مجموعة لطيفة في نصوص إجازاتٍ مُنيفةٍ» للشيخ جمال الدِّين القاسمي (ص ٣٣، ٣٤).

صنيا ءُ جمالِ الدين هَلَّ هلالُهُ   يُبَشِّرُنا بالخيرِ حُسْنُ مُحَيَّاهُ
فإنَّ ضياءَ الدينِ آدمُ قَدْ أتى   ونورُ جمالِ الدينِ أرخْتُ يَغْشاهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه ذوي الصدق والوفا.

وبعد فهذه رسالة مفيدة مختصرة في الصرف التركي، ترجمها الدكتور السيد صلاح الدين افندي القاسمي املاءً على الشيخ حامد افندي التقي، وذلك في سنة الف وثلاثمائة وثمانية وعشرين ١٣٢٨، والله سبحانه وتعالى الموفق والمعين:

في ٥ رجب ١٣٢٨:

ضياء الدين
القاسمي

بيتا الشعر اللذان قالهما الشيخ محمد سعيد القاسمي في ضياء الدِّين ابن الشيخ جمال، وهي بخطه، وتحتهما نموذج من خط ضياء الدِّين القاسمي.

محاسن التأويل

تأليف

شيخنا العلامه المحدث الامام الاصولي

المفسر عالم الشام الاستاذ

السيد القاسمي رضي الله عنه

وقف على طبعه نجله محمد ضياء الدين القاسمي

الطبعة الاولى سنة ١٣٣٢ هـ

عنوان تفسير القاسمي الذي كان يهيّئه ابنه ضياء الدِّين للطبع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فلما كانت الإجازات مما يستند إليها طلاب العلم الشريف فقد طلب منا الشاب الأديب والزكي النجيب الشيخ محمد ضياء الدين أفندي ابن المرحوم العلامة الشيخ محمد جمال الدين أفندي ابن المرحوم الشيخ محمد سعيد أفندي القاسمي الدمشقي إجازة ما قرأه علينا حيث حضر عندنا وقرأ شيئاً من العلوم النقلية والعقلية منها كتاب السراجية في الفرائض والمجلة الشريفة وكتاب القدوري في الفقه الحنفي ومن العقلية بعض كتب في النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق وغير هاته الفنون وقد أجزته بأن يقرأ ذلك إلى طلاب العلم الشريف وفي جميع مروياتي كما أجازني به مشايخي الكرام منهم العلامة الشهير الشيخ محمد أفندي الخاني ومنهم العالم الفاضل الشيخ محمد صالح أفندي قطنا مفتي دمشق ومنهم التقي الورع الزاهد الشيخ عبد الحكيم أفندي الأفغاني ومنهم شيخ الشام في عصره الشيخ بكري أفندي العطار ومنهم الأستاذ العالم النحرير الشيخ عمر أفندي العطار ومنهم أبو المجاز العلامة الفاضل الشيخ محمد جمال الدين أفندي المذكور وأوصيته بتقوى الله تعالى في السر والعلانية وحرر في اليوم الثالث من شهر رجب الفرد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف

خادم العلم الشريف
محمد زاهد

صورة إجازة الشيخ محمد زاهد شيخ الأرض للشيخ ضياء الدّين القاسمي.

مُحَمَّد مُسَلَّم

(١٣٢٥ ــ ١٣٥٠هـ)

هو ثاني أبناء الشيخ جمال الدِّين القاسمي وُلد سنة (١٣٢٥هـ)، ولما توفِّي والده الشيخ جمال الدِّين كان عمره سبع سنوات، وقد تعلَّم عند عمِّه الشيخ قاسم القاسمي، وأخيه الشيخ ضياء الدِّين القاسمي، ثُمَّ اتَّجه بعد دراسته للثانوية إلى كليَّة الطِّب التي كانت تسمى: «المعهد الطِّبـي العربـي» وأنهى دراسته فيها بتفوُّق، وقد أُعجب به أساتذته في هذا الفن فعيَّنوه أستاذًا مُساعدًا في هذه الكليَّة، ولكن المنية اخترمته، فإنه أُصيب بالسِّل بعدوى من زميله دون أن يعلم، وأصدر في صباه مجلة «عبرة العرب في نقطة الأدب» أصدرها أسوة بعمِّه الدكتور صلاح الدِّين في مجلته «نقطة الأدب»[1]، كما أنَّه جمع مقالات عمِّه صلاح الدِّين بإشراف عمِّه الشيخ قاسم وطُبعت.

توفِّي رحمه الله تعالى وهو في سن أزرار الورد، وهو في الرابعة والعشرين من عمره.

وكانت وفاته في ٤ رجب سنة (١٣٥٠هـ)، كما رأيت ذلك على

(١) لقاء مع الأستاذ محمد سعيد القاسمي في دمشق جمادى الآخرة (١٤١٨هـ).

لوحة قبره في مقبرة الباب الصَّغير بدمشق، وقد كُتب على اللوحة هذه الأبيات[1]:

ذَوَىٰ مِـــنَ العِلْـــمِ غُصْـــنٌ ... بِـــهِ الفـــؤادُ مُتَيَّـــمْ
فـــواحسْـــارهُ فـــي البيــــ ... ــت القَـــاسمـــي المُكَـــرمْ
فـــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ مُصـــابٌ ... أَمَـــرُّ مِـــنْ كَـــأْسِ عَلْقَـــمْ
حَـــازَ الشَّهـــادةَ فـــي الطــــ ... ـبِّ وهْـــو أَعلـــى وأَعْلَـــمْ
لكـــنْ بَـــدَا الـــداء فـــورًا ... ولا دواءَ يُقَـــــــــــــدمْ
قـــالـــوا قضـــاءٌ أليـــمٌ ... فَقُلْـــتُ: هـــذا مُسَلِّـــمْ

ويقول شقيقه الأستاذ ظافر القاسمي في مطلع كتابه «مكتب عنبر» مُهديًا هذا الكتاب لأخيه مُسَلَّم:

الإهـداء

إلى رُوح أخي الدّكتور مُسَلَّم القَاسِمي

قُدِّر عليك، يا أخي، أن تنتقل من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية، وأنت غَضُّ الإهاب، في شَرْخ الشباب، لم تجاوز الرابعة والعشرين من العمر، وبعد أسابيع معدودات من نيلك شهادة الطِّب.

وقُدِّر عليك وعليّ، أن نعيش يتيمين، فقد التحق أبونا جمال الدِّين القاسمي بالرَّفيق الأعلى ــ بعد أن نذر حياته للإصلاح، وبعد أن أغنى الثَّقافة العربيَّة والإسلاميَّة بمكتبة كاملة من تآليفه ــ ولم يكن عمرك يوم

(١) سألت الأُستاذ محمد سعيد القاسمي عن قائل هذه الأبيات فقال: لعل قائلها هو الشيخ محمد جميل الشَّطِّي.

انتقاله أكثر من سبع سنين، ولم يكن عمري أكثر من سنة وثلاثة أشهر، فحُرمت وإيَّاك من حنان الأب، الذي رُزقه غيرنا من أطفال الناس، ولكن الله عوَّضنا عن بعض ما فقدنا. وهل كان يمكن أن نجد عوضًا عن أبينا جمال الدِّين؟

لقد عوَّضنا الله عن حنان الأب، حنانَ الأم، التي زيَّنتها الفطرة، وصقلتها معاشرتها لزوجها جمال الدِّين، فكانت مثلاً شرودًا بين الأمَّهات.

ورُزقنا حنان العمّ والأخ، في بيتنا، فكانا مثلاً لنكران الذات، وهل تجد كثيرًا من أمثال عمِّنا قاسم الذي عزف عن الزَّواج، فناءً في القيام على تربيتنا وتنشئتنا النَّشأة الصَّالحة؟ أما أخونا ضياء الدِّين فقد سبقنا جميعًا إلى الملأ الأعلى، وهو دون الثَّلاثين، فكان حقًّا من الكادحين في سبيل الحفاظ على كرامة بيت العلم، وإقامة أَوَدِ أفراده. وسبقتَ عمك إلى جنان الخلد، فبكاك مثل النساء، ولن أنسى دموعه ولوعته، من يوم تشييعك إلى يوم لحاقه بك.

وبقيت وحدي بعدكم، يا مُسَلَّم، أعيش في الماضي على قصره، أكثر مما أعيش في الحاضر على طوله.

واليوم، وقد جمعتُ شتات الفصول التي كتبتها عن «مكتب عنبر»، وقدَّمتها إلى المطبعة، لم أبحث عمّن ينبغي أن أهديها إليه، لأني ما خططت منها حرفًا، إلاَّ وكنتُ أشعر أنَّك أنت ممليها عليَّ، أو موحي فكرتها، أو ملهم معانيها.

إذا كنت، يا مُسَلَّم، قد عجزت عن البرِّ بأبيك الذي أنجبك، لِقِصَر

عمرك، ولأنَّك قد مُتَّ وأنت في عمر الأزهار، فلقد كنت، شهد الله، برًّا بآبائك الروحيِّين، الَّذين ربَّوك في «مكتب عنبر»، ولقد أورثتني أنت هذا البرَّ، وأشعرتني أنت بحنانهم الأبويّ، قبل أن أراهم، لأنك أنهيت دراستك فيه، في السَّنة التي بدأتها فيه.

ولن أنسى، ولا أستطيع أن أنسى، ليالي الشِّتاء الطَّويلة، في بيتنا القديم بباب الجابية، سقى الله أيامه، التي كنت أقضيها معك في ـ الفرنكة ـ الغرفة العلويَّة الوحيدة. كنت أنت في هذه الليالي أستاذي، ومرشدي، وموجهي، أستعين بك، لا تتبرم، ولا تملّ، على الرغم من أن وقتك لم يكن يكفي لدراسة الطِّب، لأنك لم تكن تقنع بالنَّجاح، وإنما كنت تحرص دومًا على أن تكون الأوَّل بين رفاقك. إنَّ الأرَجَ الذي كانت تمتلىء به الغرفة العلويَّة، والذي كان يفوح من نفسك الرضيَّة، الآمنة المطمئنَّة، لا يَعْدِلُهُ عندي، حتى اليوم، أيُّ أرج آخر في الدُّنيا.

ولن أنسى، ولا أستطيع أن أنسى، حلقاتنا في غير أيَّام الشِّتاء، إمَّا في المكتبة (وكنا نسمي مكانها: مُرَبَّع الكتب)، وإما في الإيوان، وإما حول البحرة التي تتدفق فيها من غير انقطاع مياه نهر (القنوات)[1]، وحولها أُصُصُ الأزهار، وفوقها وعن يمينها وشمالها أنواع الأشجار، وسماور الشَّاي يهيِّـىء لنا الشَّراب الذي تعودناه في اللَّيل والنَّهار. كنتَ، يا مُسَلَّم، روح هذه الحلقات، ومبعث سحرها، ومصدر أنسها. وكانت أحاديثك لا تنقطع عن «مكتب عنبر»، وعن آبائنا الروحيِّين فيه، حتى خلال ستِّ سنوات قضيتَها في دراسة الطِّب. إنني ما زلت أذكر غرامك

---

(١) أحد فروع نهر بردى التي ترتفق منها مدينة دمشق.

بهم، وتردادك لأقوالهم، وحفظك لنكاتهم، وبراعتك النَّادرة في تقليد لهجاتهم وحركاتهم، ونشوتك في ذكر روائعهم وبدائعهم.

لقد أورثك بيت أبيك و «مكتب عنبر»، يا مُسَلَّم، عشق الفصحى، والفناء فيها، حتى لم تعد تعرف غيرها لغةً للخطاب. وما زال رفاقك في الدِّراسة يذكرون، حتى اليوم، بكثير من الإعجاب والحنان، كيف كانت الفصحى تتدفَّق على لسانك، بدون إغراب ولا إسفاف، مجانبًا للتقعُّر، مختارًا للسَّهل الممتنع، من الجمل والألفاظ، مما يخف على الأذن، ويحلو في السَّمع.

وما زال المتتبِّعون للمصطلحات العلميَّة والمهتمُّون بها، ونقلها إلى العربيَّة، يذكرون أن أستاذك النابغة الطبيب الأديب، اللغوي الرقيق، الدكتور مرشد خاطر رحمه الله، الذي كان رئيسًا لتحرير (مجلة المعهد الطِّبي العربيِّ بدمشق)، قد فسح لك في صفحات مجلته بحوثًا نشرها لك فيها، منذ السَّنة الأولى لدراستك، وما زالت هذه المجلة تشهد أن للطالب مُسَلَّم القاسمي بحوثًا لغويَّة مفيدة.

وسيحفظ لك تاريخ العلم، أنَّك نبَّهتَ أستاذك الدكتور (ترابو Trabaud)، خلال درس سريريَّات الأمراض الداخليَّة، إلى حادثة شاذَّة، لم ينتبه إليها، فكتب دراسةً عنها في مجلة (أمراض البلاد الحارَّة) التي تصدر في باريس، ولم يدَّع هذا الرجل العالم ما ليس له، فذكر في صدر المقال أنه للأستاذ (ترابو) وللطالب مُسَلَّم القاسمي.

وهذه قاعة الغريزة (الفيزيولوجيا) في كليَّة الطب بالجامعة السوريَّة، ما زالت تزيِّن جدرانها ببعض لوحاتك التي أهديتها إليها، وأنت طالب،

وفيها تصوير مائي، واضح مكبَّر، لبعض ما اعتقدت أنه نافع في تقريب البعيد، وتفسير الغامض، وإيضاح المبهم.

وبعد، فأرجو يا أخي مُسَلَّم، أن لا تلومني، وأنت في عليائك، على إهداء هذه الفصول إليك، إذا كنت ترى أن أساتذتنا في «مكتب عنبر» أحقّ بهذا الإهداء منك. ولكن ألا ترى أنَّني قد أهديت هذه الفصول، في الواقع، إليهم، عن طريقك؟ وأنت وأنا، ومن سبقنا ولحقنا من الرِّفاق، بعضُ صنيعهم، وجزء صغير من فضلهم على هذا الوطن الصَّغير الجميل؟

* * *

عبرة العرب

في

نقطة الأدب

الجزء الاول

١

عنوان مجلة «عبرة العرب في نقطة الأدب»
التي أصدرها محمد مسلَّم القاسمي وهي بخطه.

بسم الله الرحمن الرحيم

فن

مفردات الطب

Matières médicales

تعريفه: هو علم يبحث في عن منشأ الأدوية وخواصها الكيماوية ونفاذيتها وشكلها وتمييزها عن بعضها بواسطة الحواس الخمس كما أنه يبحث أيضا عن كيفية التئام الأدوية وعدم التئامها مع بعضها وأشكالها ومقاديرها

مبحث العقاقير

Pharmacologie

ويسمى أيضا اقرباذين او مبحث الأدوية.

تعريفه: هو علم يبحث في عن خواص الأدوية وأشكالها الصيدلية.

فن المداواة

Thérapeutique

تعريفه: هو علم يبحث في عن كيفية مداواة الأمراض.

طرق المداواة

Les doctrines ou les meth. thérap.

لأجل تشريح كل علة ومعرفة معالجة الأمراض انتخب كل منهم طبا طريقة

نموذج من خط مُسَلَّم القاسمي.

محمد ظافر

(١٣٣١ ـ ١٤٠٤هـ)

ثالث أبناء الشيخ جمال الدِّين القاسمي؛ يقول الشيخ جمال الدِّين في إحدى أوراقه: «وُلِد لنا قبل ظهر الخميس غرة صفر الخير سنة (١٣٣١هـ) مولودٌ غلامٌ وسميناه: محمد ظافر، جعله الله مِنَ السُّعداء، وأنبته نباتًا حسنًا ورضي عنه وعن إخوته وذريَّتهم».

هو الكاتب المُحَبِّر، واللَّسِنُ المُعبر الأستاذ نقيب المحامين، وعميد البيت القاسمي[(١)] محمد ظافر بن الشيخ جمال الدِّين القاسمي صاحب المؤلَّفات والقلم السيال، أحدُ الكتَّاب المترسِّلين في هذا العصر.

توفِّي والده وله من العمر سنة وثلاثة أشهر فتربى في كنف عمِّه الشيخ قاسم القاسمي، وأخيه الشيخ ضياء الدِّين فكانا نعم المثال في التربية له على محاسن الأخلاق والجدّ في العلم وتحصيله.

أخذ الأُستاذ ظافر العلم عن عمِّه الشيخ قاسم، وعن بعض تلاميذ والده كالشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ حامد التَّقي.

---

(١) أطلق عليه لقب: «عميد البيت القاسمي» الأستاذ محبٌّ الدين الخطيب في تقدمته لمقالات الدكتور صلاح الدِّين القاسمي؛ وكذلك الشيخ علي الطَّنطاوي في تقديمه لكتاب «مكتب عنبر» (ص ٣٢).

يقول الأستاذ ظافر: «كانت لنا ساعة في النَّحو نقرأ فيها كتاب «شذور الذَّهب» على عمِّي قاسم رحمه الله، فإذا ما انتهى درس النَّحو، كان لا بدَّ لنا من درس الفقه مع الشيخ حامد التَّقي، فقد كان قريبًا، وكان بيته قريبًا، وما زال روحه حتَّى اليوم مني قريبًا، كنت أضيق بدرس الفقه، ولكني صبرت على الدَّرس. ثُمَّ إذا انقضى درس الفقه، كان لنا درس في الحديث والتَّوحيد مع علاَّمة الإسلام في هذا الزَّمان الشيخ محمد بهجة البيطار ننتقل فيه إلى داره بالميدان، وكفى به إمامًا ومُرْشِدًا»[1]. كما ذكر أنَّه قرأ عليه جملة من «صحيح البخاري» قراءة درس وفهم كما ذكر أنه تعلَّم الكثير من الشيخ بهجة البيطار[2].

وقد ذكر عن نفسه أن أسرته كانت تلزمه بحفظ عيون الشِّعر وحِكَمِهِ وحفظ المُعلَّقات السَّبع وغيرها.

دخل الثَّانويَّة الوحيدة الرسميَّة في دمشق في ذاك الزَّمان وهي المعروفة باسم: «مكتب عنبر» وقد دَرَّس فيه أجلاء العُلماء والأُدباء كالشيخ محمد الدَّاوودي، والعالم اللغوي الشيخ عبد القادر المُبارك الذي كان يُقال عنه: القاموس الحيِّ، والعلاَّمة النَّحوي الكبير سليم الجندي، وشاعر الشَّام المشهور محمد البِزِمْ وقد ذكر الأستاذ ظافر هؤلاء العلماء والأدباء وما أخذه عنهم من العلم كما ذكر غيرهم في كتابه الممتع: «مكتب عنبر».

---

(١) «مكتب عنبر» (ص ٩٢).

(٢) انظر: مقدمة الأستاذ ظافر القاسمي لكتاب «كلمات وأحاديث» للشيخ البيطار (ص ١٦).

كان الأُستاذ ظافر مُحبًّا لأساتذته وشيوخه، كما كان وفيًّا لتلاميذ والده العلامة جمال الدِّين، وقد كانوا يغشون منزل والده.

يقول الأُستاذ ظافر في معرض كلام حول أُستاذه البزم: «. . . انعقد في دارنا بباب الجابية المجلس الأسبوعي الذي كان يضمُّ فريقًا من تلاميذ والدي رحمه الله: المشايخ عبد الله العلمي، وبهجة البيطار، وتوفيق البزرة، وحامد التقي، وعمِّي قاسم وغيرهم، وكان الشيخ العلمي يقرأ على المشايخ كتابه في «تفسير سورة يوسف»[1]، وتجري خلال القراءة مباحثات ومُناقشات واستطرادات لغويَّة وأدبيَّة وتاريخيَّة (لهفي على هذه المجالس، ووا أسفي على انقراضها، ولعلي أفرد لها بحثًا خاصًا)[2]».
دخل الأستاذ ظافر بعد انتهائه من مكتب عنبر كليَّة الحقوق وتخرَّج منها سنة (١٩٣٦م)، ثُمَّ بعد ذلك اتَّجه إلى دراسة اللُّغة الفرنسيَّة حتَّى أتقنها كتابة وحديثًا، ثُمَّ عمل في المُحاماة ثلاثين سنة وانتخب نقيبًا للمحامين بدمشق سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م.

وفتح مكتبًا للطِّباعة والنَّشر هو وزميلاه داود التكريتي وعصام الإنكليزي، واسم هذا المكتب: «مكتب النشر العربي»، وقد طُبع فيه جملة من الكتب ومنها: كتاب «قواعد التحديث» لوالده جمال الدِّين القاسمي.

أدَّى الأستاذ ظافر فريضة الحجِّ سنة (١٩٦٦م) واختير في هذا العام

(١) طبع هذا التفسير في دمشق، مطابع دار الفكر سنة (١٣٨١هـ)، وهو بعنوان: «مؤتمر تفسير سورة يوسف»؛ وقد قدَّم له العلاَّمة محمد بهجة البيطار.
(٢) «مكتب عنبر» (ص ٥٧).

مستشارًا لوزارة التِّجارة والصِّناعة في المملكة العربيَّة السُّعودية إلى سنة (١٩٦٧م).

ثُمَّ أقام في بيروت من سنة ١٩٦٧م حيث تولَّى تدريس العلوم العربيَّة والحضارة الإسلاميَّة في كلِّيَّة التَّربية، وفي كلِّيَّة الآداب في الجامعة اللُّبنانيَّة، ومستشارًا قانونيًّا لدى بعض الشَّركات والمؤسَّسات الاقتصاديَّة، كما درَّس الحقوق في جامعة دمشق، والجامعة الأردنيَّة.

ولما اشتعلت الحرب الأهليَّة في لبنان انتقل إلى باريس، وأقام فيها، حيث قام بإلقاء بعض المحاضرات في جامعة باريس كأستاذ زائر وذلك في الأدب العربيّ والثَّقافة الإسلاميَّة، كما كان يعقد ندوات تلفزيونيَّة في الأردن يتردَّد إليها بين الحين والآخر واستضاف لها مجموعة من رجال الفكر والأدب والتَّاريخ، وكان لها صدى في الأوساط الثَّقافيَّة.

وشارك في مؤتمرات المحامين الدوليَّة، وكان نائبًا لرئيس منظمة المحامين الدوليَّة، انتُخب عام ١٩٦٤م، وعضوًا مُراسلاً للجمعية الدوليَّة للعلوم التَّاريخيَّة(١).

يقول العلاَّمة الأديب الكبير الشيخ علي الطَّنطاوي في أثناء تقديمه لكتاب: «مكتب العنبر» للأستاذ ظافر: «وما بالمؤلف جهالة، وهو من نقباء الصِّناعتين: صناعة المحاماة وصناعة البيان، ومن بلغاء اللِّسانين: لسان العرب ولسان الفرنسيِّين، وهو من الأعلام الذين يستدل بهم ولا يُدَلُّ عليهم...».

ثُمَّ قال في خاتمة مقدِّمته الطَّويلة الماتعة لهذا الكتاب: «قولة الحق

---

(١) من ورقة وزعها المركز الثقافي الإسلامي في بيروت.

يا أخي ظافر، لقد كنت موفَّقًا في تأليف الكتاب، وكنت عظيمًا في كتابة الإهداء، وأنت أوفى ابن عظيم لأبيه، وتلميذ لمعهده. ولئن بقيت وحدك بعد الأب والأم، والأخ والعم، فلقد بقوا كلهم فيك، وما يتقوّض بيت كنت عميده ولو ذهب عميده، ولقد لبث بيتهم بك مفتوحًا، وذِكْرُهم بك ساريًا، وعزُّهم بك قائمًا، وما مات من خلَّف مثلك، رحم الله أباك الرجل العظيم، وأخاك النابغة المُجاهد، وعمَّك الفاضل النَّبيل، وأطال عمرك، ونفع بك، وأمتع بأدبك»[1].

وسألتُ الأستاذ العالم النحوي الجليل عاصم بن الشيخ محمد بهجة البيطار عن صديقه الأُستاذ ظافر القاسمي، فكتب لي هذه الكلمات اللَّطيفة مترجمًا له، قال بعد الدِّيباجة:

«عرفت الأستاذ ظافر في مجالس والدي الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله. كما زادت معرفتي به من خلال ما كتبه عن والده الجَّليل، وعن السُّلطة القضائيَّة والإداريَّة في الشَّريعة الإسلاميَّة، وعن الأدب وفنونه، وكنت كلَّما طالت صحبتي له، أكشف عن جوانب جديدة من فكره المستنير، وعلمه الغزير، وثقافته الشَّاملة.

درس الحقوق، وعمل مُحاميًا عشرات السِّنين، وكان يؤمن بأن فصاحة المحامي، وبلاغة عبارته، وعلوّ أسلوبه تُدني منه أسباب النجاح في قضاياه، ولذا كان يكثر من القراءة في كتب الأدب الشَّهيرة، ويخالط كبار البلغاء في تراثنا، فصحّ كلامه، وسما بيانه، ونمت قدرته على الخوض في كل ميدان من ميادين الفكر والمعرفة. وقد كنت أراه في غرفة

---

(١) «مكتب عنبر» (ص ١٢، ٣٢).

والدي في جامع كريم الدِّين الشَّهير بالدَّقاق في حيِّ الميدان الدِّمشقي مع صاحبه وشريكه في مكتب المحاماة الأستاذ صبري العسلي (رئيس مجلس الوزراء في سورية) يقرأان عليه كتابي «أسرار البلاغة»، و «دلائل الإعجاز» للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٨هـ)، ليزدادا بذلك معرفةً بفرائد هذه اللُّغة، وغناها، وجمال التعبير بها عن كل مقصد.

وأذكر أن أحد العلماء الأفاضل سأل والدي عن السَّبيل التي نوفِّق بها بين الجمهور المتعلِّم (أي: المثقَّف ثقافة حديثة) والفريق المتعمِّم (أي: أصحاب العمائم من علماء الدِّين) فكان الجواب محاضرةً ألقاها تحت عنوان: «الثقافتان الصفراء والبيضاء»، وفوجئت بأنها منشورة في كتيب صغير صادر عن «لجنة التَّأليف والنَّشر» الَّتي أسَّسها الأساتذة: ظافر القاسمي، وداود التكريتي وعصام الإنكليزي، وهي من أقدم دور النشر التي عرفتها بلاد الشَّام.

عُرِف ظافر القاسمي بالأستاذ النَّقيب، فقد اختير نقيبًا للمحامين سنواتٍ طوالاً. ثُمَّ ترك المحاماة والتفت إلى طريق آبائه وأجداده من آل القاسمي فكتب وخطب وألَّف، وعرفته دور الإذاعة وقنوات التِّلفاز العربيَّة مُحدِّثًا بارعًا، يأسر المستمعين ببساطة كلماته، وسهولة وصوله إلى غرضه، وجمال إشاراته، على عمقٍ في الفكرة، وتنوُّع في الأغراض.

عرف الإعلام العربيّ فضله، وقدرته المتميِّزة على إدارة النَّدوات، وحسن اختيار الموضوعات، فسارعت قنوات التلفاز العربيَّة إلى طلب سلاسل من النَّدوات يختار هو موضوعاتها، ويلتقي من يشاركه فيها، فنهض بالعبء الثَّقيل، وسجَّل مع فريق من العلماء الأَجلَّاء مئات

النَّدوات، في لبنان وعمَّان والإمارات، وخاض في ندواته في كل ميدان من ميادين العلم، فتحدَّث عن الأدب والأدباء، والكتب والمؤلفين، وحقائق الدُّنيا والدِّين، وعقلاء هذه الأمَّة من القدماء والمُحدَثين، وكان يختار لكل موضوع أكابر المختصِّين فيه، من أمثال د. عمر فرُّوخ، د. شكري فيصل رحمهما الله، د. عبد الكريم الأشتر، د. مازن المبارك، د. أمينة البيطار، د. عزيزة مريدن رحمها الله، وغيرهم كثير. وكنتُ أنا ممَّن شارك في مئة من هذه النَّدوات أو تزيد بدافع حسن ظنّ القاسمي ووفائه، لا باستحقاقي العلمي.

وكان الأُستاذ القاسمي رحمه الله وأجزل ثوابه يدير النَّدوة ويُشارك فيها بعلمه الغزير، وبيانه العذب النَّمير.

أما ظافر القاسمي في مجالسه الخاصة فحلو الحديث، سريع البديهة، يختزن في ذاكرته من نوادر الشَّرق والغرب ما تطيب به الجلسات، وتستريح إليه النُّفوس. كما كان في عمله حريصًا على الإتقان وتوفير كل أسباب النَّجاح والفائدة، ولعلي أختم هذه الكلمة المعجَّلة بما يدلُّ على تدقيقه في الأمور، وتبصُّره في عواقبها.

أذكر أنه كُلّف تنظيم خمس عشرة ندوةً عن المرأة في الإسلام، فاستدعاني لأعينه على تبليغ من يختارهم للمشاركة في النَّدوات، وكان يناديني بابن الشيخ، فاقترحتُ عليه أن تكون المتحدثات من النِّساء الفاضلات، فإن كلامهنَّ عن أمرٍ يتعلق بهن أقرب إلى التأثير والإقناع؛ فتروى قليلاً ثُمَّ قال: صدقت واختار سيدتين فاضلتين عالمتين أفاضتا في الحديث عن الإسلام والمرأة، وكانت تلك النَّدوات من أمتع ما سمعه النَّاس كما شهد بذلك الكثيرون.

رحم الله الأستاذ ظافرًا رحمة واسعة، وأثابه على ما قدَّم من خدمات جليلة لدينه وأمَّته.

الرياض ١٤١٩/٨/٢٣هـ عاصم بن محمد بهجة البيطار»

* * *

وقال صاحب مطابع ابن زيدون بدمشق وجيه بيضون في كتابه: «بَيْنَ الصَّناديق خمسون عامًا في رحاب المطابع ومَعَ أهل الفِكْرِ»[1] (ص ١٥٠ ــ ١٥٤)، وقد كان الأستاذ ظافر يزوره بصفته صاحب مطبعة:

«. . . ومن جملتها تلك التي عقد فيها ما بيني وبين الأستاذ ظافر القاسمي بما يرجع عهده إلى أوائل عام ١٩٣٤ حيث لم تكن تطلع عليَّ الشَّمس يومذاك إلاَّ نعمت بشمس مُحيَّاه ترفُّ بالتَّحيَّة ابتسم فيها الذوق الرفيع، ونَعِمَ مسمعي بحديثه الطليِّ يتحدَّر باللَّهجة السائغة، تميَّزت بنغمات من التَّطريب، وإليها الأدب جمّ الظَّرف والتَّهذيب.

ولا بِدع فهو من آل القاسمي الأُلى فازوا بالقسمة الجُلَّى من الفضل والفضائل، بل هو ابن عميدهم وفخارهم العلاَّمة الشيخ جمال الدِّين، أحد فراقد العلم والإمامة والكرامة، وعَلَم عصره في جلائل أثره، فورث عنه وعنهم ما يرثه الفرع الرَّطب في الشَّجرة الفينانة زكا أصلها وطاب مغرسها وأربت بخيراتها، فمن أين جئتها بَدَهَتْك بسحرٍ من المعاني الكريمة والمرائي الوسيمة. . .».

ثُمَّ قال: «لَقِنَ مترجمنا مبادىء العلم في كتاتيب دمشق كما هي في

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب سنة (١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٣م).

تواضعها لعهدها، ثُمَّ تحوَّل إلى المكتب السُّلطاني «مكتب عنبر» حيث تخرَّج منه بالشَّهادة الثَّانوية على أيدي فحول من الأساتذة كالجّندي والمبارك والبزم. ثُمَّ انتسب إلى معهد الحقوق، وما هو إلاَّ القليل حتى نال شهادته في المحاماة متفوِّقًا، ثُمَّ عمل متمرنًا، ثُمَّ أستاذًا، فأحرز من الشُّهرة ما جعله مؤتمن الكثيرين على دعاواهم. ونال عند زملائه المحامين الحظوة التي حفزتهم إلى انتخابه نقيبًا عليهم.

وينبغي ألاَّ ننسى أنه في عهد دراسته في مكتب عنبر كان أحد ثلاثة، هو والصديقان داود التكريتي وعصام الإنكليزي، وقد وحَّدت بينهم السنّ والألفة والتَّحصيل والنّزعة حتى استووا مثالاً واحدًا لصور مكرورة إن هي تباينت في مجتلاها لم تتباين في معناها، مدلِّلين بثبات وحدتهم على أن العدد غير ثابت إذ يتضاعف وهو الواحد، ويتوحد وهو المتضاعف، وعلى أن ثمة مثل مرائي المادة في مرائي النَّاس، تنعكس فيها الأرواح والنُّفوس بعضها عن بعض حين تتماثل في عنصرها وتتَّحد في تجاوبها وتجاذبها.

ولنعم هي الوحدة وحدتهم لأنها أعقبت الخير متعاقب الفيض في نشر آيات من تراثنا العلمي والأدبي وبعض الآثار المأثورة من الأدب الحديث. فلقد توفَّر مترجمنا يشدّ أزره رفيقاه وزميلاه على إنشاء مكتب أطلقوا عليه «مكتب النَّشر العربيِّ». صدر عنه تآليف جليلة أذكر منها: «المنقذ من الضَّلال» للغزالي، و «حيّ بن يقظان» لابن طفيل، و «البخلاء» للجاحظ، ثُمَّ «الثقافتان الصفراء والبيضاء» للشيخ بهجة البيطار، و «الحياة الأدبيَّة في جزيرة العرب» للدكتور طه حسين، و «قواعد التَّحديث» للشيخ جمال الدِّين القاسمي.

ثُمَّ انفرد مترجمنا من بعد بإخراج أحد آثار والده، وهو المسمَّى: «قاموس الصِّناعات الشَّاميَّة» والذي قدَّم له المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، فأعلن عن خطره من الوجهتين العلميَّة والتَّاريخيَّة وقد أخرج في جزأين كبيرين.

ويجدُّ مترجمنا لهذا العهد بطبع مؤلَّفه الجديد عن الحياة الدراسيَّة في «مكتب عنبر» الشهير، وكان قد نشر فصوله في صحيفة «الأيام» تباعًا، ولقي الاستحسان إجماعًا، بما ضمَّنه من تراجم لأساتيذ في العِلم والتَّعليم هم الرواسخ والدعائم، لبنيان الثقافة والنهضة الحديثة، وما اقتصّه من حقائق ودقائق، وأوابد وشوارد، عن فترة من تاريخ الحياة السوريَّة العربيَّة تُعدُّ من أيقظ الفترات الوطنيَّة والسياسيَّة، مما لا قبل بالتوفر على مثله إلاَّ لمن عاشها مثله، فبلاها في خيرها وشرها، وصفوها وكدرها.

وما نشكّ على حال في أن هذا الكتاب سوف يزيد في خطره على الأيَّام كمرجع تاريخي هام لا غَناء عنه للمحقِّقين المؤرِّخين في المستقبل فيما غنيت صفحاته من إفادة وإجادة، وكفاية في التَّحري بلغت الغاية، فضلاً عن التجرُّد في الحديث يستجلي الأحداث بحقها من صدق التَّعبير، ودقَّة التَّفكير.

وأنت إذا ذهبت تعتبر المترجم في كتابته لرأيت أنه أحد قلائل ممن استجمعوا إليهم براعة الوصف مع أناقة اللَّفظ، وجمال التَّرسل مع جلال المعنى، وسداد المنطق مع ألمعيَّة الذِّهن. هذا إلى سلاسة في الأسلوب والسَّرد، يتخللهما الصِّدق في الشُّعور وإشعاع الروح. فإذا تحوَّلت إلى الكتابة بذاتها في نمطيَّة خطِّها طالعك كذلك اليسر في المطالعة برغم مشقها في التَّحبير وسرعتها في التَّسطير.

وعلى أن مترجمنا قد انصرف إلى المحاماة في لغتها الجامدة بمادَّتها من موادِّها ونظام أسلوبها من أنظمتها، فقد لبث على عهده أمينًا للفصحى، نشطًا في إرعائها، ضنينًا بتعشُّقها، يعلو بها عمَّا يشينها ويعيبها. وتلك مزية يتعاظم خطرها بل يعزُّ مثالها حين نذكر الضَّعف والرَّكاكة يمنى بهما أكثر المشتغلين تحت قوس العدالة، فيعدلون مع الأيَّام عن الفصيح من اللفظ، والرَّفيع من البيان، لا يشغلهم مثل ما يشغلهم قراع الحجج بأضدادها ولو وردت من اللُّغة التي يلعن بعضها بعضًا في مواردها.

ومما لا بدَّ من التنويه به أن مترجمنا على شدَّة عنايته بلغته قد بذل مثل هذه العناية في اللُّغة الفرنسيَّة التي مرن عليها منذ الحداثة، ثُمَّ مكَّن لها بالمطالعة المتَّصلة، إلى أن برع فيها ترجمة وحوارًا كأبنائها.

وما أنا واللهِ بالمغالي حين أختم بأن الأستاذ القاسمي نادرة بين الرجال لم أعرف من مثله إلاَّ القليل والأقل بين من عرفتهم على طول العهد وامتداد العمر: أصالة في الحسب والنسب، وسجاحة في الخليقة والطَّبيعة، وبسطة في العلم والمعرفة، مع إحسان إلى ميزة في الأدب والبيان، وسداد في الرأي، وجد دؤوب هو الأحوذيَّة في غاية غاياتها.

وماذا بعد هذا غير أن أزعم بأنه ابن نفسه، قد ازدحمت عنده الخصائص والميِّزات من كسبٍ خصّه به ربُّه، واكتساب هو جني سعيه، فما تدري ما تأخذ من ذلك وما تدع، ولكنك لا تخطىء حين تستجمع ذلك كله في أنه أحد أمثلة العبقريَّة النَّاجحة في فنِّ الحياة المثلى».

* * *

هذه جملة من الثَّناء على الأُستاذ ظافر وعلى علمه وفضله.

كما أنَّ أصدقاء والده الكبار كانوا يُراسلونه كالعلاَّمة محمد رشيد رضا[1] وأمير البيان شكيب أرسلان وغيرهما.

وهذا نصّ رسالة من أمير البيان شكيب أرسلان[2]، حيث يقول:

«جنيف في ١٠ ربيع الثَّاني (١٣٥٤هـ)

حضرة ولدنا الأديب الأنجب سلالة دوحة العلم والأدب الشيخ ظافر القاسمي المحترم حفظه الله تعالى.

أخذت كتابكم ويسرني نجاحكم في فحوصكم وكل ما يتواتر من دلائل نجابتكم، والشيء من معدنه لا يستكثر، لا أزال منتظرًا وصول ثلاثين نسخة مجلَّدة تصل تباعًا من «روض الشقيق»[3]، وكذلك تنفيذ رجائي بإرسال النسخ التي أوصيت بإرسالها، فعسى أن لا يكون واقعًا تأخّر في هذا الشَّأن. وجميع التعليمات اللاَّزمة قد أعطيتها في كتابي إلى حضرة السيِّد وجيه بيضون، وأنا بانتظار جوابكما، وقد أوصيت السيِّد المومأ إليه بأن يقدِّم لكم نسخةً من الكتاب، وقد كان هذا واجبًا عليَّ على

---

(١) لم أورد رسالة الشيخ رضا وإنَّما ألحقتها مع المصوَّرات، كما ألحقت كذلك رسالة من الشيخ جميل الشَّطِّي إلى الأستاذ ظافر القاسمي.

(٢) وقفت على أكثر من رسالة مطوَّلة لشكيب أرسلان إلى الأستاذ ظافر، وإنَّما أوردت هذه الرسالة كمثال لما بينهما من الودّ والمراسلة.

(٣) يعني كتاب: «الروض الشقيق في الجزل الرقيق» وهو ديوان الأمير نسيب أرسلان من جمع وإصدار الأمير شكيب أرسلان وقد طبعه في مطبعة ابن زيدون بدمشق لصاحبها وجيه بيضون سنة (١٣٥٣هـ)، وقد كان الأستاذ ظافر وسيطًا بينهما لأجل طباعة هذا الكتاب.

كل حال، وقد سبق فضلكم بإهدائي كتاب الحديث النَّفيس[1]، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص

شكيب أرسلان»

* * *

وممَّا ينبغي أن لا يفوت ذكره في ترجمة الأستاذ ظافر القاسمي هو سعيه الحثيث في إخراج تفسير والده الشيخ جمال الدِّين القاسمي، وقد نجح في ذلك، وطبع الكتاب. وله قصَّة طريفة في طباعة هذا التَّفسير الجليل وقد صاغها بأسلوبه العذب وبيانه الرفيع، حيث قال حينما ترجم لوالده ترجمة حافلة في كتابه «جمال الدِّين القاسمي وعصره»:

« «محاسن التأويل» هو تفسيره لكتاب الله العظيم. انكبَّ عليه منذ عام (١٣١٧هـ) حتى آخر أيَّامه، يقع في ١٢ مجلَّدًا ضخمًا، وقد قضت ضرورات المطبعة أن يكون في سبعة عشر مجلدًا.

ولطبع هذا الكتاب وإخراجه إلى النُّور قصة:

ذلك أنَّني منذ أن أخذت في الإدراك والوعي، كنت أسمع في بيتنا أن كنزنا الذي لا يعدله كنز، هو هذا التَّفسير الذي أفنى الوالد عمره في تأليفه. ووقعت حادثة أكَّدت لي ذلك.

فقد بتنا ذات ليلة في بيتنا الذي كان يقع في زقاق المكتبي ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق القديمة، وإذا مدافع الفرنسيين تقصف المدينة

---

(١) يعني كتاب «قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث» للشيخ جمال الدِّين القاسمي.

القديمة وتحرقها بقنابلها، كان ذلك عام (١٩٢٥م)، ولم يغمض لنا جفن طول اللَّيل.

وقبيل الفجر، أحسسنا في الحيّ ضجيجًا غير معتاد، فخرجنا نتلمَّس الخبر، فرأينا الناس يزحفون من بيوتهم كيوم القيامة، فسألنا:

إلى أين؟

قالوا: إلى حيّ العمارة!

قلنا: ولِمَ؟

قالوا: لأنَّ قنصل الإنكليز مقيم فيها، ولا تجرؤ فرنسا على ضرب هذا الحيّ بقنابلها.

وكان النَّاس يحملون في أيديهم ما غلا من متاعهم.

فعدنا إلى البيت، ورأيت أخويّ رحمهما الله ـ ضياء الدِّين ومسلَّم ـ يحمل كل واحدٍ منهما خمسًا من مجلَّدات التَّفسير الاثني عشر، ويترفَّقان بي فلا أحمل إلاَّ مجلَّدين، وننطلق جميعًا إلى حيّ العمارة، حيث كانت تقيم شقيقة لنا فيه.

إنَّه كنزنا الوحيد، وليس في البيت ما يستحقّ الإنقاذ إلاَّ هذا التَّفسير.

وبقِيَتْ في ذهني هذه الصُّورة حتى اليوم، كأروع ما تكون الصُّور، في الحرص على مخلَّفات الآباء للأبناء.

ولم أفكِّر في طبع التَّفسير، لأنَّني كنت أسمع أنَّه عرض على بعض أصحاب المكتبات والنَّاشرين فاستثقل نفقاته.

إلى أن كنت ذات يوم من أيَّام عام (١٩٥٦م) في مكتبي، وإذا بساعي البريد يدفع إليَّ رسالة لم أتبيَّن مصدرها للوهلة الأولى، ثُمَّ عرفت أنَّها من أندونيسيا، فقرأت على مغلَّفها: «إلى والدنا المكرَّم السيِّد جمال الدِّين القاسمي وأولاده بدمشق الشَّام المحروسة زيدت معاليهم، آمين».

فأخذتني الدَّهشة أن توجَّه رسالة إلى أبي بعد اثنين وأربعين عامًا من وفاته، ففضضتها وإذا فيها استئذان بإعادة طبع كتابه «موعظة المؤمنين».

ودفعت الرسالة إلى صديقي الأستاذ صبري العسلي، وقلت له: انظر!

قال: ماذا؟

قلت: رجل يكتب إلى جمال الدِّين القاسمي من أندونيسيا بعد وفاته باثنين وأربعين عامًا!!

قال: هذا هو الخلود، فأبوك حي في أذهان الناس ما دام في الدنيا إسلام ومسلمون وشريعة إسلامية.

قلت لنفسي: ماذا فعل جمال الدِّين القاسمي في «موعظة المؤمنين» حتى يطلب الناس من أقاصي الدنيا إعادة طبعه؟ إنَّه لم يفعل أكثر من اختصار «إحياء علوم الدِّين» للغزاليّ الذي طُبع مرَّات.

صحيح أنَّ اختيار المرء قطعة من عقله، وقد يكون هذا المختصر أنفع من الأصل، ولكن ليس فيه دليل على علم القاسميّ ولا على عقله الكامل.

إنَّ الذي يدلّ على هذا كلّه وعلى أكثر منه هو تفسيره «محاسن التَّأويل» فما لي لا أطبعه إذا كان النَّاس يستثقلون نفقاته، إنِّي سأطبع منه في كل عام جزءًا، وأنا قادر بحمد الله على ذلك.

واتَّصلت على الفور بالمطبعة الهاشمية بدمشق، فأجبت بأن المسؤول عنها مريض، ولعله يحضر غدًا، وبينما أنا في الحديث الهاتفيّ، إذ يدخل عليَّ صديق ويقول:

ـ وماذا تريد أن تطبع؟

قلت: تفسير أبـي.

قال: ولماذا لا تطبعه في مصر، فمطابعها ودور النَّشر فيها أقوى وأقدر؟

ففكَّرت قليلاً، ثُمَّ قلت: صحيح. ولا جناح عليَّ في التَّأخير!

إنَّ هذا الكتاب لم يرَ النُّور منذ أكثر من أربعين عامًا، فماذا لو بقي أيَّامًا أخر.

وسنحت لي فرصة الاشتراك في المؤتمر الثَّاني للمحامين العرب الذي انعقد في القاهرة في شهر آذار عام (١٩٥٦م)، ونسخت الجزء الثاني من الكتاب، وحملته معي مع أصله.

واتَّصلت بالأخ السيِّد محمد الحلبـي، وحدَّثته في الكتاب، ودفعته إليه، فاستمهلني أيَّامًا جاء بعدها يقول:

لقد قرَّرت أن أطبع الكتاب على نفقتي، فقد سألت خبيري، وقال لي:

هذا كنز ينبغي أن لا يفوتني.

قلت: من خبيرك؟

قال: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.

فلم أشعر إلَّا والدَّمع قد انحدر من عينيّ، وقلت:

ـ لا يمكن أن يضيع الفضل، ولو غيَّبته ظلمات خزائن الكتب أربعين عامًا، أو ألف عام!»[1].

* * *

ولمَّا طبع الأستاذ ظافر تفسير والده أهدى منه إلى جمع من أهل العلم.

وهذا نصّ رسالتين إليه؛ الأولى من الشيخ المفتي العام لسورية الدُّكتور محمد أبو اليسر عابدين المتوفَّى سنة (١٤٠١هـ)، والثانية من الشيخ محمد بهجة الأثري البغدادي المتوفَّى سنة (١٤١٧هـ).

يقول الشيخ أبو اليسر عابدين:

سعادة الأخ الكريم ظافر بك القاسمي المحترم،

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بيد التبجيل والتعظيم تلقَّيت هديَّتكم الثَّمينة التي هي من آثار والدكم المرحوم العلَّامة الجليل شيخنا جمال الدِّين القاسمي، تغمَّده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنَّته.

وإنِّي إذْ أُسرِح فكري في رياض معانيه، وأروِّض نفسي في نظمه ومبانيه. أجده من أحسن التَّفاسير أسلوبًا وأقربها للفوائد مطلوبًا، داعيًا الله تعالى أن يوفِّقك لسرعة إنجاز نشره، لتتنشَّق المسام من طيب رباه وعطره،

---

(١) «جمال الدِّين القاسمي وعصره» (ص ٦٧٩ ـ ٦٨٢).

وقد صدق عليه ـ طيب الله جدثه في الأجداث ـ : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وبالختام أُهديك أطيب التَّحيَّة والاحترام.

دمشق في ١٨/ ١١/ ١٣٧٦هـ   المفتي العـام للجمهوريَّة السوريَّة

و ١٦/ ٦/ ١٩٥٧م   رئيس المجلس الإسلاميّ الأعلى

الدكتور محمد أبو اليسر عابـدين

* * *

وهذه رسالة الشيخ الأثريّ:

بغداد ٢٥/ ١١/ ١٣٧٧هـ

أخي الأُستاذ النَّبيل الأصيل،

السَّلام عليك ورحمة الله وبركاته

وبـعـد: فإني لم أكد أفرغ لكتابة شكري على تفضُّلك بإهداء المجلَّد السَّادس من تفسير الوالد العلاَّمة الإمام الهمام رحمه الله حتَّى فوجئت بوصول المجلَّد السَّابع منه، فعجبت لهذه الهمَّة العالية المبذولة في مواصلة طبعه الدَّالَّة على صدق العزيمة على إنجازه في أقرب وقت، فَبُورِكَ فيك من همام، وشكرًا ثُمَّ شكرًا على متابعة إهدائك إيَّاي أجزاء هذا التَّفسير العظيم.

هذا، وأرجو أن تصل إليكم قريبًا نسخة من كتيِّب كتبتُه وأخرجه المجمع العلمي العراقيّ في هذه الأيَّام تذكارًا للمودَّة، ودمت لمحبك.

محمد بهجة الأثري

* * *

مؤلَّفاته:

١ ـ «مكتب عنبر»، صور وذكريات من حياتنا الثقافيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة، دار العلم للملايين (١٩٦٤م).

٢ ـ «فصول في اللُّغة والأدب»، دار الكتاب الجديد (١٩٦٤م).

٣ ـ «وثائق جديدة عن الثَّورة السوريَّة الكبرى عام (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧م) »، دار الكتاب الجديد ـ بيروت (١٩٦٥م).

٤ ـ «جمال الدِّين القاسمي وعصره»، مكتبة أطلس ـ دمشق (١٩٦٦م).

٥ ـ «نظام الحكم في الشَّريعة والتَّاريخ الإسلاميّ (الحياة الدستوريَّة) »، دار النَّفائس ـ بيروت (١٩٧٧م).

٦ ـ «غَزَلٌ من الصحراء: يزيد بن الطثريَّة»، دار النفائس ـ بيروت (١٣٩٨هـ).

٧ ـ «نظرات في الشِّعر الإسلاميّ والأمويّ»، دار النفائس ـ بيروت (١٣٩٨هـ).

٨ ـ «الحياة الاجتماعيَّة عند العرب»، دار النفائس ـ بيروت (١٣٩٨هـ).

٩ ـ «نظام الحكم في الشَّريعة والتَّاريخ الإسلاميّ، السُّلطة القضائيَّة»، دار النَّفائس ـ بيروت (١٩٧٧م).

١٠ـ «توحيد التَّشريع في البلاد العربيَّة»، مصر (١٩٦١م).

١١ـ «الجهاد والحقوق الدوليَّة العامَّة في الإسلام»، دار العلم للملايين ـ بيروت (١٩٨٢م).

مؤلَّفاتـه بالفرنسيـة:

١ ــ «مساهمة الطَّبقات الشعبيَّة في الحركات الوطنيَّة التي أدَّت إلى الاستقلال ــ سورية في القرن التاسع عشر والنِّصف الأول من القرن العشرين»، قدِّم إلى الجمعيَّة الدوليَّة للعلوم عام (١٩٦٤م).

٢ ــ «الهجرة من سورية وإليها منذ أواخر القرن الثَّامن عشر حتى اليوم»، قدِّم إلى الجمعية الدولية للعلوم عام (١٩٧٤م).

وفي مجال التحقيق:

كتـاب «بـدائـع الغـرف فـي الصِّنـاعـات والحـرف» المطبـوع بـاسـم: «قاموس الصِّناعات الشاميَّة» والذي قام بتأليفه الشيخ محمد سعيد القاسمي والد العلاَّمة جمال الدِّين، لكن المنيَّة اخترمته قبل إتمام المجلَّد الثَّاني منه فأتمَّه الشيخ جمال الدِّين وصهره خليل العظم، وقام بنشره وتحقيقه ظافر القاسمي، وطبع في معهد الدِّراسات العلميَّة العليا في باريس (١٩٦٠م)[١].

يقول الشيخ العلاَّمة علي الطَّنطاوي في معرض كلام له: «ولو نظرتم في كتاب «قاموس الصِّناعات الشاميَّة» للقاسمي، لرأيتم أنّه كان في الشَّام صناعات جليلة أصيلة، نسينا اليوم أسماءها، ورحم الله القاسميّ، الَّذي ألهمه الله تأليف هذا الكتاب في وقت لم يكن يهتم فيه أحد بمثل هذه الموضوعات، وشكرًا لأخينا الأستاذ ظافر أن طبعه ونشره»[٢].

---

(١) طلب الأستاذ ظافر من الشيخ محمد بهجة البيطار ومن الشيخ محمد ناصر الدِّين الألبانيّ أن يُخرِّجا الأحاديث الواردة في الكتاب فقاما بذلك على وجه الإيجاز والاختصار، وقد ألحقت صورة نموذج من خطهما في آخر هذه الترجمة.

(٢) «ذكريات الشيخ علي الطنطاوي» (١/ ١٤٥، ١٤٦).

وقد أرسل شفيق جبري ــ شاعر الشَّام وأحد أعضاء المجمع العلمي العربـي بدمشق ــ رسالة يثني فيها على كتاب «قاموس الصناعات الشامية» وعلى من قام بتأليفه وإخراجه، فرَدَّ عليه الأستاذ ظافر بهذه الرسالة التي فاضت بالأدب والنُّبل على من هو بمقام أستاذه، حيث قال:

تحيَّتي وتجلَّتي:

وبـعـد، فقد تفضَّلت فبعثت إليَّ بكلمتك الرَّائعة عن «قاموس الصِّناعات الشاميَّة»، وزدت في إحسانك، فأرفقتها بكتاب فاض بالرقَّة واللُّطف، سألتني فيه عمَّا إذا كانت الكلمة أرضتني، وأنَّك مستعدٌّ لتغييرها إذا كانت لم ترضني.

وما أدري والله كيف أجيبك على كتابك هذا، لأنَّك قد بلغت فيه الذُّروة من تواضع العالم، وحس الأديب، وشعور الفنَّان، ومسايرة الصَّديق، ورعاية التِّلميذ، ولقد كنت أعلم فيك هذه المزايا جميعًا، وأعلم غيرها وأكثر منها، ولكنِّي لمستها بكل حواسي في هذا الكتاب، الذي أعتبره مثلاً رائعًا في أدبنا العربـي، يحتذى في الإخوانيَّات وفي آداب السلوك.

وإذا تجاوزت هذا الموضوع، إلى كلمتك عن الكتاب نفسه، فأظن أنَّه يكفيك أن تعلم أنِّي قرأتها في بلودان[1]، آخر السهرة، فبكيت، نعم، والله بكيت، وهل أنا إلاَّ إنسان، البكاء من غرائزه، وهل عليَّ من حرج أن أعلن لك في هذا الكتاب الخاص أنَّني بكيت بدموع غزار، وقد أعلنت أنت نفسك في كتابك الفريد «أنا والشعر»، أنَّك استعبرت وأنت تشرح

(١) أحد مصايف دمشق المحروسة.

لطلاَّبك في كليَّة الآداب قصيدة شوقي:

شيَّعت أحلامي بطرف باكي ولممت من طرق الملاح شِبَاكي

وهل على التِّلميذ من حرج إذا تأسَّى بأستاذه. . . ؟

لقد بكيت يا سيِّدي مرَّتين، مرَّة يوم بحثت عن سوق الخيَّاطين، وعن قنبازك الحريري الذي كنت تزهو فيه وتلفه ثُمَّ تطويه ثُمَّ تنشره، لأن مثل هذه الذكرى قد مرَّت في خاطري، فأثارت في النفس كوامنها، وبكيت مرَّةً ثانيةً ساعة قرأت تمجيدك للمؤلِّفين الذين رزقوا (الذهن المتوقد الذي اهتدى في عصر كلّه ظلمات بعضها فوق بعض إلى ما لم نهتدِ إليه في عصر كلّه نور بعضه فوق بعض)، وساعة قرأت (تعظيمك لرجاحة العقول التي تضافرت على عمل القاموس وإجلالك لثقوب أذهانهم).

لقد أشجاني هذا كله يا سيِّدي فأبكاني، وصدِّقني: إنَّ شيئًا آخر أشجاني فأبكاني، تلك هي عاطفتك العميقة نحو دمشق، وإنك، (ابن ترابها وهوائها ومائها وشمسها)، وكيف لا تبكي وقد رأيت القدر يتنكَّر لها، وأهلها يشيحون بوجوههم عنها، حتى ليكاد يحسّ أبناؤها الغربة فيها، والوحشة في مغانيها، فتأتي أنت وحدك لتنشد قبل أسابيع، وينشد الدهر معك:

هذي الدِّيار بنو أمية أهلها. . .

فأذكر هذا وأنا أقرأ لك أنك ترى (في قاموس الصِّناعات الشاميَّة روح الشام ولحمها ودمها)، فيجري دمعي، وأتساءل، هل هذا الرُّوح واللَّحم والدم باق متجدِّد، أو أنَّه ذاهب متبدِّد؟.

لقد أعلنت للأخ نادر بك، ساعة انصرافنا، من الفندق، أنَّني قرأت كلمتك فبكيت، وعدت إلى دمشق، ونمت، ثُمَّ استيقظت في الصباح، وساءلت نفسي: هل في الكلمة حقًّا ما يبكيني؟ فكانت قراءتي لها ثانية أول شيء عملته في ذلك الصباح، والله يا سيِّدي لقد أخضلت عيناي بالدموع ثانية، فقمت إلى الهاتف ورويت قصتي للأخ نادر بك، ورجوته إبلاغك إيَّاها.

هذا يا سيدي أثر كلمتك في نفسي، وهل بعد هذا من أثر؟

لقد أعلنت لك أنَّني أفخر بالتَّلمذة عليك، وإن لم أجلس على مقاعد الدرس، لأستمع إليك، إلاَّ أنَّني أخذت عن كتبك، وانتفعت بأدبك، ورويت بعض شعرك، وتأدَّبت بآثارك، فإذا كنت قد وصفتني (بفرط الذوق) في صدر كلمتك، وأنَّني (قد ورثته من معادنه)، فإنَّ هذا الإرث قد صقلته أنتَ بما نشرت في الناس عامَّةً، وبما تلقَّفت عنك أنا خاصَّةً، من آثار فنّك الرَّائع الخالد. وهذه رسالتك (المفرطة بالذَّوق) حقًّا، وقد علَّمتني شيئًا جديدًا يعود فضله إليك.

وإذا كان لا بدَّ لي من أن أختم هذا الكتاب فإنِّي أختمه بالدُّعاء لك بعمرٍ مديد في خدمة لغتك وأمَّتك وبلدك، لا زلت يا سيِّدي جبلاً لا يطاول، وبحرًا لا يساحل.

وتقبَّل من تلميذك المحبّ المعجب أخلص حبّه، وأعمق امتنانه وشكره»[1].

* * *

(١) «مجلة الثقافة السورية» ٢٣/ ٥/ ١٩٧٨م.

وفـاتـه:

بعد هذه الحياة العلميَّة للأستاذ ظافر القاسمي توفِّي رحمه الله تعالى في باريس فجأةً إثر نوبة قلبيَّة حادَّة عن عمر يناهز الثَّلاثة والسَّبعين عصر يوم الجمعة ٦ جمادى الآخرة سنة (١٤٠٤هـ)، كما رأيت ذلك على لوحة قبره في مقبرة الباب الصغير في مقابر عائلته، إذ نُقل جثمانه بوصيَّة منه إلى دمشق كما أخبرني بذلك ابن أخيه الأستاذ محمد سعيد القاسمي.

وقد خلَّف ابنين وهما: جمال الدِّين، وصلاح الدِّين، بارك الله فيهما وأعاد بهما أمجاد هذا البيت المبارك، آمين.

* * *

هـؤلاء هـم ذرِّيَّـة الشيـخ محمـد سعيـد القـاسمـي والـد العـلاَّمـة جمال الدِّين من أبنائه وأحفاده. وإليك ذكر بقيَّة إخوانه من أبيه؛ وما كانوا عليه من العلم والفضل.

* * *

ولد لنا قبل ظهر يوم الخميس غرة صفر سنة ١٣٣١
بخير مولود غلام وسميناه (محمد ظافر)
جعله الله من السعداء وانبته نباتاً حسناً
ورضي عنه وعن اخوته
وذريتهم

صورة الورقة التي بخط الشيخ جمال الدِّين وفيها ذكر ميلاد ابنه ظافر .

دمشق: الأحد ١٦ آب ١٩٥٩

سيدي الأستاذ الدكتور حسين بك هيكل ابقاه المولى للغة العربية ذخراً وللأمة المصرية فخراً —

هذا هو المقال الثاني أوافيكم به وقد عثرت عليه في مجلة (الالستراسيون) الافرنسية Illustration أما رأيي فيه فإنه يحتوي على معلومات ما عرفت من قبل وحقائق عن ثورة روسيا الحديثة ما أظن أحداً عارضها بالكشف عنه والأمر لكم مولاي —

ظافر القاسمي

نموذج من خط الأستاذ ظافر.

جنيف في ١٠ ربيع الثاني ١٣٥٤

حضرة ولدنا الأديب الأنجب سلالة دوحة العلم والأدب الشيخ ظافر القاسمي المحترم
حفظه الله تعالى

أخذت كتابكم وشكرتكم وسرني نجاحكم في فحوصكم وكل ما يتواتر من دلائل نجابتكم والشيء من معدنه لا يستكثر. لا أزال منتظراً وصول ثلاثين نسخة مجلدة تصل لي تباعاً من روض الشقيق وكذلك تنفيذ رجائي بإرسال النسخ التي أوصيت بإرسالها فعسى أن لا يكون وقع تأخر في هذا الشأن وجميع التعليمات اللازمة قد أعطيتها في كتابي الى حضرة السيد وجيه بيضون وأنا بانتظار جوابكما وقد أوصيت السيد المومأ اليه بأن يقدم لكم نسخة من الكتاب وقد كان هذا واجباً على كل حال وقد سبق فضلكم بإهدائي كتاب الحديث النفيس

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص
شكيب
ارسلان

وسلامي الى الاخ
الشيخ قاسم

صورة رسالة شكيب أرسلان بخطه إلى ظافر القاسمي.

جنيف ٢٨ سبتمبر ١٩٢٤

ولدنا الحبيب الأديب

أخذت كتابكم وفهمته وهنأتكم على نشاطكم لنشر آثار والدكم العلامة رحمه الله فقد كان من أفراد هذا العصر في سعة علمه وأصالة رأيه وأني مستعد أن أكتب شيئاً عنه أن شئتم فأما أن أكتب تاريخ الحركة الفكرية في الحقبة الفلانية إجابة لطلب الإخوان فمع الأسف وقتي غير متسع لشيء من هذا والناس لا يعلمون درجة مشغوليتي ولا ما أنا فيه من العناء مع كثرة الشواغل حتى أن أوقاتي أرتبط بالدقائق لا بالساعات ولقد كرهت الحياة من كثرة تكاليفها فأني لو شئت أن أجيب كل ما يرد علي من الاقتراحات لزم أن لا أفكر في شيء من إكمال كتبي ولا من الجواب على مراسلاتي ولا من معيشة عائلتي ولا من الأشغال السياسية التي لا حاجة هنا إلى هذا بل لا يبقى لي شغل الا أن أجيب على الاقتراحات وهذا كما لا يخفى غير ممكن والسلام على حضرة الأخ الشيخ قاسم وتقبل يا ولدي عذري في ما أبديته لك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

المخلص
شكيب
ارسلان

9 Avenue Hentsch
Genève

نموذج آخر من رسائل شكيب أرسلان إلى ظافر القاسمي، وليست بخطِّ شكيب، وفي آخرها كتابة اسمه بخطِّه.

ولدنا الفاضل السيد المجاهد الظافر

احييك واهنيك بشهر رمضان المبارك واسأل الله ان يوفقنا جميعاً لما يرضيه
فيه من صيام وقيام وتلاوة . وقد وصل لنا كتابك والكراسة الاخيرة من الكتاب
الجليل وتلاه كتاب ٢٣ الاخ ابن البيطار ومنه علمت ان المراد لكم تقريظا
للكتاب بنشره وسأكتبه ان شاء الله تعالى . ووصل تقريظ صديقنا الامير
وجوابك للسيد عاصم وذلك اشكر واجازة ما شرح في [illegible] طلبة العلم من حسن اللب
والسلام على عمك وسائر اخوتنا السيدين [illegible] غرة رمضان ١٣٤٥

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

S. M. RASHEED RIDA

PROPIÉTAIRE-RÉDACTEUR DE LA REVUE "ALMANAR"

RUE INSHA NO. 14
Tél. 43349
EGYPTE

شارع الانشاء رقم ١٤
تليفون ٤٣٣٤٩
مصر

صورة من رسالة الشيخ محمد رشيد رضا بخطِّه إلى ظافر القاسمي
ويلاحظ فيها البطاقة التي فيها عنوان الشيخ محمد رشيد.

أخي المحبوب والمحامي اللامع ظافر أفندي سلمه الله

حياك الله وأحياك لقد بلغني عقد قرانك

فأبهجنا وأنعشنا وقلنا مهنئينا جعله الله بالتوفيق

مقروناً وبالسعادة والهناء مشمولاً ومتعك بالبنين

كما أقر عينك بالحور العين) ٢٨-١-٤٩

المحب

محمد جميل

صورة رسالة من الشيخ محمد جميل الشطّي بخطّه يهنّىء فيها ظافر القاسمي بزواجه.

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ.

[٣٨/ص/٢٩]

تفسير القاسمي

المسمّى

محاسن التأويل

تأليف علامة الشام

محمد جمال الدين القاسمي

١٢٨٣ — ١٣٣٢هـ

١٨٦٦ — ١٩١٤م

الجزء الأول

وهو المقدمة المشتملة على قواعد التفسير

وقف على طبعه وتصحيحه، ورقمه وخرّج آياته وأحاديثه، وعلّق عليه

(خادم الكتاب والسنة)

محمد فؤاد عبد الباقي

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

صورة إهداء بخطّ ظافر القاسمي إلى الشيخ أبي اليسر عابدين، وذلك على طرّة تفسير والده المطبوع.

٤ ـــ قال ابن القيم: هذا الحديث معلول، أعله أئمة الحديث.

٥ ـــ أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة.

٦ ـــ قال في جامع الأصول: ذكره رزين ولم أجده.

٧ ـــ رواه الخطيب وابن بلال وابن عساكر.

[illegible] رواه الحافظ المنذري [illegible] الأصبهاني [illegible] رواه أحمد وأبو يعلى والبزار [illegible] ثم قال: رواه [illegible] الحاكم

٩ ـــ أخرجه الحاكم في صحيحه، والبيهقي في الشعب، وابن ماجة بسند حسن.

وكتبه الضعيف:

محمد بهجة البيطار

تحريرًا في [illegible]

[illegible] الأحاديث التي لم [illegible]

من الشيخ ناصر، [illegible] الجواب [illegible]

صباح [illegible] المقبل وشكرًا

ظافر

٧ ـــ هو حديث موضوع فلا يجوز السكوت عنه، وقد بينت وضعه فيما نشرته من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في مجلة التمدن الإسلامي منذ سنتين، فليراجع برقم (١٠٩).

٨ ـــ لم أجده أصلًا.

١٠ ـــ لم أجده أيضًا، وكأنه من كلام بعض الصوفية.

وكتب

دمشق ٢٥/٢/١٣٧٩

محمد ناصر الدين الألباني

نموذج من تخريج أحاديث كتاب «قاموس الصناعات الشامية» بخطَّي الشيخ بهجة البيطار والشيخ ناصر الدِّين الألباني، وذلك بطلب من الأستاذ ظافر القاسمي.

الشيخ عبد الرحمن القاسمي

(٠٠٠٠ ــ ١٣٠٦هـ)

يقول ابن أخيه العلاَّمة الشيخ جمال الدِّين القاسمي: «وأما بقيَّة أولاد سيِّدي الجدّ فهم الشيخ عبد الرَّحمن، والشيخ محمَّد، والشيخ عبد الغني، والجميع إخوة الوالد لأبيه.

فأما الشيخ عبد الرحمن فإنه وُلد سنة...[1]، ونشأ في حِجْرِ أبيه، وأتقن القراءة والكتابة، وبعد وفاة أبيه اشتغل في التجارة ثُمَّ ذهب إلى مكَّة المكرَّمة وجاور بها، ولاحت عليه أنوار الصَّلاح والهداية والفلاح، وتخلَّى في الحرم الشَّريف للطَّاعة، ومكث هناك غير متَّخذ زوجة ولا ما يشغله عن الله، وكان برًا بوالدته، وحجَّ بها، وقام بخدمتها المرضيَّة، وكان يتردد في أثناء مجاورته إلى الشَّام ويمكث بعض أشهر وأيَّام وقلبه مشوق بالبيت الحرام، ثُمَّ وردنا نعيه من مكَّة المشرَّفة في سنة (١٣٠٦هـ) رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأفاض على ضريحه سحب الرضوان الهامعة». اهـ.

---

(١) ترك الشيخ جمال الدِّين فراغًا لسنة ولادته، كما أن الشيخ أحمد القاسمي لم يذكر سنة ميلاده مما يدل على أنهما لم يعرفا في أي سنة وُلد.

وذكر ابن أخيه الشيخ أحمد بن محمد القاسمي أنَّه اشتغل بتحفيظ الطَّلبة والنَّاشئة القرآن الكريم.

مصادر ترجمته:

١ ـ ورقة من مسودات «تعطير المشام» للشيخ جمال الدِّين، ولكنه لم يدخلها فيه.

٢ ـ ثلاث ورقات حول نسب آل القاسمي بقلم الشيخ أحمد بن محمد القاسمي، سبقت الإشارة إليها (ص ٢٦).

* * *

الشيخ محمَّد القاسمي

(١٢٧٦ ـ ١٣٣٧هـ)

هو الشيخ محمَّد بن الشيخ قاسم ـ الابن الثالث له ـ ، وهو عالمٌ حافظ لكتاب الله متمكن من الفقه والفرائض والنحو، شافعي المذهب كوالده وبقيَّة عائلته.

قال الشيخ جمال الدِّين القاسمي: «وُلد سنة (١٢٧٦هـ)، وتوفي والده وعمره ثماني سنين، فتربى في حِجرِ والدته، وقامت بتربيته مع إخوته أحسن القيام ـ جزاها الله تعالى خير الجَّزاء ـ إلى أن ترعرع، واشتغل بطلب العلم فقرأ على فضلاء عصره، واشتغل أولاً على الفاضل النِّحرير الشيخ عمر العطار، ودأب عنده، وحضر عند العلاَّمة الشيخ بكري العطَّار، ثُمَّ لازم الشيخ محمَّد بن محمَّد الخاني النقشبندي». اهـ. كما أنه تفقه بالشيخ سليم العطَّار مع قراءته عليه في بعض العلوم الأخرى، وقد جدّ واجتهد حتى تصدَّر للإقراء والتعليم، وبرع في العلوم العربية لا سيما في النحو والصَّرف والبلاغة؛ وقد أجازه شيوخه بذلك كما سيأتي في إجازته لابن أخيه الشيخ قاسم بن محمد سعيد القاسمي.

يقول ابن أخيه الشيخ جمال الدِّين القاسمي: «وفي سنة (١٣٠٦هـ)

نزل له سيدي الوالد حفظه الله تعالى عن خطبة جامع حسان، فخطب به، ثُمَّ سعى في تحصيل إمامته أيضًا فوجّهت عليه، وهو مقيم الآن في حجرة جامع حسان يفيد ويستفيد، وعنده جملة من الطَّلبة ملازمون رحابه حرس المولى جنابه».

وقد أقبل عليه الطَّلبة من أبناء محلة قصر الحجاج بحي باب الجابية والقرى.

وكان لا يقبل طالبًا حتى يحفظ القرآن، ثُمَّ يكلفه حفظَ «الألفيَّة» في النحو، و «متن الزُّبد» في فقه الشَّافعية، ثُمَّ يتدرَّج به بعد ذلك في المطوَّلات من الكتب. وكان متفرِّغًا للتَّدريس ليل نهار حتى سُمي جامعه بالأزهر الصَّغير.

وعاش رحمه الله تعالى زاهدًا، مكتفيًا براتبه الوظيفي من الأوقاف، وكان مهيبًا، كثَّ اللحية، يعتم بعمامة بيضاء على طربوش.

يقول محمد أديب تقي الدِّين الحصني: «كان عالمًا فاضلاً، فقيهًا، يصدع بالحقِّ، انتفع به كثير من الطَّلبة».

ومن أشهر طلابه وتلاميذه:

الشيخ علي الدقر، والشيخ عبد الله الجلاد، والشيخ شريف النّص، والشيخ عبد الرحمن القصَّار، والمؤرِّخ الأستاذ محمد كردعلي، والشيخ عبد المجيد البغال، والشيخ كامل البغال، والشيخ مُسَلَّم الخالد، والشيخ محمد حجازي الكيلاني، والشيخ المُعَمَّر يحيـى جانو، والأُستاذ لطفي الحفار، والأستاذ هاني الجلَّاد، وغيرهم.

أمــا مؤلفاتــه:

فإنها احترقت؛ وذلك أنه فُجع بمسجده وكتبه في أثناء الحرب العالمية الأولى، قبل وفاته بأربع سنوات؛ وذلك أن العسكر العثماني هجم على مسجد حسان واتخذه ثكنة له بعد أن نهبه، ثُمَّ أحرق خشبه من نوافذ وأبواب، وأتلف ما فيه من كتب ومخطوطات، بما في ذلك مؤلَّفات الشيخ محمَّد القاسمي.

وقد ألَّف رسالة في المولد النَّبوي قرظها له الشيخ عبد الحكيم الأفغاني.

وله بعض المقالات في مجلة الحقائق، وفي بعضها ردّ على ابن أخيه العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي؛ إلا أن فيها التزام الأدب والاحترام بينهما؛ فإن ابن أخيه قد أثنى عليه كما سبق ذكره، ولما تولَّى الشيخ جمال الدِّين التدريس في جامع السنانيَّة كان من الحاضرين لدرسه والحاثين على حضوره، يقول الشيخ جمال الدِّين القاسمي: «وأحبَّ حضرة سيِّدي عمِّي الفاضل الكامل الشيخ محمد أفندي القاسمي، أن يدعو لحضور بداءته أعيان العصر وفضلاءه، فدعاهم...»

خلَّف الشيخ محمد القاسمي ثلاثة أبناء وهم: الشيخ أحمد (وستأتي ترجمته إن شاء الله بعد قليل)، وبديع، ومحمَّد نور الدِّين.

وفــاتــه:

توفي الشيخ محمَّد القاسمي في ١١ محرم سنة (١٣٣٧هـ) ودفن في مقبرة الباب الصغير كما رأيت ذلك على لوحة قبره.

مصـادر ترجمتـه:

١ ـ ورقـة خطيَّـة مـن مسـودات «تعطيـر المشـام» للشيـخ جمـال الـدِّيـن القاسمي، ولم يدخلها فيه.

٢ ـ «منتخبات التواريخ» للحصني (٢/ ٧٩٥).

٣ ـ تـرجمـة بطلـب مني لـلأُستـاذ محمـد معتزّ بـن عـز الـدِّيـن السبينـي الدِّمشقي.

٤ ـ لقاء مع ابن أخيه الشيخ محمَّد بن عبد الغني القاسمي.

* * *

نص إجازة الشيخ محمد القاسمي لابن أخيه الشيخ قاسم بن محمد سعيد القاسمي:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ميَّز بالهداية من شاء، وأسس دعائم هذه الشريعة الغرَّاء، والصلاة والسلام على سيِّدنا وسندنا محمد منبع الأسرار، وعلى آلـه وصحبـه السَّـادة الأبـرار، الـذيـن جعلهـم الله نجـوم الهـدى، ورجـوم العدا.. آمين.

أما بعد: فإن العلوم وإن تباينت أصولها، وتعددت فصولها، وورد في فضلها من الأخبار ما لا يعدّ، ومن الآثار ما لا يحدّ، إلَّا أن أعلاها قدرًا، وأغلاها مهرًا، هو العلوم الدينية، والفهوم اللدنيّة، سيما علم الأحاديث النَّبوية، مع اتصال سندها إلى خير البريَّة ﷺ، وقد جرت عادة أهل الحديث في القديم والحديث، باتصال أسانيدهم، وعزوها إلى

أشياخهم، فإن الإسناد للمؤمن سلاح، وللطالب نجاح، لأنه نسبهم، وعليه معولهم.

فقد نقل عن إمامنا الشافعي رضي الله عنه أنه قال: الذي يطلب علم الحديث بلا سند كحاطب ليل يحمل الحطب وفيه أفعى وهو لا يدري.

وعن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أنه قال: الإسناد من الدِّين ولولاه لقال من شاء ما شاء.

وروى الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى أنه قال: الإجازة في العلم رأس مال كبير أو كثير.

هذا، وإن ممن لُوحِظَ بعين العناية، وتعرَّج بنور الهداية، ولدي القلبي، ونجل أخي ومحبي، من هو أعزُّ الناس عندي، حفيد الوالد الشيخ قاسم أفندي، بلَّغه الله الأمل، ووفقه للعلم والعمل، فإنه بالجِدِّ والاجتهاد، أفاد واستفاد؛ قد طلب مني وحسَّن ظنه بي كما هو شأنه الحسن، أن أجيزه من العلوم بما أمكن، فأجبته لذلك، وإن لم أكن أهلاً لذلك.

وأجزته بجميع ما يجوز لي وعني روايته ودرايته، من كل ما قرأته وسمعته، أو أجازني به من له الإجازة، بالشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر، ما بين القراءة والسَّماع والإجازة الخاصَّة والعامَّة، سيما «صحيح البخاري» عن مشاهير أشياخي الأئمة الأثبات، منهم:

عمدة العلماء، وقدوة الفضلاء، علاَّمة الزمان، السيد الشريف الحسيب النسيب مفتي دمشق الشَّام سيدي محمود أفندي الحمزاوي، إجازةً.

وشيخ الشام والحَبْر الهمام، ذو الهيبة والوقار، سيدي وسندي الشيخ سليم أفندي العطَّار.

وقدوة الصالحين، ومُربي السَّالكين، من هو في حب الله فاني، أستاذي الشيخ محمد أفندي الخاني الثاني.

ثلاثتهم عن علاَّمة العصر، ومدرِّس قبَّة النَّسر، شيخ الشيوخ الشيخ عبد الرحمن الكُزْبري.

(ح) والأوَّلان وبقية السلف، وعمدة الخلف، علماء العلماء، والسادة الفضلاء، أساتذتي الكرام:

الشيخ بكري أفندي.

والشيخ عمر أفندي.

والشيخ إبراهيم أفندي.

والشيخ محمد أفندي.

من بني العطار عن سلفهم شيخ أئمة الحديث، الذي كانت تعلو وجهه نضارة أهل الحديث، الشيخ حامد العطَّار.

ومنهم: علاَّمة المعقول والمنقول، ومُحرر الفروع والأصول سيدي الشيخ محمد أفندي الطندتائي؛ عن شيخه ذي التصانيف العديدة، والتحارير المفيدة الشيخ إبراهيم الباجوري.

قراءةً وإجازةً عنهم جميعًا رحمهم الله تعالى.

وهذا ــ أي سندي من طريق شيخي الأول ــ أعلى ما وقع لي من الإسناد، وغالب هذه الطرق يجمعها شيخ الجميع الشيخ محمد عقيلة المكي رحمه الله تعالى.

مُوصيًا المُجَاز المذكور بالتقوى والاستمساك بالعروة الوثقى، مع تذكري كما هو أملي بصالح دعواته، في خلواته وجلواته، لا سيما بالعفو العام، وحسن الختام، وبالصَّلاة والسلام على سيِّدنا محمد وآله الكرام، يطيب البدء والختام.

في ٢٧ محرَّم الحرام سنة ١٣٢٢هـ قاله بفمه وكتبه بقلمه

أفقر الخلق على الإطلاق

محمد بن الشيخ قاسم الشهير بالحلّاق

* * *

وفيما يلي ترجمة ابنه الشيخ أحمد بعد ذكر نماذج من صور خط والده:

الحمد لله الذي اودع في هذه المكونات حكماً بدائعا وادار على محور الانتظام
قوانينها وموادها اجمعا وجعل من تمام ذلك النظام والانتظام بقاء النوع
البشري والنسل الانساني وجعل واسطة ذلك النكاح الذي جمع
فيه من الفوائد والحكم ما تتألف به الاجسام والارواح حفظاً للانفس
الطاهرات ان تنغمس في المحرمات من الشهوات وصلاة وسلاماً على
من رغب في النكاح وحذر من الرغبة عنه وآذن انه من هديه الذي
لابد لحفظ الدين منه الذي ألف بين القلوب المتنافرة وعرّف بين النفوس
بعد ان كانت متناكرة سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين.
اما بعد فهذا عقد حميد وقران ان شاء الله سعيد الزوج مفخر التجار
الكرام السيد عثمان افندي بن السيد محمد افندي بن السيد صالح افندي الغبرا
والزوجة فخر المخدرات الكرام ونتيجة العلماء العظام السيدة (ثريا
خانم) كريمة جناب الفاضل الشيخ محمد جمال الدين افندي نجل المرحوم
والمغفور له جناب الشيخ محمد سعيد افندي القاسمي البكر المراهقة بمهر
عشرة آلاف قرش المعجل منها سبعة آلاف قرش والباقي لها في ذمته
ثلاثة آلاف قرش المزوج لها بالوكالة عن والدها المذكور عمها
جناب محمد عيد افندي بشهادة كل من الشيخ اديب افندي بن المرحوم
الشيخ ارسلان بن الشيخ حامد افندي التقي وعبد الغني افندي القاسمي
فقبل للزوج العقد بالوكالة عنه جده السيد صالح افندي المذكور
بشهادة كل من الشيخ مصطفى افندي بن السيد محمد افندي بن السيد سعيد
افندي تقي الدين وصلاح الدين افندي شقيق الزوج المذكور تحريراً ليلة الجمعة ٢٥ شوال سنة ١٣٢٣

نموذج من خط الشيخ محمد بن الشيخ قاسم

العبادات ولهاتي مقام التشريع المنزلة الأولى فليتسع الوقت ولو اقتصر على الأعذار لسلم من شين الأول قوله في الجواب
عن السؤال الأخير فيمكن استفادته من امعان النظر في نصوص تلك الفتاوى اهـ وهذا ليس كافيا في البيان عند أهل
الأدب وكان المأمول ان يعتني بذلك العلم نظره ليطلع المستفيد على دقائق الاستنباط من جودة الامعان اذ ليس من
وظيفة المسؤول ان يجيب بالاجمال ثم يحيل فهمه الى السائل. الثاني البحث الذي نقله عن ابن القيم تنبيها لتفريعه البحث
الذي جوده وهو ما نصه البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل ما يبين الحق فهي اعم من البينة في اصطلاح
الفقهاء حيث خصوها بالشاهدين والشاهد واليمين الى ان قال فقول النبي صلى الله عليه وسلم للمدعي ألك بينة وقول عمر
البينة على المدعي المراد به ما يبين الحق من شهود او دلالة الخ فقصد الشيخ من هذا الكلام مجرد البحث في لفظ البينة
من اللغة لا لانه يحكم به في باب القضاء وذكرها شارح القاموس ايضا بلفظه والبينة دلالة واضحة عقلية
كانت او محسوسة وسميت شهادة الشاهدين بينة لقوله صلى الله عليه وسلم «البينة على المدعي» الى ان قال وزن المحصول البينة
الحجة الواضحة وقد علم ان تسمية الشهادة بينة لقوله عليه السلام لا لانها اصطلاح الفقهاء كما قال ابن القيم سابقا فكما
ان الحكم بغير الشاهدين مما يبين الحق ليس منفيا في القرآن على قوله فكذلك الحكم بكل ما يبين الحق ليس بنافيه هذا وما
كتبه اخيرا بانه سيؤلف جمع علمي في الأستانة بضم من علماء المذاهب الاربعة ورأسهم لتأليف مجلة عملا بالفروع الى ان قال
وبلغنا ان مرادها ستستمد من فقه المذاهب المعتبرة المشهورة ان كان حقا ما ذكر فجزى الله تلك المجلة وان كان استمدادها
من الآراء الوضعية والقواعد الجعلية فالنقاد موجودة والاقلام لذلك مرصودة هذا ما حضرني وفوق كل ذي علم عليم

[illegible]
محمد القاسمي

نموذج آخر من خط الشيخ محمد القاسمي.

الشيخ أحمد القاسمي

(١٣١٥ ـ ١٤١٤هـ)

هو الشيخ أحمد بن محمد القاسمي، الشَّافعي ثُمَّ الحنفي.

وُلد في غرة محرم سنة (١٣١٥هـ) في حيٍّ باب الجابية بمحلة قصر الحجَّاج بن عبد الملك، ونشأ في رعاية والده الشيخ محمَّد القاسمي، وحفظ على والده «ألفيَّة ابن مالك»، و «متن الزُّبد» في فقه الشافعيَّة، وقرأ عليه «الغاية والتَّقريب» و «شرح القطر» في النَّحو.

درس في المرحلة الأولى في مدرسة ابتدائيَّة بجامع السِّيبائية، ثُمَّ التحق بـ «مكتب عنبر» ودرس فيه المرحلتين الإعداديَّة والثَّانويَّة، وانتسب إلى الكليَّة الصَّلاحية بالقدس التي افتتحتها الدولة العثمانيَّة في أوَّل الحرب العالميَّة الأولى، وحصل على شهادتها سنة (١٣٣٤هـ)، وبعد وفاة والده لازم الشيخ المفتي عطاء الله الكسم، وقرأ عليه «حاشية ابن عابدين» في الفقه الحنفي، وفي أصول الفقه والعربيَّة أكثر من خمسة عشر عامًا، وقد أجازه إجازة عامَّة بعد ملازمته له الملازمة التَّامَّة.

وقرأ على العلاَّمة المتفنِّن الشيخ عبد القادر بن بدران الدِّمشقي في مدرسة عبد الله باشا العظم النَّحو والصَّرف والبلاغة، والبيان والمنطق،

والأدب، فإنه واظب عنده مدَّة ثماني سنوات حيث كان يحضر عنده في الأسبوع ثلاث مرات.

وحضر عند الشيخ محمد بدر الدِّين الحسني دروسه العامَّة، وقرأ عنده في بيته «صحيح مسلم» و «مسند الإمام أحمد»، وقد أجازه إجازة عامَّةً سنة (١٣٥٥هـ).

وقد كان للشيخ أحمد ولع بحسن الخط منذ بداية دراسته الابتدائية فأخذ الخط عند الخطاط الأُستاذ حسين البغجاتي خلال عشر سنوات أتقن فيها قواعد الخط الثلث والفارسي والنسخ والدِّيواني، وبعد هذه المدَّة المديدة أجازه بذلك.

كما أخذ عن الخطَّاط التركي الشَّهير حينما كان في دمشق وهو يوسف رسا أفندي، ودرَّس هذه الخطوط في كثير من المدارس الأهليَّة بعد دوامه الوظيفي.

ولمَّا تخرَّج من الكليَّة الصلاحيَّة طُلب إلى الجنديَّة كضابط احتياط ثُمَّ ترفّع إلى رتبة ملازم، وبعد خروج الأتراك من سوريا أنهى وضعه العسكريّ وانتسب إلى المعارف معلمًا من الدَّرجة الأولى، وكان يتقاضى ستّ ليرات ذهبيَّة. ومن زملائه بالمعارف الشيخ بهجة البيطار.

وكان والده قد قال له قبل موته بيوم ــ وقد نظر إلى مسجد حسان بعد أن حوَّله الأتراك إلى خراب ــ: يا بني برضاي عليك عمِّر هذا المسجد.

وبعد موت والده انشغل بالعلم والسفر وأمور التعليم فأهمل أمر المسجد، فصادف مرةً في الطَّريق الشيخ علي الدّقر وهو أجل تلامذة

والده، وكان متقدِّمًا عليه سنًّا وعلمًا، فقال له الشيخ علي: يا أحمد أنا حزين منك، رأيت أباك في المنام، وقال لي: أما قلت لابني أحمد أن يعمِّر المسجد؟ قل له: يعمِّر المسجد. فقال للشيخ علي: نعم يا سيِّدي. ثُمَّ سعى لترميم المسجد، فرممه وجدّده وأمّ وخطب فيه وترك التَّدريس بالمعارف، وبقي في مسجد حسَّان ثلاثًا وستين سنَّة.

وقدَّر الله له التوظف بالأوقاف فبقي فيها أربعين سنة ابتدأ فيها كاتبًا، وقد نظَّم السِّجلات الوقفيَّة وعرَّبها عن التركيَّة، وخطَّ جداولها، ثُمَّ رئيسًا للديوان، ثُمَّ أمين سر المجلس الإسلامي الأعلى بالشام ـ ثُمَّ وكيل رئيس ديوان الأوقاف فرئيسًا للديوان ـ فوكيل مدير ثُمَّ مديرًا لأوقاف دمشق، ثُمَّ مديرًا لأوقاف حلب، وأخيرًا مديرًا عامًا للأوقاف الإسلامية في سوريا في زمن لم تكن فيه وزارة ولا وزير.

وعندما أُحيل على التقاعد سنة (١٣٧٧هـ) أقام له حفلة عشاء رئيس الجمهوريَّة شكري القوتلي تكريمًا له ولجهوده في خدمة الأوقاف بنزاهة واستقامة وأمانة، حضرها الوزراء والأعيان، ومنحه وسام الاستحقاق السُّوري الأوَّل، وبعدها لزم بيته للعبادة والمطالعة، وتلاوة القرآن الكريم، ومراجعة الكتب الفقهية والتفسير.

وقد بارك الله في عمره، فعُمِّر نحو المائة إلاَّ قليلاً ممتعًا بعقله وحواسه وذاكرته.

ويقول الشيخ محمد أديب الحصني حينما ترجم لوالده: «وقد ترك لنا ولدًا نجيبًا أديبًا، حسن السِّيرة والسَّريرة اسمه أحمد أفندي رئيس ديوان الأوقاف، المتعلِّم كثيرًا من اللُّغات».

ويقول الشيخ محمَّد العربيّ العزوزي، أمين فتوى لبنان حينما ذكر لقاءه بعلماء دمشق: «ومنهم الأديب الأستاذ السيد أحمد القاسمي، مدير الأوقاف بدمشق الشَّام، بيتهم بيت علم وفضل، يكفيهم فخرًا العلاَّمة الكبير الأستاذ الشَّهير السَّيِّد جمال الدِّين القاسمي ذو المؤلَّفات العظيمة المفيدة في كل علم وفن رحمه الله تعالى، عاشرت الأستاذ أحمد المذكور سنين فألفيته أهلاً لكل فضيلة مع كرم، وحُسْن أخلاق، نهض بالأوقاف الإسلامية ونمَّى ماليتها، وأحسن جبايتها، وعَمَّرَ مساجدها، وزاد في رواتب موظفيها، ولا أحد يجحد ذلك إلاَّ من كان مُكابرًا مُعاندًا. أدامه الله، آمين».

ويقول تلميذه الشيخ معتز السبيني:

«كان عالمًا عاقلاً مشاركًا في الفنون والفضائل، يحفظ من الطرائف والغرائب، والأدبيات والأشعار والفوائد الشيء الكثير مع روح خفيفة، وتواضع جم، وكان ينظم الشعر، ويُجيد التركية والفارسيَّة والإنكليزيَّة والفرنسيَّة والألمانيَّة، مع البراعة الفائقة في الخط والإنشاء، والاستحضار للفقه الحنفي الذي كان يعزو فضله إلى الشيخ عطا الكسم.

وبالجملة فهو أحد أذكياء بني آدم في هذا العصر، ولولا الوظائف لكان له شأن كبير في العلم، وكان تاريخًا متنقلاً؛ يحفظ وقائع العصر وأحداثه ورجاله، ويُعطي كلاً حقه، وكان ناقدًا لا تنطلي عليه الخُرافات والشطحات.

كانت له بديهة عجيبة ونظرة لا تخيب في الأمور، وقد أُجيز من مشايخه مشافهةً وخطًا، وروى بعض المُسلسلات». اهـ.

مـن تلاميـذه:

الشيـخ محمَّـد صـالـح الخطيـب، والشيـخ عبـد الـرَّزاق الحلبـي، والشيخ محمَّد معتزّ السبيني، وقد أجاز لهم.

توفي الشيخ أحمد رحمه الله تعالى في يوم السبت في الثاني عشر من صفر سنة (١٤١٤هـ) كما رأيت ذلك على لوحة قبره، وصُلي عليه عصر يوم الأحد في جامع لالا باشا، ودُفِنَ في مقبرة الباب الصغير.

وخلّـف مـن الأولاد: محمـد كمـال الـدِّيـن، ومـاجـد، وصـالـح، وحامد، وثلاث بنات.

مصـادر ترجمتـه:

١ ــ «منتخبات التواريخ» (٢/ ٧٩٥).

٢ ــ «إتحاف ذوي العناية» لمحمَّد العربـيّ العزوزي (ص ٦٠).

٣ ــ «من هو في سورية» (ص ٥٩٤).

٤ ــ تـرجمـة خطيَّة بقلـم الشيـخ محمَّـد معتـز بـن عـز الـدِّيـن السبينـي الدِّمشقي.

٥ ــ ترجمة بقلم الشيخ عمر بن موفق النشوقاتي الدِّمشقي.

٦ ــ لقاء مع ابن عمه الشيخ محمَّد بن عبد الغني القاسمي.

*   *   *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على متواتر آلائه، والشكر على مسلسل نعمائه، وأفضل الصلوات وأتم التسليمات على المرفوع سنده بين المخلوقات،
وعلى آله المشهورة أخبارهم، وأصحابه المستفيضة آثارهم. أما بعد، فإن الإسناد من الدين، والآخذ به
متمسك بالحبل المتين، فمن ثم عكف أهل العلم عليه، وتوجهت مطايا هممهم إليه؛
ولما كان منهم العالم الفاضل والأديب الكامل الشيخ محمد معتز ابن السيد عز الدين السبيني الصالحي الدمشقي [illegible]
أدامه وفقه الله تعالى لإرشاد العباد، وسهل له طريق السداد، طلب من هذا العاجز أن أجيزه بما تجوز لي وعني روايته
وهذا حسن ظن بي، فإني لست أهلاً لأن أجاز فضلاً عن كوني مجيزاً،
فأقول: مستعيناً بالله تعالى قد أجزت الفاضل المشار إليه بما تجوز لي وعني روايته من حديث الرحمة
المسلسل بالأولية، وصحيحي البخاري ومسلم وبقية الكتب الستة كما أجازني شيخي بل شيخ أهل زمانه على
الإطلاق العلامة الكبير سيدي الشيخ محمد عطا الله الكسم المفتي العام للجمهورية العربية السورية، فإني
ولله الحمد لازمته الملازمة التامة، وتلقيت منه بالقراءة والإجازة العامة التي شرفني بمنحها والموقعة بتوقيعه
وخاتمه الخاص بتاريخ غرة شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية ١٣٥٤.
وقد أخذ سيدي الأستاذ المومى إليه ذلك عن العلامة الكبير شيخ أهل الشام بعصره الشيخ سليم العطار وهو
أخذ عن جده علامة وقته الشيخ حامد العطار وهو يروي عن والده الشهاب أحمد العطار وهو يروي عن الشيخ محمد الغرب
الشافعي وهو يروي عن الشيخ محمد بن أحمد العجلي القاهري وهو يروي عن الشيخ محمد بن أحمد الشوبري وهو يروي عن الشمس محمد
الرملي وهو يروي عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري وهو يروي عن الحافظ ابن حجر بن أحمد العسقلاني وأسانيد
الحافظ كثيرة أعلاها عن أبي إسحاق التنوخي عن المسند المعمر أبي العباس أحمد بن أبي طالب الصالحي عن سراج الدين أبي
عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدي عن أبي الوقت عبد الأول عيسى السجزي عن أبي الحسن عبد الرحمن الداودي عن
أبي محمد عبد الله السرخسي عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
الجعفي. وأعلاها في البخاري الثلاثيات التي أولها (من يقل عني ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)
وكما أجازني بمثل ذلك علامة العصر المحدث الأكبر سيدي الشيخ محمد بدر الدين الحسني، بإجازته الموقعة بتوقيعه
وخاتمه الخاص بتاريخ شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية، إجازة بالمعقول والمنقول، من فروع وأصول
والأحاديث الشريفة التي اشتملت عليها الجوامع والمسانيد كما أجازه فضلاء العصر الذين أولهم العلامة الشيخ إبراهيم السقا وآخرهم الشيخ أبي [illegible]
ابن [illegible] عن محمد بن يوسف الفربري عن جامعه الإمام البخاري. ويروي صحيح مسلم عن العلماء المذكورين [illegible] السقا
وآخرهم الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله [illegible] النيسابوري عن الإمام مسلم. وأوصي المجاز بما أوصي به نفسي من تقوى الله في السر
والعلن وأن لا ينساني من صالح دعواته. والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات وعلى آله وصحبه أجمعين

[illegible]

كتبه الفقير إليه تعالى [illegible]
أحمد القاسمي

صورة إجازة الشيخ أحمد بن محمد القاسمي لتلميذه الشيخ
محمَّد معتزّ السبيني الدِّمشقي وهي بخط الشيخ أحمد في أُخريات عمره،
وهو كما ترى خط جميل مشرق، فرحمة الله على هذه الأنامل الذهبيّة، آمين.

الشيخ عبد الغني

(١٢٨١ ــ ١٣٧٢هـ)

قال الشيخ جمال الدِّين القاسمي: «وأما عمِّي الثَّالث عبد الغني أفندي فإنَّه وُلد في شعبان سنة (١٢٨١هـ)، وتربَّى في حجر والدته كأخويه السَّابقين، وأخذ عن بعض المشايخ المتقدِّمين (يعني بعض شيوخ أخيه الشيخ محمد القاسمي كالشيخ عمر العطَّار، والشيخ بكري العطَّار، والشيخ محمد الخاني)، ثُمَّ في سنة (١٣٠٣هـ) توجَّه إلى الآستانة، وسعى في إمامة طابور فغبَّ أداء الامتحان هناك وُجِّهت عليه إمامة طابور، وهو الآن إمام في الشَّام في دائرة الاستحكام وفَّقنا الله تعالى وإيَّاه لما يرضاه، آمين». اهـ.

وأخبرني ابنه الشيخ محمد القاسمي أنَّه عمل في إمامة الطَّابور في الجيش العثماني نحو تسع سنوات. وذكر أنَّ من مشايخه آل العطار وآل الخطيب.

وقال: كان مُربِّيًا مؤدِّبًا، حازمًا، لا يخاف في الله لومة لائم، يجمع بين مُنتهى الحنان والرَّحمة والشدَّة والقسوة حين الحاجة إلى ذلك.

وقال ابن أخيه الشيخ أحمد القاسمي: «كان مفتي آلاي، أي كان

إمامًا في الجيش التركي، وكان من أهل العلم وحفظة القرآن».

وتوفِّي عن ولدين وهما: منير، وقد توفِّي عقيمًا.

والشيخ محمد ــ وستأتي ترجمته إن شاء الله بعد قليل ــ، كما ترك عدَّة بنات.

توفي الشيخ عبد الغني كما أخبرني ابنه الشيخ محمد سنة (١٣٧٢هـ).

مصادر ترجمته:

١ ــ ورقة من مسودَّات «تعطير المشام» للشيخ جمال الدين القاسمي.

٢ ــ لقاء مع ابنه الشيخ محمد.

٣ ــ ثلاث ورقات عن نسب آل القاسمي بقلم الشيخ أحمد القاسمي.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعد يا ولدنا محمد الباقر كن أميناً ولا تخف ولا
تقنط وابشر ولا يخذلك الله أبداً لأنك مرضي
الوالدين وتصل الرحم وتصدق بحديثك وتحترم
الضيف وتحب أن تعين كل إنسان على نوائب
الحق نسأل الله عز وجل أن يفتح عليك فتوح
العارفين بالله ويجعلك من العلماء العاملين
إن شاء الله تعالى ومن الموفقين فيما يرضي
الله ويجعل الله كلمتك العليا على من عادى
فإن الله مع المنكسرة قلوبهم ومن يتق الله
يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب إن
الله على كل شيء قدير وبالإجابة جدير. نعلم

عبد الغني القاسمي

كتبه قبل وفاته بثلاثة أيام ١-٢-١٩٥٢
رحمه الله ورضي عنه

نموذج من خط الشيخ عبد الغني القاسمي،

وقد كتبه بخطه قبل وفاته بثلاثة أيام.

الشيخ محمد بن عبد الغني القاسمي

وُلد الشيخ محمد سنة (١٣٤١هـ)، واعتنى به والده فأدخله في المدارس الشرعيَّة حيث إنه أخذ عن أجلَّة من علماء دمشق كالعلاَّمة سليم الجندي، والشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ ياسين القطب في الفقه الشَّافعي، والشيخ محمود ياسين في الحديث، والشيخ عبد الحميد القنواتي وغيرهم.

ثُمَّ رحل إلى القاهرة وتخرَّج من كلِّيَّة الشَّريعة في الأزهر في سنتين، ثُمَّ تخصَّص في القضاء، وأخذه في سنة واحدة ثُمَّ عاد إلى بلده دمشق ودرَّس في بعض الثانويَّات فيها وفي اللاَّذقيَّة ثُمَّ طرطوس، وقدِم إلى مكَّة المكرَّمة سنة (١٣٧٣هـ)، ثُمَّ عاد بعدها إلى دمشق، وفي سنة (١٣٨٤هـ) عاد إلى مكَّة المكرَّمة، حيث درَّس في أواخر هذه السنة في كلِّيَّة الشَّريعة إلى سنة (١٤٠٧هـ) حيث بلغ سن التَّقاعد.

وفي سنة (١٤٠٨هـ) فتح مكتب محامٍ شرعي في مكَّة المكرَّمة.

لم يعتنِ الشيخ محمد القاسمي حفظه الله بالتَّأليف، وإنَّما اعتنى بالتَّدريس والتَّوجيه للطلاَّب، وقد رحل عدَّة رحلات إلى أوروبا وإستنبول

وأفريقيا وغيرها، وذلك من قبل الجامعة ورابطة العالم الإسلامي، إرشادًا للطلاَّب وتدريبًا للأئمَّة وخطباء المساجد.

ألَّف الشيخ محمد القاسمي كتابًا بعنوان: «الإسلام كما فهمت»، وقد قدَّم له العلاَّمة الأديب علي الطَّنطاوي، وكان ممَّا قال في هذه المقدّمة:

«وأنا أعرف الأستاذ القاسمي من أيَّام طلبه العلم، وصحبته أو صحبني ــ والنتيجة واحدة ــ أكثر من ربع قرن بعد ذلك، فوجدت فيه من المزايا الخلقيَّة والمزايا الفكريَّة، ما أسجِّل بعضه في هذه المقدّمة.

فهو مؤمن حقًّا، يحمل راضيًا ما يوجبه عليه إيمانه، وأكثرنا اليوم يفرّ من حمل أعباء الواجبات.

وهو من أوفى الناس لإخوانه وخلاَّنه، صادق اللَّهجة متين الخلق، بعيد عمَّا يشين كرام الرِّجال.

وهو ذو فكر جوَّال مبتكر، يعرض المسألة المعقَّدة، بأسلوب مفهوم، ومثال واقعي، فيفهمها منه العامِّي، ويرضى عن طريقته في عرضها العالم، وأكثر ما يظهر ذلك منه، إذا أثير في المناقشة، أو كان مع الطلاَّب في الصَّفِّ.

والأستاذ القاسمي داعية موفَّق، وأستاذ ناجح يمتلك قلوب طلاَّبه، فتراه في درسه والأنظار متعلقة به، والأسماع مائلة إليه، وما كل مدرِّس يمتلك قلوب الطلاَّب.

يناقشونه فيناقشهم، يسايرهم ويمشي معهم ليجرّهم إليه، يلين لهم

القول ولكن يشدِّد عليهم البرهان، ويسدّ عليهم الطريق، فهو كمن يصافح باسمًا مسلِّمًا، ولكن بقبضة تكسر أصابع الخصم المعاند»[1].

هذا، وللشيخ محمد القاسمي تسعة من الأولاد الذكور أكبرهم الدكتور عبد الغني، وسبع إناث بارك الله له في ذريَّته وأهله وحفظه ونفع به، آمين[2].

* * *

(١) مقدمة كتاب «الإسلام كما فهمت» (ص ٩، ١٠).

(٢) لقاء مع الشيخ محمد بن عبد الغني القاسمي في مكتبه بمكَّة المكرَّمة في جمادى الأولى سنة (١٤١٩هـ).

- ٢ -

قال: وهل ترضى أن تجردني من الإسلام وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟

قلت: وهل تريد أن تعطي المواطنين حقوقهم، ليؤدوا واجباتهم، بلا إكراههم ولا إجبارهم، وهم راضين آمنين؟

قال: نعم

قلت: فهل تفرض على الذين يكرهون الجهاد في سبيل الله ودفاعاً عن الإسلام، وهم لا يدينون بدينك ولا يقبلون الدفاع عما لا يعتقدون؟

قال: إذن كنت مستعبداً لهم وهم أحرار.

قلت: وهل تصلي على أموات منهم؟ أو تدفنهم في مقابر المسلمين؟

قال: لا أفعل ذلك، وقد علمت عدم رضاه.

ثم أمرت الطالبين بالدخول إلى مكانيهما وسألت الجميع: هل تجدون بعد هذا في الإسلام جوراً على أحد؟

قال الجميع: لا، وحقاً إنه عدل.

وهنا ساد الفصل صمت رهيب، وقرأت أشارات العزة بالإسلام في وجوه المسلمين، والميل إلى الإسلام في وجوه بعض النصارى، وبعض النصارى الآخرين ترى الحقد الأسود يجري في عيونهم، والغيظ يغلي في قلوبهم، ولم أعلم بعد هل ماتوا بغيظهم، أم اتخذوا لأنفسهم طريق الكيد للإسلام والمسلمين؟

نموذج من خط الشيخ محمد بن عبد الغني القاسمي حفظه الله ورعاه.

بيت القصيد

في ترجمة

الإمام الوالد السعيد

تأليف

العلامة محمد جمال الدين القاسمي

(١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ)

بيت القصيد في ترجمة الوالد الإمام
الوالد السعيد جمع ابنه
الفقير محمد جمال الدين
القاسمي
عفي
عنه

وقف الفقير محمد جمال الدين القاسمي على اولاده واولادهم ثم على قرابته
من بعدهم ثم على طلبة العلم في سنة ١٣١٩



طرّة عنوان ترجمة الشيخ جمال الدّين القاسمي لولده

بسم اللّٰه الرّحمن الرحيم

حمدًا لمن أبقى للفُضلاءِ بمآثِرهم ذكْرًا، وأجرى لهم بأَبنائِهم عملاً مَوْصولاً وبرًّا، وأحيا اسمهم بالقائمين من بعدِهِم، السَّادين ثلمة فَقْدِهِم، فهم في حُكْمِ الخَالدين، وإن أصبحوا فانين، والمقيمين في أهليهم؛ وإن أمسوا بالعراء ثاوين، وصلاةً وسلامًا على سَيِّدنا محمَّد خاتم النَّبيين، الذي كان برعاية حقوق الآباء أفضلَ المُرْشدين، وعلى آله وصحبه الكرام، وتابعيهم بإحسانٍ على الدَّوام، ما أولى كريمٌ من معهودِ البِرِّ ومأْلوفه، وما قصرت الأعداد عن مِيئه وَأُلوفه.

أمـا بـعـد:

فإن شُكْرَ المُنْعِمِ يُفرضُ ويُحتمُ، ويُبْدأُ بالتنويه بشأنه ويختمُ، لا سيما إذا كان المُنْعِمُ أبًا عَطوفًا، بارًّا رؤوفًا، فَيَتأكدُ القيامُ بِشُكْرِ أياديه البيض، ونَشْرِ مطوي عبيرِ خَيْرِهِ المُستفيضِ، كسيِّدي الوالد الإمام، بَهْجَةِ الفُضلاء الأعلامِ، فإن نِعَمَه قد أثقلت ظَهْري، وملأَتْ صَدْري، وورَّى بها زَنْدي، وعلا معها جدي، فَلَعَمْرُ البِر إن حقوق فواضله لكثيرة، وممن عوارفه التي قلَّد بها جِيدي غزيرة، لا أستطيع لها حصرًا، ولا أقْدِر أن أحصيها سَبْرًا، تتابعت تتابُعَ القَطْرِ على البَلَدِ القفْرِ، وترادفت ترادفَ الغِنى إلى ذي الفَقْر.

فكم غذَّاني بعوارف معارفه الحسان، وأذاقني من حلاوة آدابه ما تجهد فيه يد الإمكان، وكفلني وأهلي وأولادي، وبذل قُصارى اجتهاده في إمـدادي وإسْعـادي، إلـى أن أزْعَجَنـا أفـولُ نجمِـهِ، وذُبـول غُصْـن علمِـهِ، فأدهشنا حادثه بروعتِهِ، وأَحْرقنا بلوعتِهِ، وأثخننا بصدمتِهِ، وَأَوْهننا بفُجأتِهِ، فوا أسفىٰ على ما طوته الأيَّام عنَّا من الاستمتاع بحياته، ونشرته صروفها علينا من الارتياع بوفاته، ولله ما أَغْوَص الموت على حبَّات القلوب، وأعرفه بمودعات الصُّدور، وأخلَصَهُ إلى مَكامِنِ الرُّوحِ، وألقطه لأناسيِّ العيون، فإنَّا للَّـهِ وَأنَّا إليه راجعون.

ولكن القضاء غالبٌ، والدَّهر مُعْطٍ وسالِبٌ، يكرّ إذا فَجَعَ بالذَّخائر، ولا غَرْوَ إذا استأثر بالأخائِر، فصبرًا لحكم من سَوَّى بين البَريةِ، في ورودِ حَوْض المنيَّةِ.

وإذا كـان سيِّـدي الـوالـدُ المِفْضـال، فـي حُسْـنِ رعـايتـه علـى ذلـك المنوال، فأنّى للحقير أن يُؤدي شُكْرَ سيِّده المفضل عليه، والموصل بحنانه كل خَيْرٍ ومعروفٍ إليه، وأي ابن حَظِي لدى أبيه بما حظيتُ، أو رُبِّـيَ كما رُبِّيْت، أو رَقىٰ على يده كما رقيت، ولا يعلم أني مقصرٌ في وفاءِ حَقِّ الثَّناءِ، وأداء واجب الرِّثاء، فالعينُ بصيرةٌ، ويَدُ اليَراعة عن تدارك الواجبِ قصيرةٌ، فأسألُك اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسمٍ هو لكَ سَمَّيت به نفسكَ أو أَنْزلتَهُ في كِتابِكَ أو علمته أحدًا مِنْ خَلْقِكَ أو استأثرت به في علمِ الغيْبِ عِنْدكَ أن تُحِلَّهُ في الفردوسِ الأَعلىٰ، وأن تجعله مع النَّبيينَ والصِّديقين والشُّهداءِ والصَّالحين في المقامِ الكريم الأَجْلى، رَبِّ اغفر لي ولوالدي: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝٢٤﴾ [الإسراء: ٢٤]، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقد رأيت أن أقومَ من خدمَةِ مقامهِ ببعضِ الواجبات وذلك بجمع شذرةٍ مما له من المنظومات في سِفْرٍ فَرِيدٍ، أُسميه: «بَيْتُ القَصِيْدِ في تَرْجَمَةِ[1] الإمامِ الوالِدِ السَّعِيدِ» مُرتَّبًا علىٰ حروف التَّهجي ما عثَرْتُ منها عليه، ومُذيِّلاً من رجزياته بما وصلت يدي إليه، مُقدِّمًا بين يدي ذلك شذرةً من ترجمتِهِ الجليلةِ، وأحوالِهِ الفائقةِ الجميلةِ، فأقول:

هـو نُخْبـةُ الفُضـلاءِ، وزَهْـرَةُ الأُدبـاء، الشيـخ السَّيـد محمَّـد سعيـد أبو الخَيْر القاسميّ ابنُ عُمْدةِ العلماء الأَعلام، وقدوةُ أكابِرِ صُلحاء الشَّامِ، الطَّائِرُ حديثُ فضله في الآفاقِ، العلاَّمة الشيخ قاسم بن الشيخ صالح بن الشيخ إسماعيل بن أبـي بكر الشهير بالحلاَّق، الدِّمشقي الشَّافعيّ.

وُلِدَ هذا الشَّهم الهُمام، في دمشق الشَّام، في أوائل مُحرم الحرام، عام تسعةٍ وخمسين ومائتين وألف ١٢٥٩.

ونشأ في حِجْرِ والده مشمولاً بأنظاره الإكسيريَّة، ومحفوفًا بآدابه وأخلاقِهِ المرضيَّة، وشرعَ في حفظ الكتابِ المُبين، وهو دونَ السَّبْعِ، على الحُفَّاظ البارعين، وحَضَرَ دروس والده كلها في الفنون العربيَّة، والعلوم الشَّرعيَّة، وعَكَفَ عليه في حياته، وأعاد له درسه العام في جامع السِّنانيَّة

(١) شطب العلاَّمة الشيخ جمال الدِّين على كلمة: «ديوان» في هذا الموضع وجعل بدلاً منها كلمة: «ترجمة» كما فعل ذلك على طرة الكتاب؛ والسبب في ذلك أنه كان قد جمع ما تفرق من شعر والده، فلمَّا توفي رحمه الله تعالى كتب له هذه الترجمة بالإضافة إلى ما جمعه من شعره.

بين العشاءين، ولازم خدمته وأقام على مرضاته، ورعاية الأدب معه بما لم يسمع بمثله، حتى كان لا يرفع طرفه بحضرته، إلاَّ وقت محادثته، وكان بسبب ذلك يمنحه الجد وذريَّته دعواته الصَّالحة، وتوجهاته القلبيَّة النَّاجحة، التي ظهر أثرها وبركتها بحمد الله تعالى عليه وعلى سُلالتِهِ.

وَأَقَرَّ المولى به عين أبيه، وكافة أهله ومُحبيه، فاقتفى أَثَرَ أبيه واقتدى، وراحَ في حليةِ الفَضْل واغتدى، حتَّى نَبُلَ وشَدَا، وبَلَغَ في المعارف المدى، فأشرقت في سماءِ العِلوم أنواره، ونَفحت في رياضِ الأدبِ نوَّاره، فَنَسَجَ القَرِيضَ على أبدعِ منوال، وألبسه بفصاحتِهِ حُلَّة الكمال، فحاول رقيقه وجزلَهُ، وأجاد جِدَّهُ وأحكم هزلَهُ، يقضي فيه حقَّ البيان، ويملكُ رق الحسن والإحسان، راضيًا بعفو الطَّبْعِ، وما يخف على السَّمْعِ، وقد أكثر من ابتكار النَّوادرِ، وتلطفَ في المجونِ بِكُلِّ معنًى نادرٍ، يترقرق فيه ماءُ الطَّبْعِ، ويرتفعُ له حجاب القلبِ والسَّمْعِ، فلا ريب أن أخذ بِرقابِ القوافي، وورد منها المنهل الصَّافي، مع ذكاءٍ يكاد يُدْرِكُ ما لا يُدْرَكُ برويّةٍ وفطنة، كأن بها من الوحي بقيَّة، وطبع أَرقَّ من الرَّاحِ، ولفظٍ إليه القلب يرتاح.

ولما توفي والده سيِّدي الجدّ عام أربعة وثمانين ومائتين وألف قام مقامه في إمامة جامع السِّنانيَّةِ، وإحياء دروسه الليليَّة والنَّهاريةِ، فأفاد الجليس، ونَثَرَ الدُّرَّ النفيس، وانتفع بعلومه وآدابه الكثير من طلبة العلوم، بما يخلد لَهُ جميلَ الذِّكْرِ المَرْقوم، وقد شهد لجنابِهِ الخاصّ والعامّ بالفضل والذَّكاءِ، وكمالِ القريحة، ورقَّة الحاشية، ولين الطَّبْعِ، حتى كان الأُدباء يسعون لسماع خِطابِهِ، والتَّلَذُّذِ بِكُلّ ما يبديه من بديع الفوائد ولبابه، وخطب بعد والده الجليل بجامعِ حَسَّان ما ينيف على العشرين

عامًا، ثُمَّ تنازل عنها لأخيه لأبيه عمي العالم الفاضل الشيخ مُحمَّدِ القاسمي حرس المولى وجوده.

وله أخذٌ وسماعٌ وتحصيلٌ، عن غير والده الجليل، من أساتذة محققين، وأفاضل كاملين، منهم: الشيخ محمد الطَّنْطاوي، والشيخ سليم العطَّار، والشيخ محمد المُنير، والشيخ عمر العطَّار، والشيخ سعيد الأزهري النَّابلسي البصير لما أقام بدمشق نحو عام، وغيرهم جزاهُمُ الله دار السَّلام.

وفي سنة إحدى وثلاثمائة وألف ذهب لزيارة بيت المقدس الجليل، واتفق أن دعاه في ذلك العام أحد التُّجارِ الأخيار إلى أداءِ فريضة الحَجِّ ليتبارك برفقته ذهابًا وإيابًا، وكان من مقومة ركبِ الحَجِّ فأجابه، وهيَّأ له داعيهُ المِحْملَ البديع، فذهب من طريق البرِّ، وعاد منه إلى الأوطان بغايةِ البَهاءِ والاحتشامِ.

وكان له إقبالٌ عظيمٌ على شأنِهِ، وانزواء شديد عن أكابر زمانه، هذا والقلوب على مودَّته مُتطابقةٌ، والألسن بالثَّناء عليه ناطقةٌ.

وكان له مهابةٌ في النُّفوس، أمّارًا بالمعروف نهّاءً عن المُنْكَرِ، له حِدّةٌ في الحَقِّ عُمَرِيَّةٌ، وثباتُ جأشٍ، وقوةُ جَنانٍ عليّةٍ، ومع هذا فتواضعه في نفسه واطّراحه مع أصحابه ومجونه معهم أمر يقضى منه العجب، وقد رُزِقَ طلاوة المَنْطِقِ، وطَلاقَةَ اللِّسانِ، وثَبَاتَ الجَنانِ، وحلاوة التَّعبيرِ، وانفرد عن أقرانه في دروسه بفصاحَةِ التَّقرير، وجودةِ التَّحريرِ، فإذا تكلم خَلَبَ الألبابَ، كما إذا كَتَبَ سَحَرَ ببلاغتِهِ الكُتَّاب، وربما بَقي في الكلام على حديثٍ واحدٍ ليالي مُتعدِّدةٍ يبثُ فيها سَبائِكَ المُناسبات، والفوائِد

المُستنبطاتِ، ومكثَ في تدريس «الجامع الصَّغير»[1] بين العشاءين في جامع السِّنانيَّة ست عشرة سنةً، ولقد قال لي مَرَّةً بعضُ الفُضلاءِ يحكي عن والده، وكان يراهُ من كبار الشُّيوخِ أنَّهُ قَرأَ «الجامع الصَّغير» في الجامع الأمويّ في سنتين فَعَجبًا لوالدك كيف قرأه في هذه السنين المذكورة! . وما عرف أصلَحَهُ الله أن ما يتجاذب إليهِ أطرافَ الأحاديثِ الشَّريفةِ مِنَ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ، والآدابِ واللَّطائفِ والمُناسبات ربما استقلت هذه المدة بالنسبة إليها، وفي الحقيقة هذه هِبَةٌ مِنَ الحَقِّ تعالى يهبها لمن يشاء.

وبالجُملةِ فلقد كان سيِّدي الوالد رضي الله عنه آيةً في استحضارِ الشَّواهِدِ، وتقريرِ الأَحْكامِ وسَبْكِها المُبْهِجِ في مجالسهِ الحديثية.

وكان حريصًا على مُطالعة الكُتُبِ، وجمعِ الفوائِدِ، مُلازمًا لبيته لا يخرج إلاَّ لصَلاةِ الجماعَةِ أو لمأرب صالحٍ، هذا عدا عن الصَّلاح الغَضِّ، والوفاءِ المَحْضِ، وما امتاز به من حُسْنِ السَّجايا، ولينِ العَريكَةِ، وكَرَمِ المَزايا.

وكان له رضي الله عنه في دعائِهِ أكبرُ خُضوعٍ، وفي صلاتِهِ خُشوعٌ، وأيُّ خُشوعٍ، وكان حَسَنَ الظَّن بمولاه، متينَ اليَقين، غزيرَ الدَّمْعَة عند ذكره الرقائق، وتقصيرَ النَّفْسِ.

وقد مَدَحَه كثيرٌ من الأُدباء في قصائد غرّاء فمن ذلك مزدوجة المولى الفاضل، والأديب الكامل، الشيخ مُصطفى أفندي نجا مفتي بيروت، أبان فيها بعض فضائله ولطائفه، وسنوردها بتمامها إن شاء الله تعالى بهذا

(١) لجلال الدِّين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ).

المجموع[١]، ومن ذلك للأديب الفاضل حسين أفندي الحبال البيروتي مُطرِّزًا (مولاي سعيد) هذه الأبيات:

(م) مَنازِلَهُم بالشَّامِ بين الجَداولِ	سَقَاكِ وحَيَّاكِ الحَيا من منازلِ
(و) ولا بَرَحَت تِلك الرِّياض حَمائِمٌ	تهيجُ إذا تُبْدي الهَديلَ بَلابلي
(ل) لَها مِثْلُ نَوْحِي غير أني بأدمع	تسيلُ ومنها الدَّمْعُ لَيْسَ بسائِلِ
(ا) إليكَ حمام الأَيْكِ مني رسالَةً	توصلُها نحو الحبيبِ المواصلِ
(ي) يمـدُّ لهـا كفًـا أَوَدُّ بـأنني	أفـوزُ بمَـرْآهـا ولَثْـم الأنـامـلِ
(س) سليلُ كرامِ فاقَ قِسًّا فصاحةً	وجَرَّ على سَحْبانَ ذيلَ الفضائلِ
(ع) علا منْبرًا لو كان يعلمُ ما انْبَرَى	عليه لأبدَى الفخر في زيٍّ باسلِ
(ي) يَؤُمُّ الوَرَى في جامع فيه للوَرَى	صـلاةٌ وتسبيـحٌ وتنبيـهُ غـافـلِ
(د) دعـوْهُ سعيـدًا والسعـادةُ ذاتُـهُ	ولا زال بَـدْرًا سَعْـدُهُ غَيْـرُ آفـلِ

وقد جَمَعَ ـ أعلى المولى مَقَامَهُ ـ مُصَنَّفاتٍ أدبيةً، ومجموعاتٍ بهيَّةً، منها: «بَدائِعُ الغرَفِ، في الصِّناعاتِ والحِرَفِ»، لَمْ يَنْسجْ فَاضِلٌ على مِنْوالِهِ، ولا ازدانت صُحُف الصِّناعَةِ بِسِفْرٍ على مثالِهِ، أوضح فيه الصِّناعاتِ الشَّاميَّة، على الحروفِ الهجائية، فغدا كالقاموسِ المُحيط لِمُفْرداتها، والضَّالة المَنْشُودَةِ المُتَوَشِّحَةِ بلآلي تحريراتها، بَيْدَ أَنَّهُ وَصَلَ إلى مُنتهى حرف السين، وحالت المنون دون إتمامه على نهجِهِ المُبين[٢].

---

(١) أوردها في «ديوانه» (ص ٥٣ ـ ٦٧).

(٢) طبع هذا الكتاب مع تتمته للشيخ جمال الدِّين وصهره خليل العظم بعناية حفيده ظافر القاسمي كما سبق الإشارة إلى ذلك (ص ١٥٨).
يقول الأُستاذ ظافر القاسمي في تقديمه له:
أما كتابنا هذا، فلم يعرف مثله في موضوعه، كما أشار مؤلفه في مقدمته حيث قال: =

ومن تآليفه البهيَّة: «تَنْقيحُ الحَوادث اليَوميَّةِ»[1]، الواقعةِ في دمشق المحميَّة، التي جَمَعَهَا الشيخ أحمد البُديري الشهير بالحلَّاق.

ومن تصانيفِهِ الفائقة: كتاب «الثَّغْرِ البَاسم، في ترجمة والده سيِّدي الجدّ العلَّامة الشيخ قاسم»[2]. ومنها: «سفينة الفَرَجِ، في ما هَبَّ وَدَبَّ وَدَرَجَ»[3]، على نمط الكشكول، صاغها من سَبائِكِ الفوائِدِ، وَطَرَّزَها بنفائسِ الفَرائِدِ، وهي الجديرة بقولي في تقريظ مجموعة بديعة:

= «فهذه نبذة عجيبة، ونخبة غريبة، ما سنح فكر بمثلها، ولا سمع عصر بشكلها».

حدَّثني الأُستاذ الشيخ حامد التَّقي، وكان تلميذًا خاصًّا لجمال الدِّين القاسمي، لازمه قرابة سبعة عشر عامًا، عن ظروف تأليف هذا الكتاب فقال:

لقد أراد جمال الدِّين القاسمي أن يحمل أباه على التأليف والعمل، فأوحى إليه بأن يضع قاموسًا لصناعات دمشق. فسأل الوالد ولده:

ــ وكيف أبدأ؟ فأجاب الولد:

ــ تستأجر دابة، وتركبها، وتذهب إلى «البوابة» ــ أقصى المدينة من الجنوب ــ وتحمل في جيبك دفترًا وقلمًا. وتنزل عن دابتك، ثُمَّ تسير على جانبـي الطريق، حتَّى تصل إلى شمالي المدينة، وتسجل أسماء الصِّناعات والحرف، ثُمَّ تشرع في دراستها، والبحث عنها، وبهذا يتم كتابك.

قال الأُستاذ التقي: وهكذا كان. إلاَّ أن المنيَّة قد عاجلت محمَّد سعيد القاسمي قبل أن يتم كتابه، وإنما وصل في معجمه إلى حرف السين، وأتمه ولده جمال الدِّين هو وزوج شقيقته، خليل العظم، صهر المؤلف الأول».

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، وذلك في مطبعة لجنة البيان العربـي بالقاهرة سنة (١٩٥٩م).

(٢) سبق الإشارة إلى هذا الكتاب (ص ٢٧).

(٣) لهذا الكتاب في المكتبة القاسمية نسختان إحداهما بخط المؤلف، والأخرى بخط أحد النساخ. انظر (ص ٢٢٩).

يـا حبَّـذا دررٌ مَنْشـورةُ الأَجْـزا بها عن الكَنْزِ والكَشْكُولِ ما أَجْزا
حَوَتْ مقاطيعَ موصولٌ بدائِعُها تهزُّ من طَرَبٍ مَنْ لم يَكُ اهْتَزَّا
يـا طـالمَـا بـه ليـلاتٍ أُسَـامِـرُهـا كانَتْ لَعَمْري في ألطافِها فَوْزا
للّـه نـادرة راقـتْ نـوادِرُهـا تَلْقَى مِنَ النُّكَت الغَـرَّا بهـا كَنْـزا
مـا إِن رأيـتُ لهـا مِثْـلاً ينـاظِـرُهـا وكيفَ وهْيَ إلى رَوْضِ الذَّكا تُعْزَى
لا زالَ يحظَى من العِرْفان غايتَهُ وزادهُ اللّـهُ فـي أوقـاتِـهِ عِـزًّا

وَكَتَبَ على ظَهْرِ كِتَابِهِ المذكور:

إِذا لم أَجِدْ لي في الزَّمانِ مُؤانِسًا جَعَلْتُ كتابـي مُؤنِسي وجَليسي
وأَغلَقْتُ بابـي دونَ من كان ذا غِنًى وأَمْلَيْـتُ مـن مـالِ القنـاعَـةِ كيسـي

وكان جَميلَ الشَّكْلِ، حَسَنَ البِزَّة، بديعَ الصَّوت، له معرفةٌ جيدةٌ بالأنغام، حفظ نحو نصف القرآن الكريم، ثُمَّ عاقه عن إكماله بعض الشؤون، بَصيرًا بالتجويد جَيِّدَ الأداء، وقد نَسَخَ بخطِهِ البديع كثيرًا من الكُتُب النَّفيسَةِ.

وكانت تدعوهُ الوزراء بالمُكاتبات للمحافل الرَّسميَّة، فلا يحضرها تَعَفُّفًا عن الدُّخولِ والمُزاحمة فيما لا يجديه، وقَلَّما يحضُر ولائمهم في رمضان، ولم تطمح نفسُهُ لِطَلَبِ الوظائفِ والرِّحلة إليها، وحماه المولى من ذلك. وكان يُنْكر على من أدخلَ نفسَهُ من أهلِ العِلْمِ في تلك الأبواب، ولم يَرْحل إلاَّ إلى المساجدِ الثَّلاث، وَرَضِيَ عن المولى باليسير من الرِّزْقِ وقَنِـعَ به.

وَخَلَفَ أباه الماجد في الفَضْلِ والشُّهْرة، وتردد الفُضلاء إلى زيارته، والشُّهرَةِ الطَّيبة، والذكر الحَسَنِ بَيْنَ النَّاس، والقبول الفائِق، وَيَسَّرَ له

المولى ما عَمَّر به داره، وكانت نهاية أبيه بدايته، واقتَنَى كُتُبًا نفيسةً، وأخذَ عنه الفقه والعربيَّة جَمْعٌ غفيرٌ.

وكان لا يرى للعيش لذةً ولا للحياة قيمة إلاَّ في سبيل مُطالعة الكُتُبِ؛ فلا يمل منها ليلاً ولا نهارًا، وربما قَطَعَ مُعْظَم اللَّيلِ في ذلك حتَّى كانت أدوات كتابته وما يطالعه جنب فراشِهِ.

وكان لا يجارى في المُحاورات العلميَّةِ لقوةِ استحضارِهِ أطراف المَسائِل، ومن جاراه في مسألة لا يثبت معه ويحار من سرعَةِ أجوبتِهِ ومُناقشتِهِ، وكثيرًا ما كان يعترض أثناء مطالعته بعض المباحث المدونة في الحواشي والشُّروح، ويُقرر وجه المناقشة فيها ذكاءً وفهمًا ثاقبًا.

وبالجملة فمزاياه الجليلة، وشيمهُ الجميلة، أجل من أن يحصيها قلمي، ويمليها على طِرْسٍ فمي، وإني مهما قُلْتُ ما قُلْتُ في الثَّناءِ عليه فإني عاجزٌ ومُقَصِّرٌ.

ولم يزل على طريقته الحَسَنة، وفضائله المُستحسنة، إلى أن فَجَعنا بجوهرِهِ الخَطير، ويا لَهُ من مُصابٍ كبير، استهوى المدامِع، ودَقَّ الأضالع، وأجْرى العُيون، وأثارَ الشُّجون، صباح يوم الجُمعة ثالث عشري شوال سنةَ سَبْعَ عشرة وثلاثمائة وألف، فُجْأَةً بلا سابقةِ مَرَضٍ، وكان يومئذٍ أدى صلاةَ الفجر إمامًا بجامع السِّنانيَّةِ، ثُمَّ قَرَأَ أوراده وأذكاره السَّنية، ثُمَّ قَدِمَ إلى دارهِ، وجِئت على أثره من جامِع العنَّابَةِ فدخلت الدَّار وجلست معه في مَحَلٍّ منها، وذكر لي أنَّه سَهَرَ ليلتئذٍ في بيت عمِّي الفاضلين الشيخ محمَّدٍ والشيخ عبد الغني؛ وطال معهم السَّمَر إلى قريبٍ من نصف اللَّيلِ، وأضافهم جار لعمِّي في داره، وقال لي: كانت ليلةً لطيفةً. ثُمَّ خضت معه

في حديث آخر إلى أن هُيِّىءَ الشاي في حُجْرةٍ أُخرى من دارنا، فبادرنا وجلسنا فيه والأُسرة مَعًا، فتناولنا أكواب الشَّاي جميعًا على صفاءٍ وسرورٍ، ولم أزل أسقيه حتى قال لي: اكتفيت، وجلس بعد شربِهِ حصة ثُمَّ قام، فتبعه ابني ضياء الدِّين وله عامان ونَيِّف، فقلت له وهو واقفٌ: ما أولع ابني بك يا سيدي؟ فالتفت إليه ولاطفه، ثُمَّ خَرَجَ من الحُجرة إلى صحن الدار فتبعته ابنتي فدخل إلى مُرَبع آخر من الدَّارِ، واستند إلى حائِطِهِ وفاضت نفسه الكريمة، فلم نشعر ونحن في محلنا إلَّا وابنتي مُسْرعَةٌ فَزِعَةٌ دخلت إلينا وتقول: جدي لا أدري ما أصابه؟

ولمــا صــافَــحَ الأسمــاءَ مِنّــا تقطَّعَــتِ الضَّمــائــرُ والقلــوبُ

فخرجنا جميعًا فأدركناه مُغْمًى عليه، وذلك في الضَّحوة الصُّغرى، فحينئذٍ بادرت لإحضار الأطباء، وشاعَ الخَبَر وانتشر، واندهشت النَّاس وانخلعت قلوب الأَهلين والأصحاب، وجاء الطبيبُ البارع توفيق بيك رئيس المستشفى الحميدي بالشَّام، فأشار ببعض وضعياتٍ، وبالانتظار إلى قُبيل العَصْرِ. ثُمَّ حضر الطبيب الماهر صديقنا صالح أفندي شورى رئيس أطباء البلدية بالشَّام، فأشار بنحو ما تقدم، أشار بالانتظار أربعًا وعشرين ساعة، ولكن ما الحيلةُ وليس في الإمكان ردُّ ما كان، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، فلقد أُميتت مِنَّا القُلوب والأَرواح، وأُحييت مآتِمُ الأَكْدارِ والأَتْراح، وبتنا ليلتَئِذٍ في حالٍ وأيّ حال، استعنا عليه بالصَّبر لأمر المولى المُتعال، كما قيل:

لا تجـزعـوا واستقبلـوا بـالـرضـا طـوارىء الليـل وبـؤس النَّهـار
فـالصبـر أولـى بـوقـار الفتـى مـن جـزع يهتـك سترَ الـوقـار

وأُعلن خبر خَطْبِهِ في المنائر، واهتزت لِمُصابِهِ المحاريب والمَنابِر، فاكتست محافِلُ الفضل ثَوْبَ الحِدادِ، وأسبلت نوادي الدروس ذيل السَّوادِ:

رماني الدَّهْرُ بالأَرزاءِ حَتَّى فؤادي في غشاءٍ من نِبالِ

ولم يكد يذيع هذا النبأ الموجع في أنحاء المدينة حتى هرعَتِ العُلماء والأعيان، يُشاطروننا الأَسى والأَحزان، مُحَوْقلين مُسْترجعين، وتقاطرت مِنَ البَلْدة الأفواج، يَبْكونه بِدَمْعٍ ثَجَّاجٍ، وَغَصَّتْ بيوتنا وحارتنا ـ أعني زقاق العلاَّمة المكتبي في خط قَصْرِ حجاج ـ بالنَّاسِ، والجميعُ يَنْدبون فضله ولسان حالهم يقول:

نعاهُ لنا النَّاعي ففي كل مَدْمَعٍ دموعٌ ولكن في الأضالع أسهمُ

وضحوة اليوم التَّالي السبت احتُفِلَ بمشهدِهِ احتفالاً حافلاً جدًا يشهدُ بما له في قلوب النَّاس من سُموِّ المكانَةِ والمنزلَةِ العُليا، مشى فيه جمعٌ كبيرٌ من العُلماء والشُّرفاءِ، والأعيان، وعَوَامٌ لا يُحصون عدًّا حتَّى غَصَّتِ الشَّوارع والأسواق، وهم آسفون على أُفول بَدْرِهِ السَّاطِع، ولاهِفونَ على خُبُوِّ نُورِ فَضْلِهِ اللاَّمِع، ذاكرون لصفاتِهِ الغُرِّ، ومحاسِنِهِ التي أبكت مُقْلَةَ الدَّهْرِ، وساروا به مَحْمُولاً على أَكُفِّ الصُّلحاءِ، وأكتافِ الأَخْيارِ الكُملاء، ضارعين مُتوسلين، بقولهم: يا أرحَمَ الرَّاحمين، فكان مشهدًا مُؤثِّرًا، والمأتَمُ مُحْزِنًا، وما كنت ترى إلاَّ عينًا تَدْمَعُ، وقلبًا يُصْدَعُ:

لهفي على زهرةِ فَضْلٍ زهتْ وعُوجِلَت بالقَطْفِ دون الزُّهورِ

وسُئِلْتُ عن مَوْضِعِ الصَّلاةِ عليه، أفي الجامِع الأَمويّ؟ فقلت: بل في جامع السِّنانيَّةِ، الذي كان موطنًا لعبادتِهِ مُدَّةَ حياتِهِ السَّنيَّة، فلما دخلنا

الجامع قَدَّمْتُ للصَّلاةِ عليه شيخنا العلاَّمة شيخَ الشَّام، ومقدم عُلمائِها الأعلام، الشيخ بكري أفندي العَطَّار، زِيْدَ فَضْلُهُ المدرار، ثُمَّ سِرْنا بمشهدهِ الكبير إلى مقبرة الباب الصَّغير، واستودعناه خِزَانَةَ عَفْوِ اللَّـهِ ورضوانِهِ، وروضةَ كَنْزِ رحمتِهِ وإحسانِهِ:

أَيُّهــا النَّــاسُ هكــذا الأَحْكــامُ | كُــلُّ نَفْــسٍ يـأتـي عليهـا الحِمَـامُ
سيموتُ المَليكُ في العرش والمُلْـ | ـكُ لَـدَيْـهِ كمـا يمـوتُ الغُـلامُ
ويمـوتُ الحكيـمُ وهْـوَ طبيـبٌ | يتعنَّـى كمـا تَمـوتُ النَّعـامُ
كُلنـا مـائِـتُ وفـي المَـوْتِ تَلْقَـى | راحـةَ النَّفْـسِ مـن عَنـاهَـا الكِـرامُ

فكانَ مَرْقَدُه الأَعْطَر خَلْفَ مقامِ سيِّدي الجَدِّ الهُمام، وراء ضريح العلاَّمة النَّاسِكِ، الشيخ إسماعيل الحائِك، مفتي الشام:

يـا سـادةً فـي الثَّـرى هُجـوعُ | بـالقلـبِ مـن بَعْـدِهِـم صُـدوعُ
تكَـدَّرَتْ بعـدَهُـمْ حيـاتـي | فَـأَوْحَشَـتْ منهـمُ الـرُّبـوعُ
كـانـوا سُـروري ونُـورَ عينـي | فمـا لهـا بعـدَهُـمْ هُجـوعُ
قَضَـوْا فـأَوْدى لـذيـذُ عَيْشـي | وبـالأَسـى ذابـتِ الضُّلـوعُ
يـا نَفْـسُ للمـوتِ فـاستعـدي | فـرَّقَهـا البَيْـنُ والـولـوعُ
يـا نَفْـسُ للمـوتِ فـاستعـدي | فـالمـوتُ إتْيـانُـهُ سـريـعُ
فـلا مليـكٌ ولا شـريـفٌ | فـي الـدَّهْـرِ يَبْقـى ولا وضيـعُ
ولا سَعيـدٌ ولا شقـيٌّ | ولا عَصِـيٌّ ولا مطيـعُ
يـا نفـسُ إن الأُصـول مـاتَـتْ | فمـا عَسَـى تلبـثُ الفـروعُ

ثُمَّ تواردت علينا النَّاس أفواجًا إلى الدَّارِ ثُمَّ إلى جامِعِ السِّنانيَّة بعد العشاء ثلاث ليال، وتركت الأساتذة من الجامع الأموي الدُّروسَ العامَّةَ

تلك اللَّيال، حَسْبَ العادة لديهم في الحداد على كُلِّ عالمٍ مِفْضال، وعَزّتنا معظم جرائد الجهات في الشَّام وبيروت، وراسلتنا الأحباب بالتَّعازي المُؤثرة وكُلٌّ عَدَّدَ ما لفقيدنا المرحوم من الصِّفاتِ الحميدة، والفِعالِ الكريمة، وسنذكُرُ عبارات الجرائدِ والرسائل التي وردت إلينا.

ولما جاء لتعزيتنا العلاَّمة الفاضل، نادِرَةُ العَصْرِ الشيخ طاهر الجزائري ثُمَّ الدِّمشقي قال: إن في انتقال المرحوم بعد أدائِهِ صلاةَ الصُّبْحِ بجماعَةٍ بُشْرى بأنَّه في ذمَّة الله، للحديث الوارد في ذلك. قلت: يعني ما رواه الإمام مسلم في «صحيحه»، وأصحاب «السُّنُنِ» عن جُندب بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ فهو في ذمَّةِ اللَّـهِ، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء»[1]. قال العلماء في شرحه: معنى قوله: «في ذمة الله»، أي: في عهده وأمانِهِ في الدُّنيا والآخرةِ.

ومن غرائب الاتفاق الذي وقع لسيدي المرحوم رضي الله عنه أَنَّهُ وَقَفَ في «الجامع الصغير» ــ وكان أعاد قراءته ثانية بين العشائين في جامع السِّنانيَّة ــ عند الحديث الذي رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» عن أبي هريرة مرفوعًا: «ادفنوا مَوْتاكم وَسَط قَوْم صَالحين؛ فإن الميِّت يتأذى بجار السُّوء كما يتأذى الحي بجار السُّوءِ»[2]، وكان سألني يوم الأربعاء وقد شَرَّفَ محلي من داره، وقال لي على سبيل المُذاكرة: هل السَّوء بفتح

(١) أخرجه مسلم (٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٥٤) وهو حديث لا يصح؛ وقد أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٣٧).

السِّين أو ضمها فقلت له بالفتح كما يؤخذ من «القاموس» ولا مانع من الضمِّ.

وقبل وفاتِهِ بنحوِ شَهْرٍ كأنّ نفسه الكريمة استشرفت للقاء الله تعالى لِما ظَهر لنا بعد من شؤونه، وكانت حركاتُهُ مع أهلِهِ وأولاده وإخوتِهِ وأصحابِهِ كَأَنَّها حركاتُ مُودِّعٍ؛ فمن ذلك أنَّه عليه الرَّحمة والرِّضوان صار يُكْثِرُ التَّرداد إلى جامِعِ العَنَّابَةِ في باب السَّريجة في حجرةٍ لي فيه أحيانًا بعد العشاء وأوقاتًا بعد صلاة الصُّبْحِ، وكان السُّرور الذي يدخل علينا بِمقْدَمه لا يمكن وصفه فيسرع إخواننا حالاً بخدمته، وإحضارِ شراب الشَّاي، وإيناسه، ولم يزل يُشرفنا بزيارته غبًّا إلى قُرْبِ حل انتقاله بنحو أسبوعٍ، جاءنا بعد صلاة الصبح من جامع السِّنانيَّة ومعه صديق له.

ومن ذلك أنَّه ذَهَبَ قبل وفاته رضي الله عنه بنحو أسبوعين لتعزية بعض جيرانه في مقبرةِ البابِ الصَّغير، قال لي: جلستُ جنب قبر فرأيتُ مكتوبًا على لوحِهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدنا مُحمَّدٍ الحبيب، صلاةً تَرْحَمُ بِها عبدك ديب، قال: يا بُني لقد استحسنت هذه الجُملة، وأُحِبُّ أن يكتب شيء على لوح ضريحي إذا انتقلتُ كتابة نحوها، ثُمَّ أخذ يأتي بجملة يسجعها على حسب اسمه الشريف، فما أسرع المصادفة بعد. ولما أَبىٰ الأهل إلاَّ وضع لوح مرقده العاطر: اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدنا محمَّد أبي القاسم، صلاةً تَرْحَمُ بها عَبْدك محمَّد سعيد بن قاسم. وامتنعتُ من وَضْعِ تاريخ أو مدائح على اللَّوح، ووجدت أن المقام مقام تذللٍ واسترحامٍ من الملك السَّلام، ذي الجلال والإكرام. وهذا كان ملحظه الأسمى، مع أنه أهداني الأديب البارع الشيخ عبد الرحمن القَصَّار تاريخًا بديعًا ليكتب على اللوح ضمنه بعض مزايا سيِّدي المرحوم، ونصّ تاريخه:

يَمِّمْ ضَـريحًـا ضَـمَّ أكمـلَ جِهْبِـذ رضوانُ في الفردوس أَمسى خادِمَهْ
المُجْتبـى الشَّهمُ السَّعِيدُ القاسمي أعنـي أريـبَ زمـاننـا بـل عـالِمَـهْ
هو بدرُ علمٍ قد سَمَا لسَما البَقا شَـوْقًـا ليـرتَـعَ بـالحيـاةِ الـدائِمَـهْ
غَمَـرَ المُهيمـنُ فـي بحـارِ نعيمِـهِ روحًـا علـى ربِّ المكـارم قـادِمـهْ
طُـوبـى لمَـدْعـوٍّ ختـامُ حيـاتِـهِ تـاريخُـهُ مِسْـكٌ بِحُسْـنِ الخـاتمـهْ

ومن ذلك: إقباله عليه الرَّحمَة والرِّضوان أخيرًا على النظر في تفسير القرآن الكريم، وكُتُبِ السُّنَّةِ، فكان يستغرق نهاره في مطالعة الرازي[1]، والخطيب[2]، مع مُراجعة غيرهما، كما يصرف جانبًا غزيرًا أيضًا من أوقاته لقراءة الحديث والفقه فيه.

ومن ذلك: ميله أخيرًا لمذهب السَّلفِ الصَّالِـحِ، وتَرْكِ التَّعصُّبِ في المسائل الخلافية، وأخذه بما صحّ ودعوته للحَقِّ مع اعتدال في المَشْرَبِ.

ومن ذلك: تجديده أخيرًا الهمَّة العليَّة في نسخ الكُتُبِ العلميَّة النَّادرة مع ضعف بصره، فكتب رحمه الله بالناظور أخيرًا «تخريج أحاديث البيضاوي»، وجانبًا من فتاوى ابن تيمية ونحو ذلك.

ومن ذلك: أنَّه عَزَم قبل انتقاله بيوم وهو يوم الخميس على زيارة صَفيِّنا العلاَّمة المؤرخ الشيخ عبد الرزاق أفندي البَيْطار فسرنا لداره في الميدان، ومكثنا عنده مِنَ الصَّباح إلى قُبيل العصر، فكان ذلك كالوداعِ منه لهذا الصَّفيِّ الكريم، ولما خرجنا من داره أخذ يُحدثني في طريق الميدان

---

(١) يعني تفسير الرازي فخر الدِّين المشهور.

(٢) يعني محمد بن أحمد المعروف بالخطيب الشَّرْبيني وتفسيره هو: «السراج المنير»، وهو مطبوع.

بالتَّحدثِ بِنِعَمِ المولى علينا، وأن بداية أحوالنا هي خاتمة شؤون سَلَفِنا، وذَكر لي مرض سيِّدي الجَدِّ وقيامه بخدمتِهِ، وأن سيِّدي الجَدّ لم يزل يبتهل في مرضه بالرِّضا عنه وعن ذرِّيته، والدُّعاء له ولهم.

ومن ذلك: سهرُهُ ليلتئذٍ عند عمِّي الفاضلين إلى قُرْبِ مُنْتَصفِ الليل، وتطييب قلوبهم ومُؤانستهم بمحاورته البديعة، فكانت من علائم الوداع، لإجابة الداع.

ورُئيت له عدة مَرائي صالحة منها: ما أخبرنا به الشَّاب اللبيب، والشاعر الأريب، محمد أفندي الدَّاوودي الدِّمشقي أنَّه رأى نفسه هو والفاضِلُ الأديب المُرْشِدُ الشيخ محمَّد بن المُبارك الجزائري ثُمَّ الدِّمشقي، وفاضل آخر في قصر بهيجٍ مُطل على بُستان بديعٍ، فبينما هم في القصر سنح لهم أن يشرفوا على البُستان فأشرفوا عليه، فأبصروا سيِّدي الوالد الماجد المرحوم يجول في ظِلِّ أَغْصانِهِ، ويتنزه بين آسِهِ وريحانِهِ، فَسَلَّموا عليه ودعوه إليهم، فلما اجتمع بهم احتفلوا به وأجلوه وابتهجوا به، وسأله الشيخ محمَّد بن المبارك المنوَّه به والرَّائي يسمع: ما فعل الله بك؟ فقال له: أكرم ربـي مثواي، وأتحفني بمنازل فائقةٍ، ورياض شائقة.

قال الرَّائي: وأخذ يصفها وصفًا بليغًا، فقال له ابن المبارك: بِمَ نِلْتَ هذا المقام الكريم؟ فقال له: بقيامي قبل الفجر وبين العشائين. قال الرَّائي: ثُمَّ دعانا المرحوم إلى منزله ليطلعنا عليه فاعتذرنا منه، قال: ثُمَّ استيقظت.

قلت: لعل مراده بين العشائين إحياءه ذلك الوقت بالدَّرس العام، المفيـد للخـواصِّ والعـوامِ، وأداءه بعـده العشـاء بجمـاعـة، فيكـون إكـرام

المولى تعالى له بذلك مِصداقًا لما ورد في السُّنَّة من فضل المحافظة على الصُّبْحِ والعشاء، ومن فضل انتظار الصلاة فكيف إذا انضم إلى ذلك المحافَظة على الصَّلوات الخمس بالجماعة طول عمره، والنَّفع العام لعباد الله تعالى أعلى المولى درجته.

ومنها: ما حدثنا به بعض تلامذته أَنَّهُ رآه في هيئة حسنة، فسأله عن شأنه فأجابه سيِّدي بقوله: الآخرة، بالمغفرة.

ومنها: ما حدَّثنا به بعض جيراننا أنَّه رآه في زيٍّ جليلٍ، ولباسٍ جميلٍ، مُحَلَّى العمامةِ والصَّدْرِ بالذَّهَبِ.

ومنها: ما شافهتني به سيدتي الوالدة حرس المولى وجودها قالت: رأيته وأظهرت له التَّشوق الزائد، فقال مجيبًا: من أين أفرغ لكم وأنا في كل ليلة في مجامع الطَّرَبِ والصَّفا وسماع الآلات؟ قالت: فعجبت وأنا في الرؤيا من سماعه إيَّاها وعهدي به أَنَّهُ أبعدُ النَّاس نُفْرَةً منها، قالت: ثُمَّ استيقظت وأنا أقول هذا جزاء صبره عنها في الدُّنيا، وأخذه بالأحوط والورع.

ومنها: ما حدَّثني به أحد أقربائنا الصَّادقين قال: رأيتُ نفسي كأني في بَرِيَّةٍ واسعة الأرجاء، فبينا أنا أمشي بها إذْ رأيت الشيخ المرحوم فَسَلمتُ عليه ورحَّبَ بي ثُمَّ دعاني إلى منزلِهِ وأكَّد عليَّ، فدخلتُ فرأيتُ دارًا مُشْرِقَةً مفروشةً بالرُّخام، فمشى بي إلى إيوانها الرَّحْبِ، فشاهدته مصفوفًا به الكراسي الرفيعة، وعلى كل كُرسي طست فضيّ اللون، وكُلّ هذه الطسوت مملوءة فواكه عديدة، فأمرني بأن آكل منها، قال: فوقعت يدي على طست كبير ملآن من حَبِّ الرُّمانِ، وفوقه فنجان صيني بديع

فصرت أغرف بالفنجان من حَبِّ الرُّمانِ، وأنا في نعيم وسرورٍ عظيم، قال: ثُمَّ استيقظت، وعلمت مقام الشيخ الكريم قدَّس الله سرّه.

ومنها: ما اتفق لي أني رأيته قدِّس سره في مسجد فخيم على طراز قاعةٍ مُتقنةِ البِناء تظللها قبّة بديعة، ومساحتها مستديرةٌ، وبها غُرَفٌ بديعة المباني، مملوءة من التُّحَفِ الغريبة، والفُرُشِ الثمينة، فابتهجت برؤيتها، وصعدتُ إلى غرفة بها فتوضأت ثُمَّ نزلتُ للصَّلاةِ، فرأيتُ جماعة ينتظرون من يؤمهم فأمهم سيِّدي الوالد وأنا معهم، وحدَّثني ــ إما قبل الصلاة أو بعدها ــ عن حسن هذا المعبد المقيم فيه، وقال لي ــ ما معناه ــ : قد أُوثرتُ به عن غيري من فضله تعالى، مع تطلع الكثير إلى الاختصاص به.

إلى غير ذلك مما لو أردت سبره لبلغ أوراقًا:

وما تناهَيْتُ في بَثِّي مَحاسِنَه إلاَّ وأكْثَرَ مِما قلتُهُ أدَعُ

* * *

وها نحنُ نُثبتُ ما أبّنه به الفُضلاء في التَّعازي التي وردت علينا:

قالت «جريدة الشام» الغراء عدد (١٨٣) من سنتها الرَّابعة بتاريخ ٢٧ شوال سنة (١٣١٧هـ) الموافق ١٥ شباط سنة (١٩٠٠م) ما نصه في الصحيفة الثَّالثةِ في العمود الثَّالث: ما من شيء أسوأ وقعًا في القلوب من فِراق الأعزة، فلم تكد جِراحات أفئدة أهل العلم في دمشق تندمل مما طرأ عليها بوفاة فقيدهم المرحوم أفندي الشَّريف، حتى نعى لنا النَّاعي يوم الجُمعة صديقًا بارًّا وعالمًا ألمعيًا: المرحوم المبرور الشيخ سعيد أفندي القاسميّ أحد علماء الفيحاء، **ومن بيت اشتهرَ أربابُهُ كلهم بالعِلْمِ والفضيلة**، قضى طاب ثراه عن ٥٨ عامًا على حين فجاءة من دون سابق

علة، فهلعت قلوب الأهل والمعارف من الخطب الجللِ لِما عُرِفَ فيه من سعةِ الفَضْلِ، وحُسنِ الأُحدوثة، فقد كان عالمًا فقيهًا على مذهب الشَّافعيّ، شاعرًا فكهًا، لسنًا مُفوهًا، محبوب الطَّلعة، لذيذ المَعْشَرِ، حُلو المَخْبَرِ، لا جرم أنَّه قضى حياة طيبة فعاش كاسمه سعيدًا محمودًا، وراح فقيدًا شهيدًا.

وما فات من خلَّف مثل نجله حَضْرَةِ العالم الدَّراكة، صاحب الفضيلة الشيخ جمال أفندي، نَسَأَ الله في أَجَلِهِ، ووفَّقه لخدمة أمَّته، وأغدق الله على جدث فقيدنا صوب الرَّحمة، وعزى آله وأنجاله، وإخوته الأفاضل ولا سيما بكر أنجاله الجمال المُنوه بقدره، وأخويه العالمين الأديبين صاحبي الفضيلة الشيخ محمد أفندي، والشيخ عبد الغني أفندي، وإنّا لله وإنَّا إليه راجعون. انتهى.

* * *

وقالت «جريدة ثمرات الفنون» عدد (١٣٧٠) من سنتها السادسة والعشرين الصَّادِرَةِ في بيروت يوم الإثنين في ٢٦ شوال من العام المتقدِّم ذكره ما نصه، في الصحيفة الخامسة، أول العمود الثالث: نعت إلينا أنباء دمشق أَحد أفاضل علمائها، ونُبغاءِ أُدبائها، المرحوم المبرور الشيخ محمَّد سعيد أفندي القاسميّ، إمام ومُدَرِّس جامع سنان باشا ابن العلاَّمة الشَّهير الشيخ قاسم الحَلاَّق، توفاه الله تعالى يومَ الجُمُعَةِ بعد أن صلَّى الصبح في الجامع المذكور، ثُمَّ أتى داره فَأُغمي عليه عند الضُّحى، فجيء بالأطباء فحكموا بوفاته إلى رحمة الله، وأُبقي إلى الغَدِ، فاحتفل بمأتمه احتفالاً يجدر بعلمِهِ وفضله ومكارم أخلاقه، وسار بمشهدِهِ العُلماء والكُبَراء والوجهاء، والكل آسف عليه، طيب الله ثَراه، وجَعَلَ الجَنَّة مثواه، فَنُقَدِّمُ

التَّعزية لعائلته الكريمة خصوصًا نجله العَالِمُ اللَّوذعي الشيخ جمال أفندي، ونسأل الله تعالى لهم من الصبر أجمله، ومن الأجر أجزله، انتهى.

* * *

وكتب إليَّ من بيروت أوحد فضلائها نابغة أُدبائها الشيخ مصطفى أفندي نجا مُفتي بيروت زِيدَ فَضْلُه ما نصه:

حَضْرَة العالِم العَامِلِ، صاحب الفضيلة والمجد، الشيخ جمال أفندي المحترم حفظ الله وجوده وأبقاه. آمين.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

فقد بلغنا ما كدَّرَ الخاطِرَ، وأبكى النَّواظِرَ، وهو خبرُ انتقال والدكم الكامل، صاحِبِ الفَضْلِ والفَضائل، طيَّب اللَّـهُ ثراه، وجعلَ الجنَّة مأواه، فقد كان عالِمًا عامِلاً، وإمامًا كاملاً، مُتَّصفًا بمكارم الأخلاق، وعُلُوّ الهِمَم، وحُسْنِ العَهْدِ، وصدق الودِّ، ينفعُ المسلمين، ويُعلمهم أمور الدِّين، ولهذا كانت وفاته فاجعةً أليمةً، ومصيبةً عظيمةً، وخسارةً جسيمةً، إنّا لله وإنَّا إليه راجعون، لكن الموت حَتْمٌ على الأَولين والآخرين، وموردٌ لا بد منه للخلائقِ أجمعين.

وقد مَدَحَ الله الآخِرَة، وذَمَّ الدُّنيا، ووعدَ الصَّابرين بالأجر، والدَّرَجَةِ العُليا، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧]. فالرضا بقضاء الله تعالى أولى ما اعتمد عليه العبد، ورجَعَ إليه في جميع أموره، ولله الأمر من قبل ومَنْ بعد، فنُعزِّيكم اقتداءً بالسُّنَّة السَّنية، والطَّريقة المرضية، مُتوسِّلين إليه تعالى أن يلهمكم الصبر، ويُعظِّم لكم الأجر، ويُمد في حياتِكُم، ويُعوِّضَ

المسلمين بوجودكم، خَيْرًا، ويجعلكم خَيْرَ خَلَفٍ، لِمَن سلفَ، من آبائكم الكرام، بجاه[1] سيِّد الأنام، عليه أفضل الصَّلاة وأَكمل السَّلام.

في ٢٦ شوال سنة (١٣١٧هـ)

* * *

وكتب إِليَّ أيضًا من بيروت نُخبة أُدبائها الشيخ أحمد أفندي طبارة مُحَرِّرُ «جريدة الثمرات» ما نصه: بعد الاسترجاع، إِن مصابًا كمُصابنا بالوالد السَّعيد ــ طاب ثراه ــ لمصاب تُسكَبُ له العبرات، وتذهب الأنفس عليه حسرات، مصاب ترك الدُّموع مسفوحة، والقلوب مجروحة، فإِنَّا لله وإِنَّا إِليه راجعون، ولا حول ولا قوَّة إِلَّا بالله العلي العظيم، ولئن كانت الفجيعة بالسَّعيد رحمه الله تعالى عظيمة، فلقد سدَّها الله تعالى بسيِّدي أدامه الله بأفضل خلف، لأمجدِ سَلَفٍ، وأنجبِ فَرْعٍ لأكرمِ أَصْلٍ، ولنا في بقائه حفظه الله مَسْلاةٌ للجَّازعِ، وأسوةٌ للفجائع، وهو لا شك أعرف بما ادخره الله تعالى للصابرين من النَّعيم المقيم، أحسن الله عزاءه، ولقَّاهُ من الصَّبْرِ أجمله، ومن الأجر أجزله، والسَّلام عليك ورحمه الله وبركاته.

الإِثنين ٢٦ شوال سنة (١٣١٧هـ)

* * *

وكتب إِليَّ من الآستانة خُلاصة الأُدباء، وسليلُ الوزراء الكُبَراءِ، جميل بيك العظم ما نصه: سيِّدي العَلَّامة الفاضل، سليل الأكارم والأفاضل، جعله الله خَير خَلَفٍ، لِخَيْرِ سَلَفٍ، نُعِي إِلينا مَنْ رُزئنا منه

---

(١) الدعاء بهذه الطريقة غير مشروع كما حرَّره شيخ الإِسلام ابن تيمية في كتابه «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة».

بشخص العلم، وأُمَّةِ الفضل، فاسترجعنا بعد أن ذرف الدَّمع، ووجف القلب، وانحل عقد الحزم، وتبدّد شمل العزم، وقد علم سيِّدي جعله الله أفضل خلف، لأمجد سلف أن أحقَّ النَّاس بالتَّأسي والتَّسلي وتوطين النفس على الصَّبر والحزم من آتاه الله من العلم ذخيرةً، وجعله على نفسه بصيرةً، فليتأسَّ المولى بالرَّسول ومن بعده من أهل الفضل والتَّقوى، فإنَّ ذلك نعم السلوى، نسأل الله للفقيد المغفرة والرِّضوان، ولسيِّدي جَبْرَ المُصاب، وحسن السَّلوان، آمين.

في ١٣ ذي القعدة (١٣١٧هـ)

* * *

وكتب إليَّ أخي وشقيقي الشيخ محمَّد عيد أفندي من الآستانة جوابًا عن كتابي له ما نصه: آه، ليتني كنت فداه، سيِّدي ومولاي الأخ المحترم، بيدٍ ترجف تناولت كتابكم الكريم، وبلسان يتلعثم قرأت تلك العبارة المتضمِّنة ذلك الخبر الرائع، وبذهنٍ يضطرب تصورت الغياب الأبدي لذلك البدر التمام، فلا تَسأل عن حالتي هناك من الأسف والجزع لهذه المصيبة الدَّهماء، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. كيف تكون حالة غريب عن الأهل والدِّيار أتاه نعي أعز عزيز عليه، وأحب حبيب إليه، بل أعظم سيدٍ له وولي نعم يلوذ به، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، سلَّمت أمري إلى الله، هذا يقين لا شكّ فيه، هذا خبر لا يكتمه الواقع إذا كتمته الأفواه، ماذا أكتب لكم بهذا الشأن وأنا شريكُ العزاء، ورفيقُ العناء. أمْرُنا جميعًا إلى الله. وأقتصر الآن على تعزية السُّنَّة فأقول: تغمَّده الله برحمته ورضوانه وألهمنا الصَّبر عليه والأجر الجزيل في مصابه.

١٤ ذي القعدة سنة (١٣١٧هـ)

* * *

وكتب إليَّ مُعزيًا حضرة الأديب النِّحرير، قاضي الحميديَّة حالا صديقنا الشيخ علي أفندي ظبيان الكيلاني ما نصه: بعد البسملة: أما بعد حَمْدِ من أمره بين الكافِ والنون، مثيب الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد الذي بالصَّلاة عليه يتسلَّى كُلّ مَحزون، وعلى آله وأصحابه الَّذين أثنى الله على صبرهم في الكتاب المكنون، ثُمَّ السَّلام على الأخِ شمس العُلماء فاضِلِ الزَّمان، والمُشار إليه في البيان بالبنان، من إليه كل فضيلة تنتمي، الشيخ جمال الدِّين أفندي القاسميّ، أدام الله بهجته وجماله، وحرس مهجته وكماله، فقد بلغني ـ أبقاك الله ـ خبر فاضت له العين حزنًا وأسفًا، والتهب لأجله القلب لهفًا، ألا وهو انتقال العلَّامة المبرور والدكم المرحوم إلى دار البقاء، تغمده الله برحمته ورضوانه، وأسكنه أعلى فراديس جنانه، وتالله يا سيِّدي إنّه ليكل لساني، ويعجز بناني، عن وصف ما ألمّ بي إذْ ذاك من الكدر، والحزن والضَّجر، ولكن ما الحيلة وقد نفذ الأمر المبرم، وحلَّ القضاء المُحتم، على جميع الأمم، وإن مما يهون المصائب، ويخفف ثقل النوائب، تذكر المصيبة في سيِّد العالمين، وخاتم النبيِّين، عليه وآله أفضل الصَّلاة والسَّلام، ففيه سلوةٌ، ولنا به أُسوةٌ، فأسأله تعالى أن يلهمكم الصَّبر، ويُنيلكم أعظم مثوبة وأجر، وأن يبقيكم لنا وللمسلمين خير خلف لخير سلف، ويبقيكم مع جميع الإخوة الكرام، والعائلة المحترمة راجيًا النِّيابة عني بسؤال خاطر عمَّيْكم الفاضلين، ومن ينتمي لعلاكم، ودوام شمولي بصالح دعاكم، وأدام الله لنا شريف بقاكم.

في ١٠ ذي القعدة سنة (١٣١٧هـ)

* * *

وكتب إليّ مُعزيًا سليل بيت العلم والمجد الأُستاذ الأفضل، والعلاَّمة الأكمل، السَّيِّد محمَّد مكي بن عزوز التُّونسي ــ نزيل الآستانة حالاً ــ ما نصه: بعد الحمدلة، العالم الفهَّامة، الأصيل البارع، الشيخ السيِّد محمَّد جمال القاسميّ، حفظه الله؛ أما بعد إهداء السَّلام إلى حضرتكم السَّامية، فإنِّي أُقدِّم التَّعزية التي أمرت بها السُّنَّة الشَّريفة في فقد والدكم الأكرم وقد تكدرنا، والأسف عمَّنا وغمَّنا وذرفت مدامعنا لأُفول بدره، وكنا نُمنيَّ أنفُسنا بلقائه والتيمنُ بأنفاسه الزكيَّة، فإنّا لله وإنَّا إليه راجعون، عَظَّم الله أجركم بل عظم الله فيه أجر الإسلام عمومًا، ثُمَّ العِلم والأدب والطريقة والفضل والمروءة، خصوصًا، وكونكم خلفًا له صالحًا فيه أكبر تسلية للمحبين، ونوبوا عن العاجز في تعزية البنين، والأهل والأحباب، فإنَّ الجميع كالجسد الواحد، وكمالكم أغنانا عن توصيتكم بجبر خواطر العائلة، فحضرتكم هو مركز الدَّائرة، وطالما تأنسنا بصنوكم الأديب الشيخ عيد. وكم تعطرت نوادينا بطيب الثَّناء عليكم، والسَّلام.

في أوائل ذي الحجَّة الحرام سنة (١٣١٧هـ)

* * *

وبقيت لدينا رسائل أُخر طوينا نشرها، خشية الإطالة، فجزى الله هؤلاء الفُضلاء، جزاء الخَيْرِ وخَيْرَ الجَزاءِ، عمَّا واسونا به من فقد سيِّدنا الوالد الهُمام، أحلَّه الله في غُرَفِ الجِنان وأغدق عليه سُحُبَ الإنعام.

* * *



التَّتمَّة الأولى :

نماذج من خط الشيخ محمد سعيد القاسمي وعناوين بعض كتبه

قال يحيى بن خالد لولده

اكتبوا احسن ما تسمعون، واحفظوا احسن ما تكتبون، وحدثوا باحسن ما تحفظون، وخذوا من كل شيء طرفاً فانه من جهل شيأً عاداه

انتهى.

هذه

سفينة الفرج فيما هب ودب ودرج

وضعت فيها لباب المحاسن واستخرجت

درر لئاليها من بحر غير آسن نحررها

ضعيف الحال محمد سعيد ابي جمال

امام الشافعية في جامع

السنانية

غفر له

امين

اذا لم اجد لي في الزمان موآنساً، جعلت كتابي مؤنسي وجليسي

واغلقت بابي دون من كان ذا غنى، وامليت من مال القناعة كيسي

عنوان كتاب «سفينة الفرَج» للشيخ محمد سعيد القاسمي بخطِّه.

١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم بجلائل النعم، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم وبدائع الحكم، وعلى آله أهل الفضل الأتم، وأصحابه الموفين بالعهود والذمم.

وبعد فهذا مجموع سميته سفينة الفرج فيما هب ودب ودرج، أذكر فيه ما التقطته من الفوائد العزيزة، والحوادث الجديدة ... واللطائف الحميدة ... ما تروح منه النفوس، ولا عطر بعد عروس، ابتدأت بجمعه أوائل السنة السابعة بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من خلق على الكمال وصف واجمل

٢ فائدة

يعرف بها ... قد جرب ... ثمانين سنة فلم تخطئ ... منظومة ... لبعضهم

انظر لرابع شوال فإن أحدًا ... وسبعا

... باثنين وما تبعا

٣ حادثة في ليلة الأحد ليلة السابع والعشرين من المحرم سنة ١٣٠٧ الموافق ١٢ أيلول رومي حصل تلك الليلة رعد وبرق ما سمع بمثله من أعوام وجاءت السماء ... أفواه القرب وذلك على حين غفلة ... غالبهم تنذر فحصل على ما قيل تلف للبيادر ... من اللطيف الخبير وقد رأيت في كتاب قديم منسوب ... أن الرعد إذا كان في العشر الثاني من أيلول كما وقع فينا قدمناه كانت السنة مباركة خصبة كثيرة الشر ويقع الغلا بأرض فلسطين والشام ونواحي أرض أرمينيه والله أعلم وله أيضا إذا وقع برق في ... أيلول ... والزرع والله أعلم بحقيقة ذلك

٤ فوائد ... من كتاب الشذرة في الأحاديث المشتهرة للإمام محمد بن طولون الدمشقي رحمه الله تعالى

فمنها حديث مسح العينين بباطن أنملتي السبابتين بعد تقبيلهما عند سماع المؤذن يقول أشهد أن محمدًا رسول الله مع قوله وأشهد أن محمدًا عبده

الورقة الأولى من «سفينة الفرَج» بخط مصنفه.

هذا آخر ما كتبناه من سفينة الفرج وهو الجزء الأول منها وقد وقع
الفراغ من كتابتها يوم الجمعة ضحوة نهار الكبرى ليومين بقيا من شهر شوال
سنة ثمان وثلاثمائة وألف على يد جامعها كثير الزلات من هو على
خوف من الله عز وجل الراجي العفو بالمزيد يوم الوعيد أحقر الورى
وهو بيدهم [illegible] الفقير أحمد محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن ا
اسماعيل بن أبي بكر الشهير بالحلاق عفي عنه
المولى الخلاق وعن والدي وأولادي
وأحبابي والمسلمين آمين
والحمد لله رب
العالمين
م أ

الورقة الأخيرة من الجزء الأول من «سفينة الفرج».

وكان والي الشام عثمان باشا اميرا بالركب الشامي وكانت حجة مريحة لم يحصل
ادنى كدر للحجاج وكانت وقفة عرفات يوم الجمعه ومن الاتفاق العجيب
ان عثمان باشا خرج بالركب يوم الجمعه ووقف على عرفات مع الحج يوم الجمعه
ودخل الشام يوم الجمعه وفي مدته لم يحصل في الشام ادنى مكدر فعدل بالرعية
وعاشت اهل الشام بمدته عيشة هنيه وكان كيخيته سليمان بيك مملوك سليمان
باشا ابن العظم وكان في موت بيت العظم قد قاسا اهوالا فنال بصبره آمالا
وفي تلك الايام ورد الخبر الى دمشق الشام بان سعد الدين باشا ابن العظم
مات في ديار بكر وجاء الامر بضبط ماله فضبطت الدولة على ماله واستولت
على نواله فقد نقل الثقات انه خرج عنده مال عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم انتهى ما ذكره البديري من هذا التاريخ واقتصر حوادث
السنين الاخيرة جدا وزاد سنة سهوا والصحيح ما نقلناه فسبحان
من ليس بغافل ولا ساه انتهى ما حررناه بقلم الفقير محمد سعيد ابي جمال
احسن الله لنا الحال والمآل وذلك قبيل ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٣١٧

الورقة الأخيرة من كتاب «تنقيح الحوادث اليوميّة»
بخطِّ المنقّح الشيخ محمد سعيد القاسمي.

فهرست هذا الكتاب بطريق

الإجمال

تمت الفهرسة بطريق الإجمال

فرغ [illegible] قدس سره [illegible] نهار الاثنين ٨ شوال ١٢٦٧

نموذج من تملُّك الشيخ محمد سعيد القاسمي للكتب وفهرسته لها كما يظهر أثر ختمه.

كتاب سفينة الفرج فيما هب ودب ودرج

للعالم الفاضل والاديب الكامل

زين المجد السمين الشيخ محمد سعيد

القاسمي اغدق الله عليه

سحائب الرضوان

واحله اعلا

فراديس

الجنان

م

نموذج للنُّسخة الأخرى من «سفينة الفرَج».

التَّتمَّة الثَّانية:

في نسب الشيخ محمد سعيد القاسمي من جهة والدته

جمع العلاَّمة الشيخ محمد جمال الدِّين القاسمي نسبهم من جهة والده الشيخ محمد سعيد في كتاب أسماه: «نسب السادة القاسمية السعيدية أسباط السَّادة الأشراف الدسوقيَّة الحسينيَّة الدِّمشقيَّة» وهو ما عبَّر عنه بدرج الأصل، وقد تتبَّع نسبهم المتَّصل بالدسوقي الحسينيّ، ووقَّعَ عليه نقيب الأشراف في دمشق الشَّام، ثُمَّ رحل إلى القاهرة وصدَّق عليه من قبل نقيب الأشراف في الدِّيار المصريَّة.

ثُمَّ بعد أن جمع نسبهم المذكور ألَّف رسالة في «شرف الأسباط» جمع فيها الأدلَّة من أقوال وفتاوى العلماء القائلين بشرف الأسباط وصحَّة انتسابهم.

وإليك ما أورده في رسالة «شرف الأسباط» (ص ٦٢ ــ ٦٥)، وفي الخاتمة (ص ٨١ ــ ٨٥):

ذكر اتِّصال نسب المؤلِّف
بأسباط السَّادة الدسوقيَّة الدِّمشقيَّة الحسينيَّة

أذكر هنا ما كنت كتبته في درج نسبنا وهو: أن النسب النبوي، والفرع العلوي الفاطمي، لا يزال بحمد الله ظاهر النمو طاهر الانتما، كشجرة طيِّبة أصلها في الأرض وفرعها في السما، إذ هي نتيجةٌ مقدمتاها باب مدينة العلم والبتول، فلا غرو إن زكت الفروع لزكاء هاتيك الأُصول، وقد وجب أن تصرف الهمم العليَّة إلى ضبط أنسابها، احتفاظًا بحقوق شرفها وآداب أحسابها، عَلَى أنَّ معرفة النَّسب سبب للتَّعارف، وسُلَّم للتَّواصل والتَّعاطف، وقد قال النبي ﷺ: «تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم» فأمر بتعلُّم الأنساب، لتوصل به الأرحام، ويحافظ عَلَى أواصرها لما لها من واجب البرِّ والاحترام، وهذا الأمر مع ما قرن به من الحكمة، مما يجب الائتمار به على جمع الأُمَّة، وإن كان لتعلُّم النَّسب فوائد كثيرة، يناط بها عدَّة مسائل فروعيَّة شهيرة.

ولمَّا كان من ألطف النِّعم شرف النَّسب، والتسلسل عن ذوي السِّيادة والحسب، كان من الواجب على المنعم عليه، أن يُعْنَى من تعلُّمه وحفظه بما تصل يد الإمكان إليه. ومن حق الآباء عَلَى الأبناء، والأجداد عَلَى الأسباط والأحفاد، أن يحفظوا لهم أنسابهم، ويحرسوا بتقواهم أحسابهم، فإن هذا من برّ الفروع بالأُصول، والقيام بإحياء حقّ ربَّما أضيع بالإهمال والخمول، وهذا ما حدا بـي إلى العناية بأخذ فرع للعائلة القاسمية السعيديَّة[1] أسباط السَّادة الدسوقيَّة، من شجرة أجدادهم آل الدسوقي

(١) نسبةً للسيِّد الشيخ محمد سعيد القاسمي عليه رحمة الله ورضوانه والد مؤلِّف هذا=

الحسينيَّة، وأصلها الكبير متفرِّع إلى بطون عديدة، لا سيَّما في دمشق الشَّام وبعض أعمالها المحميَّة، وقد ذكر في درج الأصل[1] أنَّ السَّادة الدسوقيَّة يرتقي نسبهم إلى الحسين عليه السَّلام من السيِّد شرف الدِّين أبي عمران موسى الدسوقي[2] أخي القطب الشهير السيِّد إبراهيم الدسوقي، ونَسَبُ السيِّد إبراهيم الدسوقي شهير في الأقطار، أورده الشعراني في «طبقات الأخبار».

وقد جاء في شجرة الأصل المحفوظة عندنا أنَّ قدوم جدّ العائلة

= الكتاب فإن هذا النَّسب له ولسلالته خاصَّةً ذلك لأن حضرة الجد الشيخ قاسم قدَّس الله روحه كان تزوَّج أربعًا واحدة منهنَّ لم تعقب والثلاث أعقبن منه إحداهن أعقبت أنثى واحدة وثانيتهنَّ أعقبت ذكورًا وإناثًا وثالثتهنَّ وهي الجدَّة الشريفة حفيدة السيِّد الدسوقي لم تعقب غير سيدي المرحوم الوالد رضي الله عنه ومنها انتقل الشرف إليه وإلى ذرِّيَّته فلذا قيَّدناهم بالسعيديَّة احترازًا عن القاسميَّة غير السعيديَّة. اهـ. المصنف.

(١) تاريخ نسخها في جمادى الأخرى سنة ألف ومائة وتسع وهي فرع من أصل كبير كما شهد به من وقَّع عليها وقتئذٍ من النقباء والفضلاءِ، وهذا الأصل فرع لأصل رأيته في مدينة دسوق عام رحلتي إلى مصر، الرِّحلة الثانية وهو سنة (١٣٣١هـ) عند ابن عمِّنا السيِّد مصطفى حموده الدسوقي خليفة المقام الدسوقي، وهو نسب للسيِّد إبراهيم بن السيِّد محمد الدسوقي ابن السيِّد عبد الرَّحمن ابن السيِّد عثمان الدسوقيّ جدُّ العائلة الدسوقيَّة الشاميَّة تاريخه سنة (٩١٧هـ)، وعليه تواقيع قضاة ذلك العهد فما بعده. المصنف.

(٢) ذكر في درج الأصل أن شرف الدِّين هذا توفِّي في ثغر الإسكندريَّة في ذي الحجَّة سنة ٧٠٣، ونقل من الثغر إلى ناحية دسوق ودفن بإزاء أخيه من الجهة القبليَّة. المصنف.

الدسوقيّة الشّاميّة، مُربـي الفقراء ومرشد السّالكين فخر الدِّين السيد عثمان الدسوقيّ كان في المائة الثامنة الهجريّة؛ لأنَّ وفاته بناحية البقاع العزيزي في قرية عين تنيت في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، وقد خلفه في التربية والإرشاد ابنه السيد عبد الرَّحمن، وقد توفِّي بناحية البقاع أيضًا في قرية جب جنِّين في شهر صفر سنة أربع وستين وثمانمائة، وخلفه في تربية المريدين ابنه شمس الدِّين محمد بن عبد الرَّحمن، وقد توفِّي بقرية جب جنِّين المذكورة ودفن بإزاء والده في شهر محرَّم سنة تسعين وثمانمائة، هذا ما جاء في درج الأصول[1]. وبالجملة فالسيِّد عثمان المنوَّه بفضله قد بورك في أولاده، وفات الإحصاء عد أسباطه وأحفاده، وانتشروا بعد في دمشق وبعض قراها، وكانوا في كل بلدة حلُّوها نجومها وضياءَها، لما لهم من النَّسب الذي هو في صميم الشَّرف عريق، والحسب الذي غصن مجده بالمعالي وريق»، انتهى ما قلناه، ثمَّة بزيادة.

* * *

وقال أيضًا في خاتمة الكتاب:

يقول العبد الفقير مؤلِّف هذا الكتاب:

لمَّا كان نسبنا الدسوقي الشَّامي أصله من مدينة دسوق من بلاد مصر القاهرة عزمنا عَلَى عرضه عَلَى سماحة نقيب أشراف الدِّيار المصريَّة ليعزِّزه بالتَّوقيع عليه ــ بعد أن جرى تحرير مقابلته بأصله ومطابقته عليه لدى

(١) رأيت في «سفينة الحوادث اليومية» بخطّ إبراهيم الجنيني أحد علماء الشَّام في القرن الثَّاني عشر أنَّ السَّادة الدسوقيَّة الشاميَّة كان تشرُّفهم أي إثبات شرفهم عند قضاة الشَّام عام (٩٨٢هـ)، يعني الإثبات الذي حفظ في السجلَّات وتقيد في الوثائق وأما أصله فكان قبل محفوظًا عندهم. المصنف

قاضي دمشق الشَّام ثُمَّ نقيبها ووقَّعا عليه حسب الأصول المقرَّرة في إثبات الأنساب الشَّريفة، ثُمَّ وقَّع عليه أيضًا في الشَّام ومصر ثلَّة من كبار رجال العلم والنَّسب جريًا عَلَى المعتاد في التَّصديق والتَّوثيق.

ولمَّا رحلنا ـ الرحلة الثانية ـ إلى القطر المصري عام (١٣٣١هـ) عرضنا درج نسبنا ـ نسب الأشراف القاسميَّة السعيديَّة أسباط السَّادة الدسوقيَّة الحسينيَّة ـ عَلَى سماحة عين الأكابر، وارث الشَّرف كابرًا عن كابر، السيِّد عبد الحميد أفندي البكري نقيب أشراف الدِّيار المصريَّة فوقع عليه في وثيقة منيفة، وحجَّة متينة لطيفة، وأمر حفظه الله بنقله إلى سجل الأنساب العام، جَريًا عَلَى القواعد المقرَّرة في الاحتفاظ بأنساب الأشراف الكرام.

وإليك صورة توقيعه الجليل

عنه

عفا الله

سبط آل الحسين

الصديقي العمري التيمي الهاشمي

«السيِّد عبد الحميد البكري بن السيِّد عبد الباقي البكري»

الفقير إليه سبحانه

ونقيب أشراف الدِّيار المصريَّة

شيخ السجادة البكريَّة وشيخ المشايخ الصوفيَّة

الأمر كما ذكر فيه

عبد الحميد البكري   صورة ختم

في تاريخه تقدَّم لنا طلب من حضرة العلاَّمة الفاضل السيِّد محمد جمال الدِّين من كبار علماء دمشق الشَّام يذكر فيه أنه من السَّادة الأشراف الحسينيَّة لأنَّه السيِّد جمال الدِّين ابن السيِّد محمد سعيد ابن السيِّدة عائشة بنت السيِّدة فاطمة بنت السيِّد محمد الدسوقي الدمشقي بن السيِّد محمد الدسوقي ابن السيِّد يحيـى الدسوقي ابن السيِّد أحمد الدسوقي ابن السيِّد شرف الدِّين الدسوقي ابن السيِّد رضي الدِّين الدسوقي ابن السيِّد محمد الدسوقي ابن السيِّد رضي الدِّين الدسوقي ابن السيِّد بهاء الدِّين محمد الدسوقي ابن السيِّد حمزة الدسوقي ابن السيِّد إبراهيم الدسوقي ابن السيِّد محمد الدسوقي ابن السيِّد عبد الرَّحمن الدسوقي ابن السيِّد عثمان الدسوقي ابن السيِّد جمال الدِّين عبد الله الدسوقي ابن السيِّد بدر الدِّين محمد الدسوقي ابن السيِّد موسى الدسوقي ابن السيِّد عبد العزيز أبـي المجد الدسوقي ابن السيِّد قريش ابن السيِّد محمد النَّاجي أبـي النَّجا ابن السيِّد زين العابدين ابن السيِّد عبد الخالق ابن السيِّد محمد أبـي الطيب ابن السيِّد عبد الله ابن السيِّد عبد الخالق ابن السيِّد أبـي القاسم ابن السيِّد جعفر التركي ابن السيِّد علي الهادي ابن السيِّد محمد الجواد ابن السيِّد علي الرضا ابن السيِّد موسى الكاظم ابن السيِّد جعفر الصادق ابن السيِّد محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن سيِّدنا ومولانا أبـي عبد الله الحسين ابن سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء بنت سيِّدنا ونبيِّنا محمد ﷺ. وإنَّ الذي يشهد لحضرته فرع النسب المقدَّم مع الطلب المأخوذ من النِّسبة الشَّريفة التي بيده والمقدّمة لباب النَّقابة موقَّعًا عليها من حضرات أصحاب الفضيلة نقيب أشراف دمشق ومفتيها ومن علماء أفاضل بها ومن حضرات الشيخ محمد زين الدِّين أحد علماء الجامع الدسوقي، والفاضل السيِّد محمد

رضا منشيء المنار وناظر دار الدَّعوة والإرشاد. وبعد مراجعته عَلَى مشجَّر الأنساب ومطابقته عليه قرَّرنا اعتماد صحَّة هذا النسب وأمرنا بتسجيله بالسجلّ العموميّ تحريرًا في يوم الخميس عشرة جمادى الأولى سنة (١٣٣١هـ) من هجرة المصطفى ﷺ وشرف وكرم.

تسجَّل بالسجل العمومي	صورة
تحت نمرة (٦١)	ختم
	باب نقابة الأشراف
	بالديار المقدسة

* * *

صورة ما وقَّعه الأستاذ العلاَّمة الوجيه الشيخ محمد زين الدِّين أبو راس شيخ علماء الجامع الدُّسوقي بمدينة دسوق على نسبنا بعد أن قابله بأصله القديم عند أقاربنا الدسوقيَّة في دسوق:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أما بعد حَمْدِ الله على صلاته، والصَّلاة والسَّلام عَلَى أعدل ثبت في ثقاته، فإنِّي تشرَّفت بلقاء حضرة الأستاذ الفاضل، والملاذ الكامل، السيِّد جمال الدِّين القاسمي من أكابر علماء دمشق الشام، وذلك في مدينة دسوق التي هي من أعمال مديريَّة التَّرْبية بالقطر المصري في يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة (١٣٣١هـ)، والَّتي كانت فيها نشأة القطب الكبير، والعلم الشَّهير، سيِّدنا إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه وأرضاه، وفيها ضريحه وضريح أخيه الأكبر سيِّدنا موسى أبـي العمران، وقد أطلعني الأستاذ السيِّد جمال الدِّين القاسمي الموما إليه عَلَى نسبه

الجليل، وراجعناه عَلَى نسب حضرة الشيخ الجليل مصطفى محمد حموده خليفة المقام الدسوقي الآن، وقارنَّا بين أجداد الأستاذين في النَّسبين فوجدنا أن نسب الاثنين يجتمع في السيِّد حمزة ابن السيِّد إبراهيم المذكور في النَّسب وهو الجدّ العاشر للأستاذ السيِّد جمال الدِّين القاسمي، وإنِّي أتطفَّل بالتَّوقيع عَلَى هذا إثباتًا لذلك ورجاء أنَّ الله سبحانه وتعالى يكْرمني بكرامتهم في الدُّنيا والآخرة حيث قرنت اسمي بأسمائهم إنَّه أكرم مسؤول، وعليه المعول والقبول.

الفقير إليه تعالى

محمد زين الدِّين أبو راس

خادم العلماء بالجامع الدسوقي

صورة الختم محمد زين الدِّين

* * *

صورة توقيع نقيب أشراف دمشق الشَّام ومفتيها العلاَّمة الفقيه، والشَّريف الوجيه، السيِّد محمد سعيد العجلاني على أصل نسب جدّنا المنقول عنه نسبنا إليه في هذا الكتاب:

حمدًا لمن تجلَّى بمظهر الشرف عَلَى ذوي الأحساب، وسقاهم من رحيق الرِّضا أطيب شراب، وصلاةً وسلامًا على السيِّد السَّند أصل مادَّة الوجود، بالشُّهود المَحْدود، وعَلَى آله نجوم الاهتدا، وأصحابه أقمار الاقتدا، ما صدح هزار الروض عَلَى أغصان الأنساب، وما انهل صيب العرفان بحدائق الأتراب، وبعد فلمَّا كان بتاريخه أدناه اطَّلعت عَلَى الأصل المنقول عنه هذه النّبذة الدسوقية، والنّسخة الصديقيَّة، فوجدتها حلِّيت

بدرر الصدق، ونظِّمت في عقود الإجلال، وعلِّقت في أعناق ذوي الجمال والكمال، بعد أن شربوا كأس الوصال باتِّصال، وأنَا الفقير إليه عزَّ شأنه عجلاني زاده.

السيِّد محمد سعيد الحسيني

قائمقام نقيب الأشراف بدمشق الشام

عُفِي عنه

* * *

تنبيـه وجيـه:

مما ينبغي التنبيه عليه أن ما ذكره الشيخ جمال الدِّين القاسمي عن والده وأنه شريف النَّسب من جهة والدته؛ فإنه شريف النَّسب من جهة أبيه أيضًا، فقد تتبعتِ الأُسرة ــ وعلى رأسهم الشيخ أحمد بن محمد القاسمي ــ نسبهم فوجدوا أنه يتَّصل بالشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني من جهة أبيه الحسينيّ من جهة أمّه، وقد صدَّق على نسبهم هذا عدد كبير من نقباء الأشراف في العواصم العربيّة والإسلاميّة، ورسم شجرة نسبهم ابن عمِّهم في النَّسب الشيخ محمد سهيل الخطيب الدمشقيّ المعروف بتخصُّصه الدَّقيق في رسم ومعرفة شجرة الأنساب، وقد ألحقت صورة شجرة النَّسب المذكور في ترجمة الشيخ قاسم فيما مضى (ص ٦١).

* * *

(نسب)

(السادة القاسمية السعيدية
أسباط السادة الأشراف
الدسوقية الحسينية
الدمشقية)

(منقولاً بالحرف الواحد عن درج الأصل الموقع
عليه نقباء الشام وقضاتها وشيوخها)
ثم نقيب أشراف مصر وشيخ علماء
الجامع الدسوقي بدسوق وغيرهم

صورة عنوان الكتاب الذي أعدَّه القاسمي في نسبهم وهو بخطِّه.

بحمده تعالى كمل هذا النسب الشريف جمعاً وتاليفاً وترتيباً بقلم
مؤلفه وكاتبه العبد الضعيف، الفقير الى فضل مولاه اللطيف
محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح القاسمي الدمشقي
في ١٥ محرم عام (١٣٣١) وقد عولت في ضبط اسماء رجاله
اجدادنا السادة الدسوقية عليهم رحمة الله وبركاته على نسبين
صحيحين مصدق عليهما من نقباء اشراف بلدنا دمشق الشام احدهما
فرع صغير كتبه لنفسه جدنا العلامة السيد محمد الدسوقي وقد
وقع عليه السيد محمد سعيد العجلاني نقيب الشام وثانيهما
اصل هذا الفرع المنقول من اصل الشجرة الدسوقية الكبرى[1]
وقد وقع عليه السيد عبد الكريم ابن حمزة نقيب الشام
ايضا وراجعت طبقات الامام الشعراني وعارضت
عليها رجال هذين النسبين برجال نسب القطب الجليل السيد

(١) تاريخ كتابة اصل هذا الفرع في جمادى الآخرة سنة تسع ومائة والف ١١٠٩
اه جامعه جمال الدين

نهاية الكتاب السَّابق ذكره بخط الشيخ جمال الدِّين.

وبحر المكارم والجود، قد اطلعني على هذا النسب، المتصلة
سلسلته بمن حاز على اعلى المقامات والرتب، فتلوته متبركاً
بتلاوته، متحققاً صحة روايته، خصوصاً وقد تحلت حواشيه
بنقل ما رقم على اصله من تواقيع النقباء المتقدمين، ثم تواقيع
قاضي دمشق ونقيبها بمطابقته لاصله المتين، وشهادة ثلة
من السادة الاشراف، وجماعة من العلماء ذوي الكمال
من الاوصاف، وشرف السادة الدسوقية بدمشق الشام،
وانتساب السادة القاسمية السعيدية لها بالسبطية
غني عن التعريف والاعلام، وقد كتبت ما تراه وانا بذلك
الشرف صحيح العقيدة، سائلاً من المولى المنان ان يجعل
حالتنا بحب آل المصطفى راقية سعيدة وان يحشرنا واياهم
في زمرة سيد الانام وان يحسن الينا واليهم بسعادة
الدارين وحسن الختام

كتبه بقلمه عبد الرزاق
ابن حسن البيطار خادم
العلم والعلماء بدمشق
الشام عفي
عنه

صورة الختم

عبد الرزاق

نموذج ممّا كتبه العلماء على صحّة النّسب ومنهم المؤرخ الشيخ عبد الرزاق البيطار.

التَّتمَّة الثالثة:

نماذج من شعر الشيخ محمد سعيد القاسمي

قال رحمه الله[1]:

كُلُّ من يبغي سِوى المَوْلَى نَقَصْ ... واعْتراهُ من ذوي الدُّنيا غصَصْ

وإذا أمَّلْ منهم حاجةً ... نَغِصَ المسؤولُ عنها ونكَصْ

مُكْفَهِرَّ الوجْهِ لو أبْصَرْتَهُ ... قلتَ: مِنْ أينَ له داءُ البَرَصْ؟

وعلى السَّائِلِ فَرْضًا لو سَخَا ... مرَّةً ألقاهُ في ذل القَفَصْ

فاتركِ العالَمَ طُرًّا ثُمَّ سَلْ ... مَلِكًا يَرْغَبُ أن تُؤْتَى الرُّخَصُ

مُنْعِمًا بَرًّا كريمًا رازِقًا ... لَيْسَ يَرْضَى عن عُبَيْدٍ قد حَرَصْ

عالمًا إجمالَ أحْوالِ الوَرَى ... فَهْوَ أدْرَى في تفاصيلِ القَصَصْ

* * *

وقال ابنه الشيخ جمال الدِّين: قال: جزاه الله خير الجزاء يخاطبني إبَّان طلبي للعلم[2]:

رضاءُ الله يا ولدي عَلَيْكا ... وعين الله ناظرةٌ إليكا

(1) ديوانه (ص ٨١).

(2) «الديوان» (ص ٩٢).

فــلازِمْ دَرْسَ أُستــاذٍ رشيــدٍ نصــوح مُخْلــص راضٍ عليكــا
لتخــرجَ عــالمًــا فــي كُــلِّ فَــنٍّ وتبقـى النّـاس طَـوْعًـا فـي يَـديكـا

* * *

وقــال[1]:

من رام يَدْخُلُ بابَ النَّصْر والفَرَج فلْيجتنبْ صُحْبَةَ الأَوْغادِ والهَمَجِ
ولْيَعْتزلْ أهلَ هذا الوقتِ أجمعَهم إلَّا لِمَـنْ كـانَ ذا ديـن بِـلا عِـوَجِ
أو كانَ صاحِبَ عِلْم عامِلًا وَرِعًا أَو ذا سخاءٍ فما في ذاك من حَرَجِ
واسْتَعْمِلِ النَّاس مِثْلَ النَّارِ مُنْقبِضًا منها وخُذ نَفْعَها واحْذَرْ من الوَهَجِ
فاسمع خليليَّ نُصْحِي إنَّني رجلٌ قد جرَّبَ النَّاس في ضيقٍ وفي فَرَجِ

* * *

وقال رحمه الله تعالى في حال المداهنين[2]:

يقـولُ لَـكَ المُنـافـق وَهْـوَ أدْرَى بـأسلـوب النِّفـاق بمـا تمـادَى
إذا صَلُـحَ الـزَّمـان فَـزِدْ صَـلاحًـا وإن فَسَــدَ الــزَّمــان فَــزِدْ فسـادَا

* * *

ويقول الشيخ جمال الدِّين: وكتب رحمه الله تعالى لمعلم شقيقي صلاح الدِّين وهو الأستاذ الشيخ زاهد شيخ الأرض[3]:

يا أَوْحَدًا بالفضلِ يا سامي الذُّرا يـا نـافعًـا بـالعِلْـم أبنـاءَ الـورى
أنت الهُمامُ الزَّاهدُ الحَبْرُ الذي أقـلامُ خَطِّـك بـالجـواهِـرِ تُشْتَـرى

---

(١) المصدر السابق (ص ٣٢).
(٢) المصدر السابق (ص ٤٥).
(٣) «الديوان» (ص ٧٦).

فامْنَحْ صلاحَ الدِّين منك مَحاسنًا ... عِلْمًا وتجويدًا وخطًّا أَزْهُرا
فلأشْكُرنَّكَ شُكْرَ خِلٍّ صادقٍ ... في حُبِّه ويحقُّ لي أن أشكُرا
لا زلت تَرْقَى كُلَّ فضلٍ جامعٍ ... وتُزَيِّن المحراب بل والمِنْبرا

* * *

وقال رحمه الله تعالى[1]:

حظوظُ النَّاس لا تُحْصَى بِحِفْظِ ... فهاك أجلَّهَا في حُسْنِ لَفْظِ
فَعِلْمٌ ثُمَّ مالٌ ثُمَّ جاهٌ ... فَحَسْبي أن يكونَ العلمُ حَظِّي
أُطالِعُ من بدائِعِه فُنونًا ... وأُبْعِدُ عن غَليظِ القَلْبِ فَظِّ

* * *

(١) المصدر السابق (ص ٨٢).

الفهارس

* فهرست الأعــلام .
* فهرست المحتوى .
* مــن آثــار المحقق .



فهرست الأعلام

الأبناء

الكنى

• • •

فهرست المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
جنازته وحضور العلماء لها	٢٠٨
علامات لوفاته وما يُرجى له من حسن الخاتمة	٢١٠
بعض الرؤى والمنامات التي رؤيت له	٢١٣
رسائل التعازي التي وردت على ابنه الشيخ جمال الدِّين	٢١٥
التتمات:	
التتمة الأولى: من نماذج من خط الشيخ محمد سعيد القاسمي	٢٢٣
التتمة الثانية: في نسب الشيخ محمد سعيد القاسمي	٢٣٠
التتمة الثالثة: نماذج من شعر الشيخ محمد سعيد القاسمي	٢٤٢
فهرس الأعلام	٢٤٧
المحتوى	٢٥٥

● ● ●

من آثار المحقق

١ ــ كتاب الأوائل، للحافظ أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، المتوفى سنة ٢٨٧هـ، دار الخلفاء، الكويت ــ ١٤٠٥هـ.

٢ ــ فضل علم السلف على علم الخلف، للحافظ زين الدين عبد الرحمٰن بن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٦هـ.

٣ ــ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس، للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٤هـ.

٤ ــ تفسير سورة الإخلاص، لابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار الصميعي، الرياض ١٤١٢هـ.

٥ ــ تفسير سورة النصر، للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٢هـ.

٦ ــ زغل العلم، للحافظ شمس الدِّين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت ١٤٠٤هـ.

٧ ــ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في منهاج البيضاوي، للحافظ العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤٠٩هـ.

٨ ــ التنقيح في حديث التسبيح (شرح حديث: كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن)، للحافظ ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

٩ ــ تحفة الإخباري بترجمة البخاري، للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

١٠ ــ كتاب الأربعين، للحسن بن سفيان، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٤هـ.

١١ ــ صفحات في ترجمة الإمام السفاريني، (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

١٢ ــ علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان حياته وآثاره، (تأليف)، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ١٤١٥هـ.

١٣ ــ ثلاث تراجم نفيسة للحافظ الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، دار ابن الأثير، الكويت ١٤١٥هـ.

١٤ ــ الخطب المنبرية، للعلاَّمة عبد الله بن خلف بن دحيان، بيت التمويل الكويتي، الكويت ١٤١٦هـ.

١٥ ــ نوادر مخطوطات علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ١٤١٦هـ.

١٦ ــ أخصر المختصرات للبلباني مع حاشيته، لابن بدران، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٦هـ.

١٧ ــ مشيخة فخر الدِّين ابن البخاري، المتوفى سنة ٦٩٠هـ، (عناية وفهرسة للأحاديث)، الكويت ــ الأمانة العامة للأوقاف ١٤١٦هـ.

١٨ ــ أضواء على الحجج الوقفية الأصلية في الأمانة للأوقاف، (إعداد)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٦هـ.

١٩ ــ روضة الأرواح، لعبد القادر بن بدران الدمشقي، الكويت ــ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤١٧هـ.

٢٠ ــ درة الغواص في حكم الذّكاة بالرصاص، لابن بدران الدمشقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة.

٢١ ــ علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي، حياته وآثاره، (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٧هـ.

٢٢ ــ حياة العلامة أحمد تيمور باشا، بقلم محمد كردعلي وبعض معاصريه، (جمع وعناية)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٧هـ.

٢٣ ــ سير الحاثّ إلى علم الطلاق الثلاث، لابن عبد الهادي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٧هـ.

٢٤ ــ بداية العابد وكفاية الزاهد، للعلّامة عبد الرحمن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٧هـ.

٢٥ ــ الألفية في الآداب الشرعية، لابن عبد القوي، (عناية وضبط)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٨هـ.

٢٦ ــ نتيجة الفكر فيمن درس تحت قبة النَّسر، للعلَّامة عبد الرزاق بن حسن البيطار، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٧ ــ مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات، للإمام محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٩هـ.

٢٨ ــ ثبت مفتي الحنابلة بدمشق، الشيخ عبد القادر التغلبي، تخريج تلميذه مفتي الشافعية محمد بن عبد الرحمن الغزِّي، (عناية)، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٩هـ.

* * *